العروش الإنسانية

أو

تأصيل الأزمان وتفصيل الأكوان

تأليف

سيدي محمد بن محمد وفا الكبير

المتوفى سنة ٧٦٥ هـ

وفي مقدمته

النفحة الرحمانية في تراجم السادة الوفائية

للشيخ عبد الباقي بن يوسف الوفائي

المتوفى سنة ١٠٩٩ هـ

تحقيق: أحمد فريد المزيدي

دار الكتب العلمية

العروش الإنسانية

أو

تأصيل الأزمان وتفصيل الأكوان

تأليف

سيدي محمد بن محمد وفا الكبير

المتوفى سنة ٧٦٥ هـ

وفي مقدمته

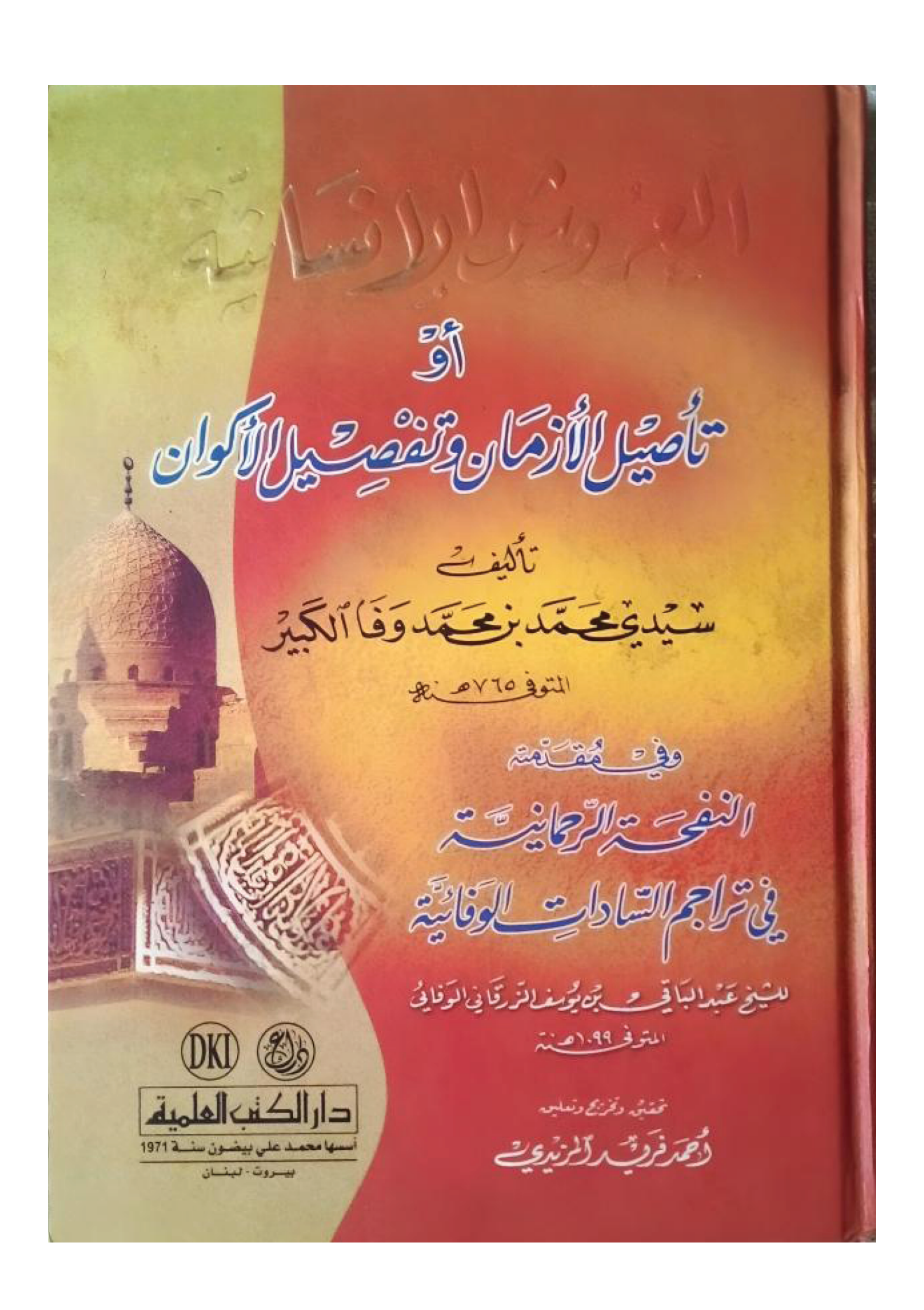
النفحة الرحمانية في تراجم السادة الوفائية

للشيخ عبد الباقي بن يوسف الوفائي

المتوفى سنة ١٠٩٩ هـ

تحقيق: **أحمد فريد المزيدي**

دار الكتب العلمية



صورة الغلاف الأصلي

النفحة الرحمانية
في تراجم
السادات الوفائية

للشيخ عبد الباقي بن يوسف الزرقاني الوفائي

المتوفى 1099 هـ



مقدمة المصنف

الحمدُ الله الذي سَقى أولياءه من صِرْف راحِ وِداده، وأسبغ عليهم نِعَمَه فأدرجَهم في مدارج عزِّهِ وإسعاده، ومنحَهم من مواهبِهِ ما قرَّبهم لَدَيه، وأقرَّ بهم عيونَ مَن جعلهم يتوصَّلون ويتوسَّلون بهم إليه، وساق إليهم هدايا الهداية تُحفًا توصِل كُلاً لآرامِه، وأطلع في سماء المعارف شهابًا بالقلب العارف ثاقبًا، وزين الأرض بأوليائه، فكانوا بدورًا وكواكبًا.

وأشهدُ أن لا إلهَ إلا الله وحدَه لا شريكَ له، ولا حولَ ولا قوةَ إلا به، وأشهدُ أنّ سيدَنا ونبينا محمدًا -صلى الله عليه وآله وسلم- عبدُه ورسولُه، الذي يسعَدُ من دخَل إلى الله -سبحانه وتعالى- من بابه المخصُوص، بمعجزاتٍ قاطعة، قطعت وَتِينَ الأعادي، وأذعنَ لشمسِ ظهورِها المخالفُ والمُعَادي، وهل الأولياء إلا كنُوّابه؟

صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه، الفائزينَ بشاهدةِ عَلياءِ جَنابه.

وبعد ..

فيقول الفقيرُ الفاني: عبدُ الباقي بن يوسفَ الزُّرقاني: إن وجوبَ حبِّ الأولياء مما لا ريبَ فيه ولا امتراء، فإن الله آذَن من عاداهم بحربٍ منه، فيا له من وعيدٍ ما أشدَّه! لمن عقَلَ أو درى.

وإن من أجلِّهم ساداتِنا أهلَ الوفا: الحائزون أسنى مقامات الصفا، المُظهِرون بصرَ بصيرةِ أنواع المعارف بعد الخفا.

ولما تشرَّفتُ بحبّي لهم منذ عقَلْت، وبخدمةِ جنابهم، وتعزَّزتُ بلَثْم ثرى أعتابهم، قصدتُ زيادةَ البركةِ بترجمتهم في هذه الأوراق، ترجمةً يرتاح بذكرها العاشق المشتاق، تبعًا للأخ في الله، العالم المحدِّث، الشيخ أحمد العجمي، فإنه أجاد، فأحببتُ ضمَّ بعضِ زوائد إليه، وسمّيتُها: «**النفحة الرّحمانية في تراجم السّادات الوفائية**».

ورتبتها على: مقدمة، ومقصِد، وخاتمة.

والله أسأل، وبنبيه ﷺ أتوسَّل، أن يجعلها خالصةً لوجهه الكريم، وأن يختم لنا بالحسنى، آمين.

المقدمة

في الكُنية، وصِغَرِ القُرْص، ولُبْس الخِرقة

لمّا كانت الكُنْية سُنةً قديمةً في العرب، مأمورًا بها ممن حاز أعلى الرتب وتركها من الناس الأغلب، أحياها ساداتنا نضَّرهم الله، فكانوا أحقَّ بها وأهلَها، لِمَا لهم من نفحات القُرَب.

قال الحافظ ابن حجر: «الكُنْية- بضم الكاف وسكون النون- مأخوذةٌ من الكناية، تقول: كنيتُ عن الأمر بكذا: إذا ذكرتَه بغير ما يُستدل به عليه صريحًا».

وقد اشتهرت الكنى للعرب، حتى ربما غلبت على الأسماء: كأبي طالبٍ وأبي لهبٍ وغيرِهما. وقد يكون للواحد كنيةٌ واحدةٌ فأكثر، وقد يُشتهر بأُسمه وكنيته جميعًا، فالاسم والكنية واللقب يجمعها العَلَم، بفتحتين، وتتغاير بأنّ اللقب: ما أشعر بمدحٍ أو ذم، والكنية: ما صُدّرت بأبٍ أو أم، وما عدا ذلك فهو اسم[1].

---

(1) قال المرتضى الزبيدي: قال الجوهري في صحاحه: الكنية بالضم والكسر: واحدة الكنى، واكتنى فلان بكذا وفلان يكنى بأبي عبد الله، ولا تقل يكنى بعبد الله وكنيته أبا زيد، وبأبي زيد، تكنية، وهو كَنِيّه كما تقول سميته.

وقال الفيومي في مصباحه: الكنية: اسم يطلق على الشخص للتعظيم نحو أبي حفص، وأبي حسن، أو علامة عليه، والجمع كنى بالضم في المفرد، والجمع، والكسر فيهما لغة مثل برمة وبرم، وسدرة وسدر، وكنيته أبا محمد وبأبي محمد.

قال ابن فارس: وفي كتاب الخليل الإتيان بالباء هو الصواب، واكتنى زيد بأبي محمد انتهى.

قلت: والذي في كتاب العين تأليف الليث، يقول أهل البصرة: فلان يكنى بأبي عبد الله، وقال غيرهم: يكنى بعبد الله.

قلت: وتقدم عن الجوهري منع ذلك.

وقال الفراء: أفصح اللغات أن تقول: كنى أخوك بعمرو، والثانية كنى أخوك أبا عمرو.

وقال ابن سيده في المحكم: كنَّيت الرجل بأبي فلان، وأبا فلان على تعدية الفعل بعد النقاط الحرف كِنية وكُنْية. قال الراجز:

رَاهِـــبَةٌ تُكْنَــــى بـــأُمِّ الخيـــر

وكذلك كنَّيته عن اللحياني. وفي العين: يقال كنوته وكنيته واكتنيته وكنّيته، ونقل ابن سيده عن الكسائي أنه لم يعرف اكتنيته، قال وهذا يوهم أن غيره عرفه، ثم قال: وكنية فلان أبو فلان، =

=

وكذلك كِنيته أي الذي يكنى به وكُنوة فلان أبو فلان، وكذلك كِنوته كلاهما عن اللحياني وكنوته لغة في كنيته، قاله أبو عبيدة، وفي الصحاح وكُنى الرؤيا هي الأمثال التي يضربها ملك الرؤيا يكنى بها عن أعيان الأمور.

قلت: ومنه الحديث: «إن للرؤيا كنى ولها أسماء فكنوها بكناها واعتبروا بأسمائها».

قال ابن الأثير في النهاية: الكنى جمع كنية من قولك كنيت عن الأمر وكنوت عنه إذا دريت عنه بغيره أراد مثلوها أمثالاً إذا عبرتموها. وهي التي يضربها ملك الرؤيا في منامه لأنه يكنى بها عن أعيان الأمور كقولهم في تعبير النخل: « إنها رجال ذووا أحساب من العرب ».

وفي الجوز: إنها رجال من العجم.

وقوله: فأعبروها بأسمائها: أي اجعلوا ما يُرى في المنام عبرةً وقياسًا: كأن رأى رجلاً يسمى سالمًا فأوله بالسلامة، وغانمًا فأوله بالغنيمة انتهى.

وأما الكناية فهو أن تتكلم بشيء وتريد به غيره مما يستدل عليه نحو الرفث والغائط ونحوهما، وفي الحديث: «من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه أير أبيه ولا تكنوا».

وفي حديث بعضهم: « رأيت عليًا يوم القادسية قد تكنى وتحجى»: أي تستر من كنى عنه إذا ورى، أو من الكنية كأنه ذكر كنيته عند الحرب ليعرف، وهو من شعار المبارزين في الحرب، يقول أحدهم: أنا فلان، وأنا أبو فلان.

ومنه قول علي ﷺ: أنا أبو حسن القرم.

وفي المحكم: الكنية على ثلاثة أوجه: أحدها: أن يكنى عن الشيء يستفحش ذكره، والثاني: أن يكنى الرجل باسمه توقيرًا وتعظيمًا، والثالث: أن تقوم الكنية مقام الاسم فيُعرف صاحبها بها كما يُعرف باسمه، كأبي لهب عرف بكنيته فسماه الله بها .

الثانية: في بيانه قولهم أبو فلان.

قال الجوهري: وأما قولهم أبو فلان، فإن الأب أصله أبو بالتحريك والجمع آباء، وهو الجيد كما صرح به الأزهري قال: ويجوز أن يجمع بالنون فيقال: هؤلاء أبوكم: أي آباؤكم.

قال: ومن العرب من يقول: أبوتنا أكرم الآباء، يجمعون الأب على فعولة، كما يقولون: هؤلاء عمومتنا ونحوه.

ويُجمع الأب أيضًا على أبو كعلو عن اللحياني، وقال الأزهري: إنما شددوا الأب والفعل منه وهو في الأصل غير مشدد؛ لأن الأب أصله أبو بالتحريك، فزادوا بدل الواو ياء، كما قالوا: قن للعبد وأصله قني، ومن العرب من قال لليد يدّ فشدد الدال؛ لأن أصله يدي.

قال: والأبا لغة في الأب لم تُحذف لامه كما حُذفت في الأب يُقال: هذا أبا ورأيت أبا ومررت بأبا، كما تقول: هذه قفا ورأيت قفا ومررت بقفا.

ورُوي عن محمد بن الحسن عن أحمد بن يحيى ثعلب: يقال هذا أبوك، وهذا أباك، وهذا أبك.

فمن قال: هذا أبوك أو أباك فتثنيته أبوان، ومن قال: هذا أبُك فتثنيته أبان، على اللفظ، وأبوان على الأصل، ويُقال: هما أبواه لأبيه وأمه. وانظر: مزيل نقاب الخفا (ص15) بتحقيقنا.

وفي الحديث: «**بادروا أولادكم بالكنى قبل أنْ تغلِب عليهم الألقاب**»[1].

رواه أبو الشيخ في «الثواب»، وابن حِبان في «الضعفاء»، والدارَقطني في «الأفراد»، وابن عَدي، كلهم من حديث ابن عمر مرفوعًا، وسندُه ضعيفٌ وأورده الحافظ أبو الفرج في «الموضوعات»، فأخطأ كما بيّنه الحفّاظ.

ففي هذا الحديث- كما قال العارف الشعراني في «البدر المنير» - دليلٌ للسادة الوفائية في تكنية الأطفال، انتهى.

وقال الواعظ: وقد اشتهر في بلدنا مصرَ كنيةُ الساداتِ بني الوفا، وهي صِبْغةُ الله لمن توضَع عليه ولو كبيرًا، وربما كانت تحوّله من حال إلى حال ببركتهم كما هو مشاهَدٌ محسوس، وكانت كنيتي «أبو الصلاح»، فلله الحمد والمنة. انتهى .

وقال شيخُنا الشيخ علي الأُجْهُوري: هي بإلهامٍ من الله، يفتح به على صاحب السجّادة منهم، فينطق به للمتلبس بما فُتحَ به عليه، أو يتلبس به بعد.

قال: وأنا أقول في خبر: «إن منكم محدَّثين أو ملهمين، فإن يكن فعمر بن الخطّاب» مَثَلُه: الساداتُ الوفائية. انتهى كلامه.

وقد كانت كنية المصطفى ﷺ أبا القاسم، باسم أولِ أولاده قبلَ النبوة.

وروى الطبراني من حديث ابن عمرو بن العاص- في قصة مارية- أنّ النبي ﷺ قال لعمرَ بن الخطاب ﷺ: «**ألا أخبرك يا عمر أنّ جبريل أتاني، فأخبرني أنّ الله برأها وقريبَها مما وقع في نفسي، وبشّرني أن في بطنها غلامًا مني، وأنه أشبَهُ الناس بي، وأمرني أن أسميه إبراهيم، وكنّاني بأبي إبراهيم؟ ولولا أكرَهُ أن أحوّل كنيتي التي عرفت بها لتكنَّيت بأبي إبراهيمَ كما به كنّاني جبريل**»[2].

ورواه البيهقي وابنُ الجوزي وغيرهما مختصَرًا، عن أنس: لمّا وُلد إبراهيم من مارية كاد يقع في نفس النبي ﷺمنه، حتى أتاه جبريل فقال: «**السلام عليك يا أبا إبراهيم**»[3].

قال المناوي: ومِن كُناه «أبو المؤمنين»، ذكره بعضُ المفسِّرين.

وفي «الذخائر»: أنّ كنيته في التوراةِ «أبو الأرامل». انتهى .

وكان خيرُ الصَّحْب ﷺ يُكنى «أبا بكر»، بحيث غلبت كنيتُه على اسمه كأبيه، وهو على الأصحّ: عبدُ الله بنُ عثمانَ بنِ أبي قُحافة.

---

(1) رواه الديلمي في الفردوس (8/2)، وابن عدي في الكامل (15/2).

(2) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (162/9).

(3) ذكره المناوي في فيض القدير (184/4)، والهيثمي في مجمع الزوائد (161/9).

وكنى المصطفى ﷺ عمرَ بن الخطّاب ﷺ أبا حَفْص، رواه ابنُ إسحاق.

وكان عثمان- ﷺ- يكنى أبا عمرٍو وأبا عبدِ الله، كنيتان مشهورتان، والأُولى أشهَر.

وكان عليٌّ- ﷺ- يكنى أبا الحسن، وكناه النبي ﷺ بأبي تُراب، وكانت أحبَّ إلى عليٍّ كما في «البخاري»، عن سَهْل بن سعد.

وقال للصغير يا أبا عُمَير. وكنى حافظَ الصحابة أبا هُرَيرة.

وقيل: بل كنّاه أهلُه، بحيثُ غلبَت على اسمه، حتى اختُلف فيه -كأبيه- اختلافًا كثيرًا على نحو ثلاثين قولاً! الأصح منها: عبدُ الرحمن بن صَخْرٍ كما ذكره النووي.

وكنَّى آخرين بما يضيق عن سردهمُ الصُّحُف، وفي هذا كلِّه دليلٌ وأي دليلٍ على تكنية الساداتِ للبالغين الكبار أيضًا، والله أعلم.

وأمّا صِغَرُ القُرْص:

ففي «المواهِبِ اللَّدُنِّيَةِ»: قد تتبَّعت: هل كانت أقراصُ خُبزِه- صلى الله عليه وآله وسلم- صِغارًا أم كِبارًا؟ فلم أجدْ في ذلك شيئًا بعدَ التفتيش. نعمْ، رُوِيَ أمرُه بتصغِيرِها في حديثٍ عند الدَّيلَمِيّ عن عائشةَ- رضيَ الله عنها- ورفعته بلفظ: «**صغِّروا الخبز، وأكثروا عدده، يُبارَكْ لكم فيه**»[1].

وهو واهٍ، بحيث ذكره ابن الجوزي في «الموضوعات».

وعن ابن عمر مرفوعًا: «**البركة في صغر القرص**»[2].

وعن النسائي: «**إنه كذب**»[3].

لكن روى البزار بسندٍ ضعيفٍ من أبي الدرداء مرفوعًا: «**قوِّتوا طعامكم يبارك لكم فيه**»[4].

قال في «النهاية»: حكى الأوزاعي أنه تصغير الأرغفة، أشار إلى ذلك شيخُنا في «المقاصِد الحسنة»، ولعلَّ هذا سندُ شيخي برهان العارفين أبي إسحاق إبراهيم المَتْبُولي في تصغير أرغفةِ سِماطِه، كالشيخ أبي العباس أحمد البَدَوي، والسادات، إكسير معارف السعادات، أولي المواهبِ العليه، والحقائقِ المحمّدية: بني الوفا، أعاد الله من بَرَكاتهم

(1) ذكره المناوي في فيض القدير (194/4)، والعجلوني في كشف الخفا (32/2).

(2) رواه الديلمي في الفردوس (31/2)، وذكره القاري في المصنوع (76/1).

(3) رواه النسائي (351/5).

(4) رواه الديلمي في الفردوس (202/3)، وذكره المناوي في فيض القدير (529/4).

علينا، وواصَلَ إمداداتهم إلينا. انتهى .

وأمّا إلباسُهُم الخِرقةَ للمريد[1]:

(1) فائدة جليلة: ينبغي لكل طالب الآخرة أن يقصد شيخًا عالمًا عاملاً بحسن ظنٍّ وعقيدةٍ يحكِّمه في نفسه لمصالح دينه، يرشده ويهديه ويعرِّفه طرق المواجيد، ويبصِّره بآفات النفوس وفساد الأعمال ومداخل العدو وغير ذلك، فيسلِّم نفسه إليه، ويستسلم لرأيه واستصوابه في جميع تصاريفه، فيبايعه، ويلبِّسه الخرقة إظهارًا للتصرف فيه، فيكون لبس الخرقة علامة التفويض والتسليم، ودخوله في حكم الشيخ دخوله في حكم الله تعالى ورسوله، وإحياءً لسنة المبايعة مع رسول الله ﷺ؛ ففي الخرقة معنى المبايعة، والخرقة عتبة الدخول في الصحبة، والمقصود الكلي هو المحبة، وبالصحبة يرجَّى للمريد كل خيرٍ.

روي عن أبي يزيد البسطامي أنه قال: من لم يكن له إمامٌ فإمامه الشيطان.

وحكى الأستاذ أبو القاسم القشيري عن شيخه أبي عليّ الدقَّاق أنه قال: الشجرة إذا نبتت بنفسها من غير غارسٍ فإنها تورق ولا تثمر وهو كما قال، ويجوز أنها تثمر كالأشجار التي في الأودية والجبال ولكن لا يكون لفاكهتها طعم فاكهة البساتين.

قال الشيخ شهاب الدين السهرودي: وسمعت كثيرًا من المشايخ يقولون:

من لم ير مفلحًا لا يفلح، ولنا في رسول الله ﷺ أسوةٌ حسنةٌ؛ فأصحاب رسول الله ﷺ تلقَّوا العلم والآداب من رسول الله ﷺ.

كما روي عن بعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين: علَّمنا رسول الله ﷺ حتى الْخِراءة.

فالمريد الصادق إذا دخل تحت حكم الشيخ وصحبته وتأدَّب بآدابه يسري من باطن الشيخ حالٌ إلى باطن المريد، كسراجٍ يقتبس من سراجٍ، وهكذا إلى حضرة المصطفى ﷺ، فيفيض من روحانيته ﷺ نفحاتٌ على هذا المريد، ويعود عليه منه ﷺ مددٌ عظيمٌ، وكلام الشيخ يلقح باطن المريد، ويكون مقال الشيخ مستودعُ نفائي الحالة، وينتقل الحال من الشيخ إلى المريد بواسطة الصحبة وسماع المقال، ولا يكون هذا إلا لمريدٍ صادقٍ حصر نفسه مع الشيخ، وانسلخ من إرادة نفسه، ويفنى في الشيخ بترك اختيار نفسه، ويحذر الاعتراض على الشيوخ ظاهرًا وباطنًا؛ فإنه السُّمُّ القاتل للمريدين.

وقلَّ أن يكون المريد يعترض على الشيخ بباطنه فيفلح، وليذكر المريد في كل ما أشكل عليه من تصاريف الشيخ قصة موسى مع الخضر عليهما السلام، كيف كان يصدر من الخضر تصاريف ينكرها موسى عليه السلام؟ ثم لما كشف له معناها بان لموسى عليه السلام وجه الصواب في ذلك.

فهكذا ينبغي للمريد أن يعلم أن كل تصرفٍ أشكل عليه صحته من الشيخ عند الشيخ فيه بيانٌ وبرهانٌ للصحة، ويد الشيخ في المبايعة تنوب مناب يد رسول الله ﷺ.

قال الله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ الله يَدُ الله فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ الله فَسَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾** [الفتح:10].

=

=

وليأخذ الشيخ على المريد عهد الوفاء؛ فالشيخ للمريد صورةٌ يستشفُّ المريد من وراء هذه الصورة المطالبات الإلهية والمراضي النبوية.

وليعتقد المريد أن الشيخ بابٌ فتحه الله تعالى إلى جناب كرمه، منه يدخل، وإليه يرجع، ولينزل بالشيخ سوانحه ومهامَّه الدينية والدنيوية.

وليعتقد أن الشيخ ينزل بالله الكريم ما ينزل المريد به، ويرجع في ذلك إلى الله تعالى للمريد، كما يرجع المريد إليه، وللشيخ بابٌ مفتوحٌ من المكالمة والمحادثة في النوم واليقظة، فلا يتصرف الشيخ في المريد بهواه، وهو أمانة الله تعالى عنده.

ويستغيث إلى الله تعالى لحوائج المريد كما يستغيث لحوائج نفسه ومهام دينه ودنياه، وعلم أن للمريد مع الشيوخ أوان ارتضاع وأوان فطام، فأوان الارتضاع لزوم الصحبة، والشيخ يعلم وقت ذلك؛ فلا ينبغي للمريد أن يفارق الشيخ إلا بإذنه؛ قال الله تعالى تأديبًا للأمة: ﴿**وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ**﴾ [النور:62]، وأي أمرٍ جامعٍ أعظم من أمر الدين، فلا يأذن الشيخ للمريد في المفارقة إلا بعد علمه بأن له أوان الفطام، وأنه يقدر أن يستقلَّ بنفسه، واستقلاله بنفسه، أن ينفتح له باب الفهم من الله تعالى، فإذا بلغ المريد رتبة إنزال الحوائج والمهام بالله تعالى والفهم من الله تعالى وتعريفاته وتنبيهاته سبحانه وتعالى لعبده السائل المحتاج فقد بلغ أوان فطامه، ومتى فارق الشيخ قبل أوان الفطام يناله من الإعلال في الطريق بالرجوع إلى الدنيا ومتابعة الهوى وما ينال المفطوم لغير أوانه في الولادة الطبيعية، وهذا التلزُّم بصحبة المشايخ للمريد الحقيقي.

وأما كيفية المبايعة وأخذ العهد على المريد: فليأمره بأن يغتسل، ثم يصلي ركعتين، ثم يقول: أستغفر الله العظيم وأتوب إليه من جميع الذنوب ثلاثًا.

قال عليُّ بن أبي طالب ﷺ: حدثني أبو بكر الصديق ﷺ وصدق أبو بكر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَا مِنْ رجلٍ يُذنبُ ذنبًا ثُمَّ يقومِ فيتطهَّر ثم يصلي ركعتين ثم يستغفر الله تعالى إلا غَفَرَ له، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا الله فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾** [آل عمران:135]»، رواه الترمذي والنسائي.

ثم يقرأ الشيخ سورة الفاتحة وأوائل سورة البقرة إلى قوله تعالى: ﴿**وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[البقرة:5]، وخواتيمها.

ثم يقرأ قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ**﴾ [الفتح:10].

ثم يمسك بيده اليمنى يد المريد ويلقِّنه أُشهد الله تعالى وملائكته ورسله والحاضرين من خلقه أنِّي تائبٌ إلى الله تعالى من جميع الذنوب والخطايا، راغبٌ إلى الله تعالى في امتثال أوامره واجتناب نواهيه، مجتهدٌ على طاعته، منيبٌ إليه، مواظبٌ على خدمة الفقراء والمساكين، وذلك بحسب الطاقة، والله على ما نقول وكيل، ثم يقرأ الشيخ قوله تعالى: ﴿**يُثَبِّتُ الله الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ**﴾ [إبراهيم:27].

ثم يقول: العهد عهد الله سبحانه وتعالى.

واليد يد رسول الله ﷺ، ثم يغمض عينيه، ويُحضر قلبه ويلقِّنه كلمة التوحيد.

=

وهي في عُرْفِهم المنديل، ويقال: إنه المتوارَث مِن عهد سيدي محمد وفا ﷺ.

والمشدّ: وأول من أحدثه الشيخ أبو الفضل، فزاد خيرًا، فالأصل فيه ما رواه البخاري أنه- صلى الله عليه وآله وسلم- ألبَس أمَّ خالدٍ خَمِيصةً سوداءَ ذاتَ عَلَم، واسمها: أَمَةُ- بفتح الهمزة والميم- بنتُ خالد بن سعيد بن العاص، كُنِّيَتْ باسم ابنها: خالد بن الزبير بن العوَّام -رضيَ الله عنهم-.

وللسادة الصوفية -رضي الله عنهم- بلبس الخرقة- إسنادٌ مشهورٌ بينهم إلى الحسن البصري عن سيدنا علي بن أبي طالبٍ ﷺ، طعنَ فيه جماعةٌ من الحفّاظ، وقالوا: إنه باطلٌ لا أصلَ له، ونازعهم في ذلك بقيتُهم: الحافظُ السيوطي في مؤلَّفٍ له سماه: «إتحاف الفِرقة بِرَفْو الخِرقة».

قال فيه ما ملخَّصه: «أنكر جماعةٌ حُفّاظٌ سماعَ الحسن البصري ﷺ من سيدنا عليٍّ ﷺ، وتمسَّك به بعض المتأخّرين، فخدَش به في طريق لبس الخرقة. وأثبته جماعةٌ، ورجّحه الضياء المقدسي في «المختارة»، فقال: الحسن بن أبي الحسن البصري، عن عليّ.

وقيل: لم يسمع منه، وتبعه على هذه العبارة الحافظُ ابن حجرٍ في: «أطراف المختارة»، وهو، أي الإثبات، الراجحُ عندي، لوجوه:

الأول: أنّ المثبِتَ مقدَّمٌ على النافي؛ لأنّ معه زيادة علم، قاله الأصوليون.

الثاني: أنّ الحسنَ وُلد اتِّفاقًا لسنتين بقِيَتا من خلافة عمر، وكانت أمُّه خَيْرةُ مولاة أم سلمة، وكانت أمه تخرجه إلى الصحابة- رضيَ الله عنهم-، فكانوا يباركون عليه. وأخرجته إلى عمر، فدعاله: «**اللهمَّ فقِّهْه في الدين، وحبِّبْه إلى الناس**»[1]. أخرجه العَسْكَري.

وذكر المِزّي- بكسر الميم والزاي المشدَّدة- أنه حضرَ يومَ الدار، وله أربعَ عشرةَ

=

فإذا قالها صحيحةً يأمره بالإكثار منها ويدعو له بالخير.

ثم يقول: اللهمَّ اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مُضلِّين، مسلِّمًا لأوليائك، وحربًا لأعدائك، نحبُّ بحبّك من أحبَّك، ونعادي بعداوتك من خالفك.

اللهمَّ وفِّقنا لما تحبه وترضاه برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلى الله على سيدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا والحمد لله ربِّ العالمين، ويقرأ من كان حاضرًا الفاتحة.

(1) رواه المزي في تهذيب الكمال (104/6).

سنة، ومعلومٌ أنه من حين بلغ سبع سنين أُمر بالصلاة، فكان يحضر الجماعة، ويصلي خلف عثمان، فكيف يُستنكر سماعه منه وهو كل يوم يجتمع به خمس مرّاتٍ: من حين ميَّز إلى أنْ بلغ أربعَ عشرةَ سنة؟

وزيادةً على ذلك: أن عليًّا كان يزور أمهات المؤمنين، ومنهن أم سلمة، والحسنُ في بيتها هو وأمه.

الثالث: أنه ورد عن الحسن ما يدل على سماعه منه: روى المِزي من طريق أبي نعيمٍ، أن يونس بن عبيدٍ سأل الحسن: أنك تقول: قال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- ولم تدركْه!

قال: يا ابن أخي، لقد سألتني عن شيءٍ ما سألني عنه أحدٌ قبلك، ولولا منزلتك مني ما أخبرتك: إني في زمان كما ترى، وكان في عمل الحجّاج كل شيءٍ سمِعْتَني أقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو عن علي، غير أني في زمان لا أستطيع أن أذكر عليًّا.

وروى أبو يعلى في «مسنده»: حدثنا حوثرة بن أشرَس، أخبرنا عقبة بن الصهباء الباهليّ، قال: سمعت الحسن يقول: سمعت عليًا يقول: قال رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-: «**مثَل أمتي مثَل المطر، لا يُدرى أوله خيرٌ أم آخره**»[1].

قال الحافظ ابن حجرٍ في «تهذيب التهذيب»: قال محمد بن الحسن الصَّيرَفيّ، شيخ شيوخنا: هذا نصٌّ في سماع الحسن من عليّ، ورجاله ثقات.

ثم ذكر، أعني السيوطي، ما أخرجه الحفّاظ من رواية الحسن عن عليّ، فبلغ عشرة أحاديث، وذكر في أثنائها قول الزيْن العراقي في «شرحِ الترمذي».

قال ابن المدني: الحسن رأى عليًّا بالمدينة وهو غلام.

وقال أبو زُرعة الرازي: كان الحسن البصري يوم بويع عليّ ابنَ أربعَ عشرةَ سنة، ورأى عليًّا بالمدينة، ثم خرج إلى الكوفة والبصرة، ولم يلْقه الحسن بعد ذلك.

وقال الحسن: رأيت الزبير يبايع عليًّا.

ففي هذا القدرِ كفايةٌ، ويُحمل قولُ النافي على ما بعد خروج عليٍّ من المدينة. انتهى.

وروى البخاري وابن ماجة والطبراني، عن سهل بن سعد: أتته ﷺ امرأة ببردة،

---

(1) رواه الترمذي (152/5)، وأحمد (130/3).

فقالت: أكسوك هذه، فأخذها محتاجًا إليها، فلبسها، فرآها عليه رجلٌ في «الطبراني» أنه سعد بن أبي وقاص، وقال المُحب الطبري: هو عبد الرحمن بن عوف.

فقال: يا رسول الله، ما أحسن هذه! فاكسُنِيها. قال: «نعم». زاد في رواية ابن ماجه والطبراني: «فلمّا دخل طواها وأرسل بها إليه، فلما قام ﷺ لامَهُ أصحابه: أي: لام الآخذَ أصحابُ ذلك الآخذ، وقالوا: ما أحسنت حين رأيته أخذها محتاجًا إليها، ثم سألتَه إياها، وقد عرفت أنه لا يُسألُ شيئًا فيمنعَه، فقال: والله ما سألتها إلا لتكون كفني يوم أموت. قال سهل: وكانت كفنه»[1].

قال في «المواهب»: استَنبط منه الصوفيةُ جوازَ استدعاء المريدِ خرقةَ التصوف من المشايخ تبرُّكًا بهم وبلباسهم. انتهى .

* * *

(1) رواه الطبراني في الكبير (200/6)، والبيهقي في الكبرى (404/3).

المقصد الأول

في سرْدِ مشايخهم وبعضِ مناقبهم

سيّدي محمّدُ بنُ محمد وَفا السّكَنْدَريُّ الأصل

ويُقال: المغرِبيّ، ثم المِصريّ، الشاذِليُّ الصُّوفيّ ﷺ

[702- 765 هجرية]

ذو الموشّحاتِ التوحيدية، التي لم يَنسِج على منوالها أحدٌ من البرية، وشيخُ الخرقة الوفائية.

وكان وافر الجلال، فائق الخِلال، سار صوت صيتِه، واشتهر نبأ تذكيره وتبكيته، تمسك من فنون العلم بأفنان، وأغار بنظْمه ونثره عقود الجُمان وقلائد العِقيان، ولم يسمَّ بالسادات في مصر غيرُ ذريته الأعيان.

ولد- ﷺ- سنةَ اثنتين وسبعمائة، واشتهر بـ«وفا» لكونه كان ينسِج المناديل، وهو ساكنٌ بالروضة.

تَوقَّفَ النيلُ فتوضّأ وصلى بالمقياس، فصار كلما يطلُع من الفَسْقِية درجةً يطلع البحرُ معه، حتى «وفي» ذلك اليوم.

وألّف الكتبَ وهو أمّيٌّ ابن سبع سنين، وماتَ سنةَ ستين وسبعمائة.

ذكره المناوي في «طبقاته».

وكنيتُه: على ما في بعضِ المجاميع أبو التداني، وفي بعضِها: أبو الوفا.

وفي دِيباجة «شرح حزبِ الفتح» للتاج الوسيمي أنها أبو الفضل.

قال في «المِنَح»: وفي ليلة ولادته، وكانت بإسكندرية زمنَ الناصر محمد بن قلاوون، جاء الأستاذ التاج ابن عطاء الله ومعه أصحابه إلى بيته الذي وُلد فيه، فأُتي به وهو في القِماط، فقبَّله وقال لأصحابه: هذا جامعُ علم حقائقنا.

وماتَ والده محمّدٌ وهو صغير، فنشأ في كفالة جدِّه النجم محمد، وكان النجمُ أيضًا من أصحاب الأحوال.

اتفق أنه حضرَ المولدَ بإسكندرية في ربيعِ الأول عندَ شخصٍ عمِلَه مِن رؤسائها، فحصلَ له استغراق، فلمّا أفاق قال: رأيتُ، أيِ منامًا، أنني خائضٌ في سماء الدنيا إلى حِقْويّ. وكان أميرُها حينَئذٍ حاضرًا، وعندَه استهزاءٌ بالفقراء، فقال: وأنا رأيتُ أني خائضٌ فيها إلى حِقْويَّ!

فقال له النجم: أمّا أنا فصدقت، وأما الأبعدُ فكَذَب، وسيُصابُ في حِقْوَيه، فما قام من المجلس إلا مكسَّحًا!

وكان جالسًا مرةً على شاطئ البحر المِلْح بثغر إسكندرية، وإذا بامرأةٍ تبكي وتنتحب وتقول: إن ابنها غَرِقَ في البحر! فأدلى يده في البحر فطلعَ بولَدِها حيًا.

ومشى مرةً بإسكندريةَ وصاحبُ الترجمة على كتفه. قال: فرأيتُ النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- يقول: «من لقي الله وفي قلبه مثقالُ حبةٍ من سِواهُ لقيته لُقِيًّا نَدِمًا».

واجتمع بالعارف الشيخِ إبراهيم الدُّسُوقيُّ في محل تعبده بدُسُوق، فسلّم عليه فلم يلتفت إليه، فنظر إليه النجم وقال: ليس الشأن هذا، قمْ معي، فمسك بيده ونزل به: من الغرقة التي كان بها الأرض الفَلاة زمنَ الربيع، فاستغرق النجم في واردِ ذكرٍ بقَول: «الله، الله»! فقال لسيدي إبراهيم: كذا يكون الشأن.

توفي الدسوقي سنة ستٍّ وسبعين وستمائة، وهاجر النجمُ بعدَ ذلك بمدة.

وفي «طبقات الشعراوي»: وكان سيدي محمد وفا من أكابر العارفين، وأخبر ولدُه سيدي عليٌّ أنه خاتم الأولياء، صاحبُ الرتبة العلية، وكان أميًا له لسانٌ غريبٌ في علوم القوم، ومؤلفاتٌ كثيرةٌ ألّفها في صِباه وهو ابنُ سبعٍ أو عشر، فضلاً عن كونه كَهْلاً، وله رموزٌ في منظوماته ومنثوراته مُطلسَمةٌ إلى وقتِنا هذا لم يَفُكَّ أحدٌ ما فيها، ولا يعلم معناها.

وسُئل سيدي عليٌّ أن يشرحَ شيئًا من «تائية» والده، فقال: لا أعرف مراده؛ لأنه لسانٌ أعجميٌّ على أمثالنا.

ولمّا دنت وفاته خلع ناطقته على الأبزاريّ بالإسكندريةِ صاحب الموشحات، وقال: هذه وديعةٌ عندك حتى تجعلَها على ولدي عليّ. فعمِل الموشحات الظريفة إلى أن كبر سيدي عليّ، فخلعها عليه، ثم رجع لا يعرف يعمل موشحًا كما أخبر عن نفسه.

وسُمّي «وفا»؛ لأن بحر النيل توقف ولم يزد أوان الوفا، إلى أن عزم أهل مصر على الرحيل، فجاء إلى النيل وقال: اطلع بإذن الله، فطلع ذلك اليوم سبعةَ عشرَ ذراعًا ووفي، فسمَّوْه: «وفا». انتهى .

ونحوه في «المنح»، قال: سمعتُ من سيدي أبي الفتح أن النيلَ توقف، فهَمَّ الناس بالجلاء فقصدوه، وكان مشهورًا بالدعوة المُجابة، فمشى إلى شاطئ البحر وصلى ركعتين، ثم دعا الله بما شاء، ثم رجع ماشيًا وهو يقول: وفا وفا! والبحر تابعٌ أقدامه الشريفة إلى أن وفا في ليلة، فمن ثَمَّ سمي: سيدي وفا. انتهى .

قال- أعني في «المنح»-: وسمعت أبا الغنائم يقول في قول الأستاذ عبد القادر الجيلاني شعرًا:

أفَلَتْ شموسُ الأولينَ، وشمسُنا أبدًا على طُولِ المدى لا تغرُبُ

قال: أراه أراد بهذا الكلام هذه الحضرة، فأنه شمسهم. انتهى.

وتوفي كما في «المعجم» و«طبقات المناوي» سنة ستين وسبعمائة، في زمن السلطان حسن. وفي «تبصِرة أولي البصائر»: سنة خمسٍ وستين وسبعمائة.

فعلى الأول: يكون عاش ثمانيًا وخمسين سنةً، وعلى الثاني: ثلاثًا وستين سنة.

قال في «التبصِرة» أيضًا: وكان ممن أخذَ عن ياقوتِ العَرْشي، وحلَّ عليه نظرُ التاج ابنِ عطاء الله. انتهى.

ولا يُشكِلُ بأن سنَّ الأستاذ محمد وفا يوم موتِ العرشيّ خمسُ سنين، إذ هو مات كما في «طبقات الشعراوي» سنةَ سبع وسبعمائة؛ لأنه ممكنٌ من مِثلِ هذا الذي ألَّف وهو ابن سبع، خصُومًا والأخذُ نحوُ تلقينِ ذِكر، وتمييزِ الشيخ ومعرفته.

وفي قصةِ محمود بن لَبيدٍ الصحابي أنه عرَف المصطفى - صلى الله عليه وآله وسلم- وهو ابنُ خمسِ سنين، وقيل: أربعة- ما يؤيّدُ ذلك -.

وذكر الشعراني وتلميذُه أنه أخذ الطريقَ عن داود بن باخلا: أي وياقوتٍ العرش كما مرّ عن «التبصِرة».

فداود عن سيدي تاج الدين بن عطاء الله، وهو، والثاني، عن أبي العباس المُرسي، عن القطب أبي الحسنِ الشاذلي.

وفي «طبقات المناوي» نقلاً عن شيخه الشعراوي: إن كتابَ «المشاعر» له، و«المشاهد»، و«عنقاء مغرب» لابن عربي، و«خلْع النعلين» لابن قسِيّ، لا يكاد يفهم العلماءُ منها معنىً مقصودًا أصلاً، بل هو خاصٌ بمن دخلَ مع ذلك المتكلِّم حضرةَ القُدس، فإنه لسانٌ قدسيٌ لا يعرفه إلا الملائكة أو مَن تجرد عن هيكَلِه من البشر وأهل الكشف. انتهى.

ومن كلامه كما في «طبقات المناوي»: التسليم انقياد النفس بخِطَام الطاعة إلى قبول ما ورد عليها من الحقّ. وحقيقته وقوفها في موقف ترك الاختيار، وغايتُه الإعراضُ عن التعرّض على الأقدار، وإقرار العقل، بعد الاعتراف بالعجز عن فهم سر القدر».

وقال: «الإخلاص: تصحيح القُربات من آفات علل الالتفات. وحقيقته: تقديس المحبة عن نجاسة الشرك الخفيّ، وغايته: استحضار حضرة الواحد، الذي لا يقبل الثَّنَوية، ولا يُشهد مع وجوده حكمُ المعِيّة».

وقال: «التواضعُ: خفضُ جناح الذل بعزّة الحق، ومحقُ كِبْر النفس بمبارَية عظَمة الجبروت. وحقيقتُه: اعترافُ النفس بالعبودية، مع دوام استحضار حضرة الربوبية.

وغايته: تلاشي النفس عن تطلّع إحاطة الحق في كل شيء».

وقال: «المراقبة: حذَرٌ يمنع صاحبه من الغفلة عن ملحوظه. وحقيقتُها: إعمالُ الفكر في استخراج أسباب النجاة. وغايتُها: مطالعة الغيوب في كل شيءٍ من كل الجهات».

وقال: «الفناء: اضمِحلال كل مفترقٍ مُتوهمٍ لا ينتهي إلى غاية. وحقيقته: صدق العدم الذاتيّ على كل موجود».

وقال: «البصيرة: فقه القلب في حل إشكال مسائل الخلاف فيما لا يتعلق العلمُ به تعلُّقَ القطع. وحقيقتها: نورٌ يُقذف في القلب، يستدِل به العقلُ الخابطُ عشواءَ على سبيل الإصابة. وغايتها: النظر إلى الحق من الوجه الذي ينظُر هو إليه منه».

وقال: «من أحب شيئًا عَبَدَه، ثمرة العبادة مع المحبة تنسخ صورةَ العابد بصورة المعبود، والنسخ إزالةُ صورةِ الشيء بالشيء، وهو هنا إزالة سَتر، كإزالة العقل لعارض السكر، أو إزالة إعدام».

وقال: «ليتَ شِعري! إذا لم يكن للإنسان فعلٌ ولا اختيارٌ ولا تدبير، فلِمَ يُجزى الجزاءَ الأوفى؟!».

وقال: «الفقر: تجريد التاء، التي هي ضمير المتكلم، عن الإضافة لها مطلقًا. وحقيقته: قطع أسباب العلائق، وحسم مادة تصور المُلك»، وكلامه على هذا الأسلوب كثيرٌ مدوَّن. انتهى.

قال الشعراوي: له كتاب «العرش»، وكتاب «الشعائر»، وديوانٌ عظيم، ومؤلفاتٌ أُخر، وقد ذكرنا مَناقبه في كتابٍ مستقلّ. انتهى.

وتطلَّبنا ذلك الكتابَ فلم نجدْه، ولعلَّ الله يُرِيناه هذا، ومما شاع ذكره وذاع، واستفاض وملأ الأسماع، أنّ الأستاذَ محمد وفا، المترجم، لمّا مات وكفَّنوه وحنَّطوه، اختلفوا في محلِّ دفنه، فصاح من بين أكفانه: ادفِنوني بين سعدٍ وعطا، يريد: الشيخ أبا السعود بن أبي العشائر، والشيخ تاج الدين بن عطاء الله.

وقد ضمَّن ذلك الإمام محمدٌ الفارِضيُّ النّحْوي شارحُ «الألفية» قصيدةً له، فقال:

مـن تَعـدّى عـن حِمـاكُمْ وخَطـا　　لـيَسَ يـدري مـا صـوابٌ وخَطـا

يـا كـرامَ الحـيِّ، يـا أهـلَ الـوَفا　　مَـن لَـوى عـنكُمْ سَـها أو غَلِطـا

أنـتمُ للجسمِ رُوحٌ وغِـذا　　لـو سَـلاكُمْ جسَدٌ مـا نَـشِطا

مـن نَـوى يـومًا عَفافًـا عـنكُمْ　　شَـطَّ عـن أصْـلٍ، ولاقـى شَـطَطا

والـذي مِـنّا لـهُ وجْـدٌ بِكُـمْ　　مـا اعتَـراهُ القـبْضُ إلا انبَـسَطا

مـن يَفُـتْهُ نظْـرةٌ مِـن لَحْظِكُـمْ　　سـامَهُ المـنْعُ، وأَخْطـاهُ العَطـا

حُـبُّكُمْ للمَـرْءِ نُـورٌ وغِنـى　　مَـن يَخُـضْ فـي غيـر هـذا غَلِطـا

أنـا لا أعـتِبُ فـيكُمْ مُنكِـرًا　　مـن عـيونِ الـناسِ جمْعًـا سـقَطا

فهْـوَ طُـولَ الدّهْـرِ فـي سـافِلةٍ　　كلَّمـا رامَ صُـعودًا هـبطَا

صـدَّ جهْـلاً، فهْـوَ لا يُـشبِهُني　　لـيَس راجٍ مِـثْلَ مَـن قـد قـنَطا

يـا وَفـا أَهْلِـيكَ، آمـنّا بـهِ　　لـم يـزِدْنا خَبَـرًا كـشْفُ الغَطـا

جـدُّكَ الأعلـى لـهُ خارِقـةٌ　　بعـدَ مـوتٍ ظهَـرَتْ دونَ غَطـا

بالـسُّيوفِ اقْتَـتَلوا فـي دَفْـنِهِ　　وهْـوَ مَـيْتٌ بلِفـافٍ حُـنِّطا

كلُّهـمْ قـال: أنـا الأوْلـى بـهِ　　لِيـرى ذُخْـرًا لـهُ أو فَـرَطا

بيـنَما هُـمْ فـي خِـصامٍ حـوْلَهُ　　وهْـوَ فـي أكفانـهِ قـد بُـسِطا

صـاحَ فـيهِمْ فاضـلاً بيـنَهُمْ　　بكـلامٍ مُـستَجادٍ ضُـبِطا

قـالَ جهْـرًا وهْـوَ مُلقـىً بيـنَهُمْ　　اِدفِنونـي بـينَ سـعْدٍ وعَطـا

دَفـنوهُ هـهُنا بيـنَهُما　　فادخُـلِ الحـيَّ تجِـدْهُ وَسَـطا

مـن هُـنا يخدُمُـهُ الـسّعْدُ، ومِـن　　ههُـنا راحَ يُحيِّـيهِ العَطـا

يــا لَهــا مِــن فــضْلِهِ مَنقَــبةً حُفِظَــتْ عــنهُ، علــيها غُــبِطا
وصــلاةُ الله ذي العــرْشِ علــى مَــن علــيهِ جبــرئيلٌ هَــبَطا
وكــذا الآلُ مــعَ الأصــحابِ مــا مُــدْلِجٌ جَــدَّ سُــرىً فــوقَ مَطــا

ولدُهُ العارِفُ الكبيرُ سيّدي
عليُّ بنُ محمّدِ وَفا بنِ محمّدِ بنِ النّجمِ محمدٍ ﷺ
[759- 807 هجرية[1]]

الشاذليُّ المالكيّ الصوفي، الذي اشتُهر قدرهُ، وعلا على الجوزاءِ ذِكرُه.

وعظ وذكَّر وهو خالي من النبات، حيَّر العقولَ بما له من الإقدامِ والثبات، واجتهدَ ودأب، وتمسّكَ بعُرى الفضل والأدب، ونظمَ ونَثَر، ووعظَ وكتب.

قال الحافظ ابن حجر: «كان يقظًا، حادَّ الذهن، كثير الأتباع جدًا، وأحدث ذكرًا بألحانٍ وأوزانٍ مطبوعة».

---

(1) سيدي عليٌّ ﷺ: هو الوارث الكامل والعالم المحقق، ودائما ما يوصف بأنه لسان الزمان، ومكتوبٌ على مقامه المنيف الكائن بالمشهد الشريف ما نصُّه: هذا مقام روح أرواح اللطائف المحمدية، لسان حضرة الجلال بمرتبة التكميل بعد الكمال ....، ولد ﷺ سنة تسعٍ وخمسين وسبعمائة، بالقاهرة، ومات أبوه وهو طفلٌ.

قال عنه الشيخ الشعراني في «الطبقات»: كان في غاية الظُّرف والجمال، لم يُر في مصر أجمل منه وجهًا ولا ثيابًا، وله قُدِّس سرُّه نظمٌ شائعٌ وموشحاتٌ سبك فيها أسرار أهل الطريق، وله كلامٌ عالٍ اهـ.

ونقل من كلامه ووصاياه الكثير، وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ: كـ«**الوصايا**»، و«**المسامع الربانية**»، و«**الكوثر المترع في الأبحر الأربع**»، و«**خصوصية الاصطفا لأهل الوفا**»، وغير ذلك.

كان قدِّس سرُّه يقول فيما بينه وبين والده سيدي محمد: يا أصحابنا الربانيين السلام علينا وعليكم ورحمة الله وبركاته، أنا لمولانا ولده في مدارك أهل الولادة، وأنا عبده في مدارك أهل السيادة، وأنا هو، وهو إياي في المدارك المجردة عن حكم الزيادة، المطلقة من مراتب القيود والعادة، فمن شهدني مولاي فأنا له نورٌ، ومن احتجب بي عن مولاي فأنا عليه ظلمةٌ، وقد نصحت وبيَّنت، ﴿ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[الإسراء:96] أيها المنتصح فافهم اهـ.

ويطلق عليهم أكابر أهل الولاية اسم: (السلسلة الوفائية)، وذلك لمعنًى قائمٍ بهم؛ فاعلم.

قال الشيخ الشعراني: طالعت كثيرًا وقليلاً من كلام الأولياء فما رأيت أكثر علمًا ولا أرقى مشهدًا من كلامه اهـ.

وقال في «معجمه»: «اشتغل بالأدب والعلوم والوعظ، وتجرَّد مدّةً وانقطع، ثم تكلّم على الناس».

قال: «وله تصانيف، منها: «الباعث على الخَلاص من سُوء الظنّ بالقُصّاص»، ردَّ فيه على الحافظ زين الدِّين العراقي، و«الكوثر المُتْرَع في البُحُور الأربع»، يعني: في الفقه.

وقال المَقْريزي: كان جميلَ الطريقة، مُهابًا معظَّمًا، صاحبَ كلامٍ مفيد، ونظمٍ جيّدٍ رقيقٍ بديع، وتعددت أتباعه، ودانوا بحبه، واعتقدوا أنّ رؤيتَه عبادة، وتبعوه في أقواله، وبالغوا في ذلك مبالغةً مُفرِطة، وسمَّوا ميعاده «المشْهَد»، وبذلوا له رغائبَ أموالهم، هذا مع تحجُّبِه وتحجُّبِ أخيه الشيخ أحمد التحجُّبَ الكثيرَ إلا عندَ عملِ الميعاد، أو البروزِ لقبرِ أبيهم وتنقُّلِهم في الأماكن، بحيث نالا من الحظِّ ما لم يَرْتَقِ إليه مَن هو في طريقتِهم».

وقال غيره: «كأنّ مستحضرًا لجُمَلٍ من التفسير، وله تفسيرٌ، وله نظمٌ جمّ، و«ديوانه» متداولٌ بالأيدي، وجيّدُ شعرِه أكثرُ مِن رديئه».

وأمّا نظمُه في التلاحين والحقائق، وتركيزُه للأنغام، فغايةٌ لا تُدرَك، وتلامذته يتغالَوْن فيه إلى حدٍّ يفوقُ الوصف».

وقال بعضُ من صنَّف في الطبقات: «كان فقيهًا، عارفًا بفنونٍ من العلم، بارعًا في التصوّف، حسنَ الكلام فيه».

وقال بعضُهم: «كان ظريفًا، يلبس الملابسَ الفاخِرة، ويأكلُ أنفسَ الأطعمة، حتى قُوِّمت أواني الصيني التي في سِماطِه بألفِ دينار».

وقال شيخُنا الشعراوي: هو «غايةٌ في الظرف واللطف، لم يُرَ في عصرِه أظرفُ منه، وموشَّحاته في «ديوانه» تشهَدُ له، مع أنه سَبَكَ فيها أمورًا تُضرَبُ فيها الأعناقُ لو فُسِّرت». انتهى ملخَّصًا من «طبقات المناوي».

وفي «تاريخ العلاء بن القصّاص» أنه: «كان من عُبّاد مصر، وتجرَّد في ابتداء أمره بعدَ حفظِ القرآن والفقهِ على مذهبِ مالك وعلمِ الحديث، وسلَكَ طريقةَ الصوفية، وحصلَ له منها النصيبُ الأوفى، واليَدُ الطُّولى، وصنّف فيها كتبًا حسنة، وله ديوانُ شعر ينبغي أن يكونَ يتيمة الدهر في رِقّتِه وحُسْنِ نظمِه وعُذُوبةِ لفظِه. وكأنّ له مشهَدٌ عظيمٌ في كل يوم أربعاء، يَعِظُ فيه الناس على طريقة الصوفية».

وفي «طبقات الشعراوي»: كان في غاية الظرف والجمال، لم يُرَ في مصر أجمل

منه وجهًا ولا ثيابًا، وله نظمٌ شائع، وموشحاتٌ ظريفةٌ سبَك فيها أسرارَ أهل الطريق في دسكرة الخلاع- ﷺ- وله عدةُ مؤلَّفاتٍ شريفة، وأُعطِيَ لسان الفَرْق والتفصِيل زيادةً على الجمع، وقليلٌ من الأولياء من أُعطي ذلك. وله كلامٌ عالٍ في الأدب، ووصايا نَفِيسةُ نحوَ مجلدين، ورَدَت عليه فأملاها في ثلاثة أيام، قال فيها: كان مولدي سحَرَ ليلة الأحد، سنة إحدى وستين وسبعمائة، كذا رأيته بخطه. انتهى.

فتبرّأ منه لمخالفته لما أطبقَ عليه الحفّاظ والمؤرخون، كابن حجرٍ والسيوطي والسخاوي والمناوي وابن الشِّحْنة وغيرِهم، مِنْ أنّ مولدَه بالقاهرة سنةَ تسعٍ وخمسين وسبعمائة.

قال المناوي: «ومات أبوه وهو طفل، فنشأ هو وأخوه أحمد في كفالة وصيّهما الزِيلَعي، فلما بلغ صاحبُ الترجمةِ تسعَ عشرةَ سنة جلسَ مكان أبيه، وعمل الميعاد، وشاع ذكره، وبَعُد صِيتُه، وانتشرت أتباعه، وذُكِرَ بمزيد اليَقَظة وجَودة الذِّهن، والترقي في الأدب والوعظ، ومعرفةِ تقدير كلام أهل الطريق». انتهى.

وهو يَرُدُّ قولَه في ترجمة أبيه لمّا دنت وفاته: «كان ولدُه سيدي عليٌّ حمْلاً، فخلع ناطقتَه على الأبزاري ....» الخ.

كما يردُّه نقلُ صاحب «المنح» عنه، أنه قال لوصيّة الشمس الزَّيلَعي: ولدَاَي هذان ليسا كأولادِ الناس، بل هما رُوحٌ واحد في جسدَين، وهما في الحقيقة روحي، وقد أخذتُ مِن الله عهدًا أنّ من أحبَّهما كان مِن أحبابِ الله، ومن أبغضَهما كان من أعداء الله. انتهى. اللهم إلا أن يكون أوصى وهو حمْل، ثم لم يمت حتى ولد، وبعد ولادته بمدةٍ مات، والعلم عند الله.

هذا، ووقع في كلام الحافظ ابن حجر، وتَبِعَهُ السخاوي والسيوطي: إنَّ أباه كان معجَبًا به وأذِنَ له في الكلام على الناس وهو دون العشرين.

وتعقَّبه ابنُ فهدٍ بأنه غير مستقيم، ومع كونه في «الدرر» أرَّخ موتَ والده في سنة خمسٍ وستين وسبعمائة، وكان مولد المترجَم سنة تسعٍ وخمسين: أي فيكون سنة يوم موت أبيه ستَّ سنين، بل مرَّ في ترجمة والده أنه أرَّخ في «المعجم» و«الطبقات» موته سنةَ ستين، فيكون ابنَ سنةٍ واحدة.

وأُجيب: بجواز أنّ والدَه أَذِن له حالَ الطفولية في التكلُّم إذا بلغ ذلك السنّ، ويؤيّده خلع الناطقةِ على الأبزاري كما مرّ، وإعجابه لِمَا اطَّلع عليه من الأسرار الربانية.

وفي «شرح الحِكم» لأبي المواهِب التونُسيّ: اتفق لأستاذ طريقتنا سيدي علي وفا

أنّ السلطان برقوقا أرسلَ يدعوه إليه فامتنع، فقال السلطان: أنا أسعى إليكم، لكن أطلُب الإذنَ منكم، فامتنع. فقال: أريدُ أن أفوزَ بقضاء حاجةٍ لكم. فقال الأستاذ: هيهات! نحن قومٌ لا نرفع حوائجَنا إلا إلى الله سبحانه وتعالى، ولنا في هذا المعنى:

وحقِّكَ لا أسأَلْ لِغيرِكَ ولا أرتجي مَولىً سواكَ ولا أرى
أأَسأَلُ مخلوقًا ضعيفًا وعاجزًا لَعْمري، سؤالُ الخلْقِ بُعْدٌ بلا مِرا

وأبو المواهب التونُسيّ هذا ذكر الشعراوي أنه أعطي ناطقة سيدي علي بن وفا، يعمل الموشحات الربانية، وألف الكتبَ الفائقةَ اللدنية، وكنّاه سيدي يحيى أبو السيادات بأبي عابد. قال: فرأيت سيدي عليًا، فقال: هذه الكنيةُ لا تصلحُ لك، إنما تصلحُ لأربابِ الأثقال، وإنما كنَّيتك بأبي حامد، قال: ثم رأيتُ النبيَّ -صلى الله عليه وآله وسلم- فقال لي: «كُنْيتك عندَنا أبو حامد، وكذلك في السماء، وقد دخلتَ في دائرة بني وفا، وأنتَ وليّ»، انتهى.

وفي «طبقات المناوي»: ومن كلامه- رحمه الله تعالى- يعني الأستاذ سيدي عليًا المترجَم-: «إنما كانت شريعةُ سيدنا محمّدٍ ﷺ ليس بعدَها شريعة، لكونها نزلت من الفَلَك الثامن، وهو فَلَكٌ ثابت، ولأنها جاءت بجميع ما جاءت به الأنبياء قبله وزيادة».

وقال: «لا يسُودُ رجلٌ على قومٍ إلا إن آثرَهم على نفسه ولم يشاركهم فيما يستأثرون به عليه».

وقال: «لا تهجُرْ من أخيكَ إلا صفتَه المذمومةَ لا ذاتَه، فإذا تاب منها فهو أخوك».

وقال: «لا تَعِبْ أخاك، ولا تعيّرْه بمصيبةٍ دنيوية؛ لأنه إمّا مظلومٌ وسينصُرهُ الله، أو مذنبٌ عُوقب فطهَّره الله، أو مبتليً وقعَ أجرُه على الله. ومن الرعونةِ أنْ يفتخرَ أحدٌ بما لا يأمَن سلْبَه، أو يعيَّر بما لا يستحيلُ في حقه، ويعلَم أنّ ما جازَ على مثله جازَ عليه».

وقال: «الشيطان نارٌ، وحضرة الربِّ نورٌ، والنورُ يطفئُ النار، فلا تجاهد وأنت بعيدٌ عن نور حضرة الرب».

وقال: «الحظوظ الدنيوية زِبالة، فمَن أظهرَ للناس خصوصيته الربانية لينال منهم حظًا دنيويًا فكأنه يسعى أنّ يكون زبّالاً».

وقال: «ليس لأحدٍ أن يمكّن أحدًا من تقبيل يدِه إلا إن صحبه من الحق ما صحب الحجر الأسود من حفظِ عهود الحق في الخلق، والتطهُّرِ من لَوْثِ تحكّم الوَهم البَهيمي، وعدم الشهوةِ المغفِلةِ عن الله، والحظِّ المُشْغِل عنه، والرعونةِ المضلَّة عن طريقه، وتحمّل خطايا الخلق ولو اسودَّ بهم وجهه، وتذكيرهم بربهم، فمن جمعَ هذه

الصفاتِ فهو يمينُ الله في الأرض كالحجر الأسود.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ﴾ [الفتح: 10].

وقال: «من أرادَ انقيادَ العالم له انقيادًا ذاتيًا فلا يحبَّ إلا الله تعالى ومن أمَره بمحبته، وحينَئذٍ تسارع الأكوان كلُّها لطاعته».

وقال: «كلَّما كان حادي القوم مناسِبًا لهم في حالهم، كان أشدَّ تأثيرًا في قلوبهم».

وقال: «لا ينبغي لعارفٍ أن يُظهِرَ لغيره من معارفه إلا ما يعلم قبوله له، ﴿لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ﴾ [يوسف: 5]».

وقال: «ما اشتغل متزوِّجٌ عن الله تعالى إلا لعدم النيةِ الصالحةِ في التزوُّج».

وقال: «نيةُ القربات تصيِّرُ العادات عبادات».

وقال: لكل وليّ خَضِرٌ متمثِّلٌ من رُوحِ ولايته بصورة الخَضِر المشهور».

وقال في خبر: «ما سلكَ عمر فجًّا إلا سلك الشيطان فجًّا غيره»: «إنّ ذلك المقام مِن حين أسلم».

وقال: «الخنق لغة: الضيق، والخانق: الطريق الضيّق، ومنه سُمِّي المكان الذي تسكنه الصوفية «الخانقاه» لخنقهم نفوسَهم بتضييقهم عليها».

وقال: «لا تخرِق حرمةَ من أُمِرتَ باحترامه فتُعاقَب».

وقال: «ليس للسالك أن يتكلمَ بما اطَّلع عليه للهالك، فإنه يزيده هلاكًا وإنكارًا».

وقال: «من طلبَ أن لا يكونَ له حاسدٌ تمنّى أن لا يكون عندَه من الله نعمة، فإن الحُكمَ الوجوديَّ اقتضى مقابلةَ النِّعَم بالحسَد، لا بدَّ من ذلك.

ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: 5] عبَّر بـ: «إذا»، دون «إن»، وأمر بالاستعاذة من الحاسد، لا من وجوده».

وقال: «العارفُ لا يُمكِن في حقّه الرياء، لأنّ الحقَّ مشهودُه في عبادته فلا يرى فيها سواه لِيُرائيَه».

وقال: «حبُّك للشيء على قدر بغضك لضدّه، مِثلاً بمِثل، ووزنا بوزن، سواءٌ بسواء».

وقال: «لا تستعِذْ من الأشياء، بل مِن شرّها».

وقال في حديث: «الأنصار شِعار، والناس دِثار»: الشعار: ما مسَّ البشرة، والدثار: ما بعده. فكانوا شعارًا؛ لأنّ حبهم لا لعلةٍ سوى التحقُّق به، والناس دثارٌ لتعلُّقهم بالعلل الخارجة.

وقال: «مِن أبعد المطالب عن الصواب مطالبةُ العبدِ ربَّه بالثواب، فإن الحق يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وشأنُ العبدِ الامتثال».

وقال: «إنما أمَرَ الحقُّ ونهى منك قلبَك؛ لأنه السامعُ الفاهم، ولا يؤدي عنك ما كُلِّفت به إلا هو، فمتى عمل بدنُك عملاً وقلبُك غافلٌ لم يُحسَب لك، ولم يسقُط عنك الطلب، وإنما يسقُط اللَّوم الظاهر لمباشرة البدن للعمل شرعًا لظنِّ حضور القلب، فراقب علاَّم الغيوب، فإنه ناظرُ إلى القلوب».

وقال: «احذر أن تزدريَ أهل الخِلَعِ الخفيةِ من الفقراء الشَّعِثةِ رؤوسهم، المغبرَّةِ وجوهُهم، فإنَّهم ناظرون إلى ربهم، وإنما أنت أعشى البصر».

وقال: «إياك أن تحسُدَ من فضَّله عليك فتُمسخَ كما مُسِخَ إبليس: من الصورة الملكية إلى الشيطانية».

وقال: «مادمتَ صاحبَ صفاتٍ كريمةٍ فأنت باقٍ على أنسانيتك، فإن نُسخت منك الكرائمُ بالذمائم نُسخت أنسانيتك بالصورة الشيطانية، وأنْ خلطت لم تكن إنسانًا خالصًا، ولا شيطانا خالصًا، وبينهما تفاوتَ المتفاوتون، والحكمُ للأغلب».

وقال: «من أرادَ من الفَسَقة أن يكونَ في حفظ ربِّ العالمين فلْيخدم الصالحين».

قال تعالى: ﴿**وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ**﴾ [الأنبياء: 82]، فانظر كيف حُفِظَ الشياطين لمّا خدَموا العارفين».

وقال: «جميعُ الأعمال إنما شُرِعَت لتذكُّرَ بمشرِّعها سبحانه وتعالى لئلا ينسوه ويصبوا لغيره: ﴿**وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي**﴾ [طه:14]».

وقال: «مَن أحبَّ ثباتَ الإخوان على ودِّه وثناءهم عليه بكل لسان، يقابلهم إذا آذَوْه بالحِلْم والغفران».

وقال: «مَن اشتغل قلبه بحب شيء من الأكوان ذل عند الله وهان، ﴿**وَمَن يُهِنِ الله فما لَهُ مِن مُّكْرِمٍ**﴾ [الحج: 18]».

وقال في آية: ﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾ [البقرة:30]: «خصّ الأرض؛ لأنّ آدم كان خليفةَ الملأ الأعلى حيثُ خرُّوا له ساجدين».

وقال: «شُغْلُ القلب بِهَمِّ الرزق مع راحة البدن عذابٌ على القلب، وراحة القلب وهمُّه مع تعب البدن عذابٌ على البدن، فالراحة في ترك الاهتمام، والسلام».

وقال: «الكامل مَن يهضِم نفسه حتى يزكيَه ربه على ألسنة خلقه».

وقال: «من أراد أنْ تُخَلَّدَ عليه النعمة فليضف ذلك لربه، ويُثْنِ به عليه، ويتكرَّمْ

ويُحسِنْ ويَقُلْ: المُحسِنُ الله».

وقال: «إذا ذكرتَ ذنوبك فلا تقل: لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله، فأنك به تبرّئ نفسك منها وتضيفها إلى حول الحقِّ وقوّته، وتريدُ عدمَ الحجّةِ عليك، بل قل: ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي**﴾ [القصص: من الآية16]».

وقال: «مَن صحبَ المُعرِضِين عن ذكر الله أهانه الله في عيون الخَلْق».

وقال: «كل امرأةٍ تعلَّقتْ همّتُها بالله فهيَ رجل، وعكسه».

وقال: العاقل لا يمدح نفسه بقالِه، ولا يَذُمُّها بحاله، إلا إذا أمره الشرع بحُسْنِ كماله، كما قال -ﷺ-: «**أنا سيِّدُ وَلَدِ آدم**»[1].

وقال: «لا تأمَن المعتقِدَ فيك، فإنَّ نفسَه إنما سكنت حيثُ عَقَلَها عَقْلُها النظريُّ بعقالٍ ظنيّ، سنده حالٌ أو قال، والأعراضُ لا يبقى، فكأنك بالعِقالِ وقد انحلّ، ورجع المعقول إلى توحُّشِه».

وقال: «المحبُّ قليل، والمعتقِدُ كثير، وما قلَّ وكفى في خيرٌ مما كَثُر وألهى، وكفى في باللهو ضَرَرًا».

وقال: «على كلِّ فقيرٍ أن يتغافلَ عن كل مَن خالفَ أمره مستترًا، كما ينبغي معاقبةُ من أتى بمعصيةٍ جهرًا، ولهذا لُعن إبليس بترك سجدةٍ واحدة، وكم ترك غيره من صلوات، ولكن على حجابٍ وجهل».

وقال: «إذا خالَقَك أحدٌ بأخلاق البهائم، خالِقْه بأخلاق الأكارم، فكلٌّ يعملُ على شاكلتِه».

وقال: «لا يخلو عبدٌ عن محبة الحق لعِلّة، والمحبة الصادقة فوقَ العِلَل».

وقال: «ألسنةُ المحبةِ أعجميّةٌ على غير أهلها، وهي على أهلها عربية».

وقال: «من تنبّه لم يقنع بالقال عن الحال».

وقال: «كلُّ حجابٍ عن الحبيبِ عذاب: ﴿**رَبَّنَا اكشِف عَنَّا العَذَابَ إنا مُؤمِنُونَ**﴾ [الدخان: 12]: أي بما وراء الحجاب».

وقال: «من أحبَّ أنْ يقوم مقامَ الرجال فلْيثبُت تحتَ رايةِ أستاذه، فإنها ما ثبتت شجرةٌ تنتقل من مغرسٍ إلى آخر».

وقال: «مَن لا يرى في أستاذه إلا وجهَ البشرية فلا يزيدُه ما كُشف له من الحق

---

(1) رواه مسلم (1782/4)، والترمذي (308/5).

المبينِ إلا إعراضًا وتكذيبًا، ولذلك لا يَظهَرُ عارفٌ لقومه إلا مِن حيثُ يشهدونه من ظهورِ المماثلة.

ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم لعموم صَحْبه: «**لا تفضِّلوني على يونُس بن متّى**»[1].

وقال لخواصِّهم ممن فرق بشريته: إنه أفضلُ من جميع الرسُل، ففضَّلوه بغير توقّف، ولو قاله لمن في بشريته لارتاب، وكذا كل وليٍّ مع قومه.

وقال: «عدمُ مغفرةِ الشيخِ لمريده، إذا أشركَ به في المحبة غيرهَ، من أخلاقِ الله سبحانه تعالى﴿**إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ**﴾ [النساء: 48]».

وقال: «إضافة المال إلى العبد كإضافة الإقليم إلى عامله، فمن ادَّعى مُلك شيءٍ بيده فقد افترى وكان عليه فتنة، ومن اعترفَ بأنه سيدُه فليس بفتنةٍ عليه وإنْ ملَك العالَم كله».

وقال: «كل يومٍ من أيام الأستاذ في حضرة مراقبة ربه كألف سنةٍ مما تعدُّون».

وقال: «كل ما يراهُ المحجوبُ من العارفِ صورةُ الرائي لا المرائي، فإن رآه زنديقًا فهو زنديقٌ عند الله، أو صِدِّيقًا فصِدِّيق؛ لأنّ العارف مرآة الوجود».

وقال: «عليكم بلزوم ذكرِ المحجوب، فأنه جليسُ مَن له ذَكَر، ولن يعدم جليسُ الكريم مِن ظَفَر».

وقال: «مَن ذاقَ حقيقةَ الطاعة وصل إلى ربِّه في ساعة».

وقال: «مَن ادَّعى في نفسه الكبرياء والعظمة فلا فرقَ بينه وبينَ مَن قال: إني إلهٌ من دون الله، وكفى به كفرًا».

وقال: «شرطُ المحقق أن يخاطبَ أهل كل مرتبةٍ بلسانها؛ لأنّ كل شيء عنده بمقدار، فلا يخاطبُ أهلَ الحديث بغير حديثهم، ولا أهلَ النظرِ بغير نظرِهم، ولا أهلَ الذوقِ بغيرِ ذوقهم».

وقال: «إذا دعوتَ ربك في حاجةٍ ولم تُجَبْ؛ فذلك لعدم صدقك في الاضطرار كما وجَب».

وقال: «قوةُ الاعتقاد توجب قبولَ النصح، وضعفُه يوجب الرد»

وقال: «لا بد لكل إمامٍ حقٍّ أن يقابله أمامُ باطل، فأَدمُ قابله إبليس، ونوحٌ قابله حام

---

(1) ذكره القرطبي في تفسيره (294/10)، وروى مسلم نحوه في الفضائل، باب في ذكر يونس عليه السلام.

وإبراهيم قابله نُمرود، وموسى قابله فرعون، وداود قابله جالوت، وسليمان قابله صخر، وعيسى قابله في حياته الأولى بختُ نصَّر، والثانيةِ الدجَّالُ، وأما سيدنا محمَّدٌ صلى الله عليه وآله وسلم فلم يكن له مقابلٌ حقيقة، لإتيانه بالإحاطةِ الخفية». انتهى.

قال شيخُنا الشعراوي: «طالعتُ كثيرًا وقليلاً مِن كلام الأولياء؛ فما رأيتُ أكثر علماً ولا أرقى مشهدًا من كلامه».

كراماتُ سيدي علي وفا

قال: أعني المناوي: وله كراماتٌ:

منها: أن رجلاً من أولياء العَجَم حضر سِماطَه، فطلب ليمونةً فلم يجدها، فاستخف بصاحب الترجمة، فمد يده فأتى بطاقية ولد العجمي من بلاده، فعرفها واعتذر وتاب.

وكان يركب الخيلَ المسومة، ويخرج من بيته بحارة عبد الباسط إلى الروضة ليلاً، فتنفتح له الأبوابُ بنفسها، ثم تُغلَق. فخرج الوالي ليلة فوجدَ بابَ زويلةَ مفتوحًا، فأراد ضربَ البواب، فقال له: سيدي علي كل ليلةٍ يجيء يشيرُ إلى الباب فينفتح، فوقتٌ أعلم به فأغلق الباب، ووقتٌ أنامُ ولا أعلم.

فقال الوالي: تبتُ عن إنكاري عليه لبسَ السنجاب، فإن من يفتح له الباب له لبس السنجاب. انتهى.

وفي «**المنح**»: سمعتُ سيدي عليًا يحكي أن شخصًا كان صالحًا بالمدينة وله خدمةٌ بالحجرة الشريفة، فبينما هو ليلةً بائتًا بالمسجد وقد قفل الأبواب وهو في أثناء الليل، وإذا بالباب الملقبِ بابَ جبريل فُتح ودخل منه واحدٌ وقع في نفسه منه هيبةٌ ووقار، ولم يعلمه، فتحير من فتح الباب بعد قفله بالأقفال الحصينة، ولم يعلم ما دار بينه وبين صاحب الحجرة من الأسرار، وما أمكنه التهجم على الحجرة، فلما ظهر منها قُفل الباب كما كان فحصل لخادم الحجرة مصلحةٌ بمصر، فأتاها وقضى حاجته، ثم زار الأولياء الموجودين إلى أن أتى لسيدي علي بيته، فأذِنَ له بالدخول، فرأى جِمالاً وأمرًا عظيمًا من فرسٍ وأوان، ثم نظر إليه فرأى عليه فروة سنجابٍ لا نظير لها، فقال في خاطره: سلمنا كل شيءٍ إلا الفقراءَ يلبسون السنجاب!

فنظر إليه سيدي علي وقال: أعظم: السنجاب أو فتح الباب؟ فاستغفر الله، وعلم أنه المطلوب. انتهى باختصار، ولا تنافي، فالجمعُ ممكنٌ بالتعدد.

قال المناويّ: وأنكر عليه ابنُ زتيونٍ الوزيرُ، وقال: ما ترك هؤلاء لأبناء الدنيا شيئًا، فأين الفقرُ الذي هو شعارُ الأولياء ؟ فالتفتَ إليه وقال: نعم، تركنا لكم ولأبناء الدنيا

خزيَ وعذابَ الآخرة .

ولما بنى الوزيرُ البيتَ بجوارِ المقياس، عزم عليه للتبرك به قبل نقل عياله فيه، فقال له: جزاك الله خيرًا، بنَيتَهُ لنا ! فظن أنه يباسطه، ثم خرج، فخرج الوزير فلم يجد للبيت بابًا، فأرسل له مفتاحه ووقفه على ذريته .

ولم يطل عمُرُ سيدي علي، بل ماتَ قبلَ الخمسين سنةً.

ولما حج عطش الحاجُ حتى أشرفوا على التلف، فأتوْه، فأنشد موشحه الذي أوله:

اسْــقِ العِطــاشَ تكــرما فالعقــلُ طــاشَ مــنَ الظمــا

فأمطروا حالاً كأفواهِ القرب، انتهى.

وفي شرح الهمزية عند قولها:

ليــتَهُ خــصني بــرؤيةِ وجْــهٍ زالَ عـن كـلّ مـن رآهُ الشقاءُ

ما حاصلُه: يحتمل أن الناظمَ أرادَ رؤيتَه يَقَظة، وهو ممكنٌ؛ لأنه تلميذُ أبي العباس المُرْسي، فهو الذي حلت عليه بركته، وهو وارثُ القطبِ الأكبر سيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنهما، وكل منهما حُفِظت عنه رؤيةُ النبي يَقَظة، بل قال أبو الحسن: لو حُجِبَ عني النبي ﷺطرفةَ عينٍ ما عددت نفسي مسلمًا .

والقطبُ عليُ ابن القطبِ محمد وفا، وهما من جمُلة المنتسبين إلى القطب الشاذلي رضيَ الله عنهم أجمعين، ومن ثمَ قالوا: الطريقةُ الوفائية خُلاصة الطريقة الشاذلية، ممن حفظت عنه رؤيةُ النبي ﷺيَقَظة مِرارًا، لا سِيما عندَ قبر والده بالقَرافة، كما هو مسطورٌ في كراماته. انتهى.

وقد نقله في تنوير الحَلَك الحافظُ السيوطي، وصاحبُ «المِنَح»، فقال عنه: رأيتُ النبي ﷺ وأنا ابنُ خمس سنين يقظةً لا منامًا، وعليه قميصٌ أبيض قطن، ثم رأيتُ القميصَ علي، فقال لي: اقرأْ سورة «والضحى» و«ألم نشرح»، ثم غابَ عني، فلما أنْ بلغتُ إحدى وعشرين سنةً أحرمت بصلاة الصبح بالقَرافة، فرأيته ﷺ قَبالةَ وجهي، فعانقني.

وقال لي: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى:11]، فأوتيتُ لسانه من ذلك الوقت انتهى.

وفي «المنح» أيضًا: لما تزايدَ النيلُ سنةً زيادةً مُفرطةً وثبتَ لي خوف فوات الزرع، فوقف سيدي عليُ على سلم القيطون ورجلاه في الماء.

ثم قال مخاطبًا للنيل: ما بالك تشوش على الخلق؟ أتحب أن أرتحلَ عنك؟ فنزل

من حينه عن إقدامه، انتهى.

ولم يزل ﷺ راقيًا في الدرجاتِ العلية، راتعًا في مراتب القُرب السنية، إلى أن توفي، كما ذكره من تقدَّم في تاريخ ولادته، في ذي الحجة سنة سبعٍ وثمانمائة، بمنزلهم بالروضة، ودُفِنَ عندَ أبيه رضي الله عنه.

وقال الشعراوي ﷺ: توفي عامَ إحدى وثمانمائة، وكذا قيل فتبرأ منه لمخالفته لكلامهم.

قال المقريزي: ولم أرَ جنازةً عليها من الخفر كجنازته، وأصحابهُ أمامه يَذكُرون بطريقةٍ تَلِينُ لها الجُفاة .

وفي «المنح»: لما انتقل قال أخوه سيدي لجميع مَن حضر: الشاهد يعلم الغائب: شاهد الإدراك وشاهد الخبر، لا تضيعكم الله، وأستاذنا ما مات، ولكن كما قيل:

ما غابَ ساقِينا، ولكنْ ربما حُجِبَتْ أشعتُها مدى الأكوانِ

انتهى: أي ما ماتَ كما يموتُ آحادُ الناس، بل ذِكرُهُ باقٍ بالعلم والولاية، فإن الموتَ كما قال العلماء ليسَ بعَدَمٍ محْض، ولا بفناءٍ صِرْف .

مهمتان: الأولى: لا يشكُ عاقلٌ بل مسلمٌ أن مِن الكذِب المفترى والبهُتانِ المفتَعَل على العارفِ بالله تعالى الشيخ الشعراوي ما وقع في «طبقاته» من إثباتِ الأعادي الحساد، في ترجمة هذا الأستاذ.

إنه كان يقول: إن علي بنَ أبي طالبٍ كرم الله وجهَه كما رُفع عيسى، وسينزل كما ينزل عيسى، وأن شيخَه عليًا الخواص.

قال : إن نوحًا أبقى من السفينة لَوحًا على اسم علي بن أبي طالب يُرفَع عليه إلى السماء؛ فلم يزل محفوظًا في خزائن القدرة حتى رُفع علي وأنا أستغفر الله من حكايته، ولولا أنه شيءٌ وقع، واغترَ به من سمعه من مثل العوام ما اعتنيتُ برده، فإن هذا شيء إنما يقوله بعض الروافض الغلاة، فكيف ينسب إلى مثل هؤلاء السادة القول به؟ كيف وقد ثبت وصح أن المصطفى ﷺ أخبر بقتله، وأن قاتله أشقى الآخرين؟ وتواتر قتله، وأجمع عليه من يعتد به.

الثانية: وقع لخاتمة الحفاظ شيخ الإسلام أبي الفضل بن حجر عفا الله عنه وغفر له، أنه قال في «معجمه» في ترجمة هذا السيد «اشتغل بالأدب والعلوم، وتجرد مدة ثم انقطع، ثم تكلم على الناس، ورتب لأصحابه أذكارا بتلاحين مطبوعة، استمال بها قلوب العوام، ونظم ونثر، وصحبه يتغالون في محبته وتعظيمه، ويفرطون في ذلك».

وقال في أثنائه «شعره ينعت بالاتحاد، المفضي إلى الإلحاد، كنظم أبيه » انتهى.

قال المناوي: «دأب الحافظ ابن حجر أنه إذا ذكر أحدا من الطائفة لا يبقى ولا يذر، والله يغفر لنا وله».انتهى.

وأقول: هذا من عدم تحقيقِه وإتقانهِ معنى « الاتحاد» عندَ الجماعة، وقد حققه بقيةُ الحفاظ السيوطيُ شكرَ الله مسعاه.

فقالَ بعدَ كلامٍ طويل: الحاصلُ: إن لفظَ الاتحادِ مشتَركٌ، فيُطلَقُ على المعنى المذموم الذي هو أخو الحلول، وهو كفر، ويُطلَقُ على مقام الفناء اصطلاحًا اصطَلح عليه الصوفية، ولا مشاحة في الاصطلاح، إذ لا يُمنع أحدٌ من استعمال لفظٍ في معنىً صحيح لا محذورَ فيه شرعًا، ولو كان ذلك ممنوعًا لم يجز لأحدٍ أن يتفوه بلفظِ الاتحاد، وأنتَ تقول: بيني وبينَ زيدٍ اتحاد، وكم استعملَ المحدّثون والفقهاءُ والنحاةُ وغيرهم لفظَ الاتحاد في معانٍ: حديثيةٍ وفقهيةٍ وَنحْوية.

كقولِ المحدِّثين: (اتحدَ مخرجُ الحديث)، وقولِ الفقهاء: (اتحد نوعُ الماشية)، وقولِ النحاة: (اتحدَ العاملُ لفظا ومعنى) وحيثُ وقعَ لفظُ (الاتحاد)مِن محققي الصوفية، فإنما يريدون به معنى (الفناء) الذي هو: محْوُ النفس وإثباتُ الأمرِ كله لله سبحانه، لا ذلك المعنى المذمومَ الذي يَقشعِرُ له الجِلْد. وقد أشار إلى ذلك سيدي علي بن وفا رضيَ الله عنه، فقال من قصيدةٍ له :

يُظنُّوا بي حُلُولاً واتحادًا ... وقلبي مِن سِوى التوحيدِ خالي

فتبرأ من الاتحاد بمعنى الحلول.

وقال من أبيات أُخَر:

وعِلْمُكَ أن كلَ الأمرِ أمري ... هُوَ المعنى المُسمى باتحادِ

فذكر أن المعنى الذي يريدونه بالاتحاد إذا أطلقوه هو: تسليمُ الأمرِ كله لله، وتركُ الإدارةِ معه والاختيار، والجريُ على مواقع الأقدار مِن غيرِ اعتراضٍ ونسبةِ شيءٍ ما إلى غيره، انتهى.

وأما حسن اللباس: فقد تكفل هو رحمه الله تعالى بجوابه عنه، فقال: كما في «طبقات الشعراوي»: قال لي قائلٌ: ما بال الشاذلية يتجملون في لباسهم وهيئاتهم، وطريقتهم إنما هي الافتداءُ بالسلَف الصالح، وهم على التقشف بأكل الخشن وبذاذة الهيئة ورثاثة الملبس؟ فقلت: وبالله التوفيق:

إن الشاذليةَ لما نظروا إلى المعاني والحِكَم، رأوا السلَف الصالح إنما فعلوا ذلك

حينَ وجدوا أهلَ الغفلة انهمكوا على دنُياهم، واشتغلوا بتحصيل الزينة الظاهرة، تفاخُرًا بالدنيا، واطمئنانًا إليها، وإشعارًا بأنهم من أهلها، فخالفوهم بإظهار حقارة الدنيا التي عظمها أهلُ الغفلة، وأظهروا الفناءَ بالله عما اطمأن إليه الغافلون.

وكأن أطمارهم حينئذ تقول: الحمدُ لله الذي أغنانا به عما أفقرَ نفسَه إليه مَن هَمةُ دنياه .فلما طال الأمدُ وقَسَمتِ القلوبُ بنسيانِ ذلك المعنى؛ واتخذ الغافلون رَثاثةَ الأطمار وبذاذة الهيئة حِيلةً على تحصيلِ دنياهم: انعكسَ الأمر، فصارَ مخالفةُ هؤلاء لله هو فعل السلف وطريقتهم.

وقد أشارَ لذلك الأستاذ أبو الحسن الشاذلي ﷺ عندَ قوله لبعض مَن أنكر عليه جمالَ هيئته من أصحاب الرثاثة: يا هذا، هيئتي تقول: الحمدُ لله، وهيئتك تقول: أعطوني شيئًا من دنياكم.

والقومُ أفعالُهم دائرةٌ مع الحكمة الربانية، مرادُهم مرضاةُ ربهم، وإرادتُهم وجهُ ذي الجَلالِ والإكرام، في كل حالٍ تعرفُهم بسِيماهم، انتهى.

سيدي أحمدُ شِهابُ الدينِ أبو العباسِ بنُ محمد وفا ﷺ

[756–824 هجرية]

ولد بظاهر مصر سنة ستٍ وخمسين وسبعمائة، ونشأ على طريقةٍ حَسَنة، ملازمًا للخلوة والانجماع عن الناس .

قال الحافظ ابن حجر: وهو أسنٌ من أخيه، وذاك أشهر، وكان عنده سكونٌ وأحوالٌ حسنة، وكان لا يعمل الميعادَ إلا مع خواص أصحابه.

وفي «المنح» عن أخيه سيدي علي أنه قال في حقِّه: هذا خزانةُ العلم، وأنا أنفق منها.

وأنه قال: مَن رآنا اثنين فهو بَفرْدِ عَين، ومن رآنا واحدًا فهو بعينَين.

ومر قولُ والدهما: هما روحٌ واحدٌ في جسدَين، وهما في الحقيقةِ روحي ... إلى آخره.

وفي «تاريخ العلاء بن القصاص»: كان سيدي أحمدُ عارفًا جَلْدًا، وسيدًا نبيلاً، الغالبُ عليه الجذبُ والولايةُ والاستغراق، وجلسَ على سجادة الإرشاد بعد أخيه علي وفا، ولقد شُوهِدَتْ منه أحوالٌ عجيبةٌ دلت على كمال عرفانه.

منها ما في «المنح» أنه قال: وعِزة ربي، مما هممتُ بفاحشةٍ قط.

وقال المَقْريزي: إن سيدي أحمد لزمَ الخلوةَ يعمل الميعاد حتى ماتَ بالقاهرة في يوم الأربعاء ثانيَ عشري شهر شوالٍ سنة أربعَ عشرة وثمانمائة، ودُفن بالقَرافة عندَ أبيه وأخيه، فيكون عُمرَ بعدَ أخيه نحوَ سبع سنين.

وله خمسةُ أولاد: أبو الجُود حسن، وإبراهيمُ أبو المكارم، وأبو الفتح محمد، وأبو السيادات يحيى وأبو الفضل عبدُ الرحمن. فأما أبو الجود حسنٌ فماتَ في حياة أبيه سنةَ ثمانٍ وثمانمائةٍ وهو ابنُ تسعَ عشرةَ سنة، وقيل: تسعٍ وعشرين .

وأما إبراهيمُ أبو المكارم: فوُلد في سنة ثمانٍ وثمانين وسبعمائة، وتوفي سنةَ ثلاثٍ وثلاثين وثمانمائةٍ مطعونًا عن خمسٍ وأربعينَ سنة.

سيدي أبو الفتح محمدُ بنُ أحمدَ بْنِ وَفا ﷺ

[770–852 هجرية]

وهو الثالث، وهو بكنيته أشهر.

فولد بالقاهرة سنة سبعين وسبعمائة، وحفظ القرآنَ وعدةَ كُتُب.

وأخذ عن العز ابن جماعة، والبسطامي، والبرماوي، والناصر الفاقوسي، والتصوفَ عن الشيخ عيسى المغربي، وقال الشعر، وتكلم على الناس بعدَ سيدي علي، ولم يكن في بني وفا حيَنئذٍ أعلمُ منه ولا أشعر .

وقال له عمه: إنما مدَدُك من أبيك مع كونِ الأبِ لم يتكلم .وحضر مجلسَه الأكابر كمشايخه، والسلطان جقمق، وذكره السخاويُ والمناوي .

قال السخاوي: وقد حضرتُ مجلسَه، وسمعتُ كلامَه، وكان له رونقٌ وحلاوة.

وقال المَقريزي: هو حاملُ رايةِ مجدهم بعملِ الميعاد، وتدريسِ مذهبِ المالكيةِ، مذهبِ سَلَفِه .

وفي «المنح» عن أبيه: ما تزوجتُ إلا لأجِله، وإنه كتب له إجازةً.

فقال: أجزتُ له خُصُوصًا، ولإخوته عمومًا، أقر الله به عيني، وبلغني عنه ما تكمُلُ به بهجتي وزيني.

وخصه بجميع كلامه وكتبه وارداته. وقال للجماعة: اخدُموه تنتفعوا، وسترَوْن ما أقول لكم فيه عن قريب.

ودخل على أبيه قرب انتقاله فرآه على صورةِ أخيه سيدي علي، فقال له: رؤياي رؤياه، وحصل له مفاتيحُ الحضرةِ بلا عَنا .

وأشار عمه إلى أنه ذو خَلاعة، فما رآهُ أحدٌ إلا انبسط. انتهى مخلصًا.

وعمل له العلامةُ محمد بن حسن بن علي النواجي الشافعي رسالةَ إنشاءٍ في مدحهِ بديعة، وقفت عليها بخطه فأحببتُ أن أذكرَها.

قال رحمه الله ما نصه: **بسم الله الرحمن الرحيم**

يا ولي الأولياء:

كَمْ قد هممْتُ بأنْ أَحُوزَ بَمْدحِكُمْ ... شَرفًا،وأرجو مِن أياديكُمْ مَدَدْ

وَأعادَني خوفٌ، فقال نِداكُمُ ... لا خوفَ في هذا الجَنابِ ولا نكَدْ

يقبِّل الأرضَ التي أمسى كل فقيرٍ لحضرتها الشريفة مُريدًا، وتعبّد بخدمتها الزمان، فكم بعث لها من أيامه مماليكَ وعرضَ عليها من لياليه عبيدًا، وانقادت لطاعتها ملوكُ الأرض فأصبحَ الواثقُ بها أمينًا، والمستعصِمُ مأمونًا، والمستنصِرُ رشيدًا.

وما هِيَ إلا كعْبةُ الجودِ والوَفا ... يحُجُّ إليها الناسُ مِن كلِّ وُجهَةِ

ويُنهي دعاءً يتطفّل على لطفه النسيم، فيلوح على شمائله القبول وثناءً يطوي بنشره ذكرَ الرياضِ فيعتريها، لولا ندى الأيادي الفَتْحية ذُبُول، ويصف شوقًا باع فيكم وجودَه بشهودِه، فغدا من ذلك الجمال الباقي في استغرق، وقلبًا قيّدتموه بإخلاص المحبة، فشكر لكم ذلك التقييدَ على الإطلاق، وفؤادًا بما حمل من الصبابة رهين، وجسمًا خَفِيَ لنحوله عن الأبصار، فلا يُهتدى إليه إلا بأنين:

كأني هلالُ الشكِّ لولا تأوُّهي ... خَفِيتُ فلم تُهْدَ العيونُ لِرؤيتي

ويُجري دموعًا أحاديثُ غرامها الصحيحُ عن ابن مَعينٍ مُطلَقةً ومسلسلة، متيقنًا أنّ الكراماتِ لمّا غدت العَينُ عليه مُسبَلة:

ما زالَ يُشفِقُ مِن دمعٍ على بَصَرِهْ ... خوفَ الفِراقِ، ويخشى سَطْوةَ البَيْنِ

حتى نأيتُمْ وأجرى ماءَ عَبْرتهِ ... دمًّا، فصارَ لهُ دمعٌ بلا عَيْنِ

ويشكو دهرًا علِمَ رقةَ قلبه، فقطعه مِن حيث رَقّ، ولكن عن ذلك الجناب، ورماه بسهم من سهام بيْنِه، فأصاب، ومن الأسف قولي: أصاب! فيا له من صبٍّ رضي بأحكام الغرام، فأبيح دمه بأسياف الهجر، مسنونةً بأيدي البَين، وقال واجبُ قلبه: إن نومك حرامٌ على حفنك، وفيض الدمع فهو فرضٌ على العين، ويا ويحه من قلبٍ حُرم لذيذَ القربِ والمشاهدة، فكاد أنْ يموتَ من غير نزاع، وكلما زَمزَمَ الحادي بذكركم حنَّ

إلى ذلك المقام، وطاب على السماع:

لم لا أُشبِّبُ بالعيشِ الذي انقْرضَتْ ... أوقاتُهُ وهْوَ باللَّذاتِ موصولُ

وكيف لا، وهو البيت الذي أُسّس بنيانُه على تقوى من الله ورضوان. والحَرَمُ الذي ما سعى إليه خائفٌ إلا يحصلَ له الصَّفا، وفاز بعد خوفه بالأمان؛ أشرقت شمسُ معارفه، فملأتِ الكونَ بهجةً ونورًا، وظهرت عوارفُ معارفه، فكان قدرُه عليًا وشِهابُه- في سماءِ البلاغةِ- منيرًا، فلقد علا بأهله مجدُه وسُؤدُده، وتشرَّف بساكِنيه، فلا غروَ إذا ما رُحتُ أنشده:

لبَني وَفا فضلُ على كلِّ الوَرى ... وهمُ همُ أهلُ المكارم والوَفا

وهمُ الأُلى، نهَجوا الطريقَ لمَن مشى ... في نورِ آثارِ الهِدايةِ واقتفى

وهمُ ملوكُ الأرضِ، بل خُلفاؤها ... يَسعى لِبابِهِمُ الشريفُ تُشرُّفا

مُتأدِّبينَ، مُهذَّبينَ، نفوسُهمْ ... ما بينَ أيديهِم، تَراهُمْ وُقَّفا

وإذا الفقيرُ أتاهُمُ أبدَوْا له ... في الحالِ مِنهُمْ رَأفةً وتعَطُّفا

قومٌ لهمْ في المجْدِ أعلى رُتبةٍ ... أضحى لها كلُّ الوَرى متَشَوِّفا

ولِبَيتِهمْ فضلٌ علِيّ قدْرُهُ ... عالٍ بأنواعِ السِّيادةِ زُخْرُفا

أُحجُجْ لهمْ، واسْعَ، وطُفْ مُتجرِّدًا ... عما سِواهُمْ، تَحظَ مِنهُمْ بالصَّفا

وتالله، لقد حصلَ لهذا البيتِ فتحٌ بأبي الفتح، وحاشاه أن يُغلَق، فدخل الناسُ إليه من كل باب، وسطعت مشارقُ الأنوار من مِشكاة قلبه الذي هو ربيع الأبرار، فقلنا: هذه اللَّمعةُ النُّورانية من ذلك الشهاب:

نجومُ سماءٍ، كلَّما انقَضَّ كوكبٌ ... بدا كوكبٌ تَأوي إليه كواكِبُهْ

أن تأمَّلْنا سلوكَ طريقِه، فهو أجلُّ منِ اقتفى آثار سَلَفِه الطاهر، وأضحى بإمامته يُقتدى. أو ذكرنا نسبه الشريف، علمنا افتخاره على كل طائفةٍ بأنه وَفائيٌّ وعَلَويٌّ وأحمدي، وإن قيل مضى: «المرء بسَعْده»، فهذا بسعده وأبيه وجده:

نَسَبٌ كأنّ عليهِ مِن شمسِ الضُّحى ... نورًا، ومِن فلَقِ الصَّباحِ عَمُودا

إي والله! هو العارفُ بالله، الذي راقبه في خلوته، فظهرت ينابيعُ الحكمةِ من قلبِه

على لسانه، ونثَر في نفائس كَلِمِه جواهرَ المعاني، فاستغنى كل فقيرٍ ببديع بيانه، كم جذب فقيرًا لسلوك الطريق، فراح ممزق الأثواب من تلك الجَذْبه، وسقاه كأسَ المحبة ملآنًا، فهام في كل وادٍ حيث حصلَتْ له هذه الشربة في حضرةِ الجلال والجمال، مُنشدًا وقد غلب عليه الحال:

أحييْتَ يا شيخَ الطريقةِ سادةً فازوا بِمَشْهدِك الذي شَهِدُوهُ

من طالب عِلْمًا وأنتَ وَلِيدُهُ أو رائدٍ فتحًا وأنت أبوهُ

نعم، هو المسلِّكُ الذي أرشد مِن معرفةِ الطريق إلى أوضح المسالك المُفنِّن الذي هو في الفقهِ والإعرابِ: مالكٌ وابنُ مالك.

أما التصوّف: فهو سَرِيُّة الذي أضحى بِشرُه في وجهِ الزمان معروفًا، ومنتهى جميع أوليائه، لا انصرافَ لهم عنه، وحُقَّ أنّ لا يكونَ منتهى الجموع مصروفًا، لو أدركه ابنُ دينارٍ لقال: هذا هو الخالصُ الذهبُ المصفَّى، أو ابنُ أدهم، لَعِلمَ أنه الجوادُ الذي حاز قَصَبات السبْق، فما لحقه أحدٌ من الفُحُول ولا وفى، أو حسينٌ الحلاّج، لَتحقَّق تصغيَر نفسه، أو الجُنَيد، لأصبحَ من جُنْدِه، وافتخر على أبناء جنسه. أو الشِّهاب المقتول، لمات شهيدًا في محبته، ففداه بالروح، أو عبدُ الله الحرفوش.

لقال: هذا مَلِكُ الأولياء وسيدُ هذه الطائفة، فكم حصل لفقيرٍ على يدَيه من الفتوح!

وأما التفسير: فكم أرانا في معالم تنزيله دلائلَ الإعجاز، فقلنا: هذا بابه على الحقيقة وما سواه مجاز، وهو «نهايةُ» غريبة، و«كشَّاف» معانيه من غير دسيسة، وابنُ عطية الذي يمنح طالبيه من بحر علومه بالجواهر النفسية، لو أدركه عطاءٌ لاغترف من بحره، وتحقق ربَاحه، أو مُقاتلٌ ومجاهدٌ لسلَّما له المقاليد، وألقى كلٌ بين يدَيه سلاحَه.

الحديث: فهو عمدةُ أحكامه، وما شكَّ مسلمٌ أنه حافظُ متونه، ومسلسِلُ أسانيده العوال، ووليه الذي اختص بالكشف عن معرفة رجاله، فكان على الحالين شيخَ الرجال كم روينا من حفظه ولفظه حديثًا عن «الصحيحين»، ورأينا جود كفيه متواترًا، فأخذنا حديثَ عطائه مسنَدًا من طريقين، ولله درُّ الوَداعيِّ حيث يقول:

من زارَ بابَكَ لم تبرَحْ جَوارحُهُ تروي أحاديثَ ما أولَيْتَ مِن مننِ

فالعينُ عن قُرّةٍ، والكفُّ عن صِلةٍ والقلبُ عن جابرٍ، والأُذْنُ عَنْ حَسَنِ

والقراءات: فهو إمامُها الذي صلَّت البُلَغاء خلفه، واقتدت به في هذا العصر،

وامتدت أسبابها إليه، وقصرت على بيته العالي، فأرانا من بديع الطِّباق كيف يكون المدُّ والقَصْر يمينًا لقد أحيا بمآثره ذكر المتقدمين من أئمة السلف، فارو من علمِه: عن نافع، ومن جُوده: عن ابن كثير، ومن سعة إتقانه، عن خَلَف. وقَسَمًا. ما ناوأه أحدٌ إلا أغرقه في تيار بحر من علومه متلاطم، ولو آوي إلى جبلٍ يعصِمُه من الماء لقيل له: «لا عاصم».

والفقه: فهو مالكُه الذي أجاد بـ (تهذيب) ألفاظه منتقاه، وبين بحُسْن «تبصرته» حرامه وحلاله، ومزجه بعلوم الحقيقة. فلو تقدم عصره قليلاً لقال القُشَيري: هذا من مشايخ «الرسالة». سعى إليه باجتهاد، وقلَّد «إحياء» العلماء من «ذخيرة» فضله بنفائس الجواهر، فعجبنا له مجتهدًا ومقلِّدًا، وأضحى طرازًا لحُلة مجده، فلا بِدْعَ إذا كان لنا سيدًا وسندًا، ولو لحقه أشهبُ؛ لقال: هذا جوادٌ ما لفحول الرجال في ميدانه مجال، أو القاضي عبدُ الوهاب، لنظم في علاه عقود مديحه، وقال:

قد عمَّ جُودُكَ يا أبا الفتْح الورى ... ولكُمْ حديثٌ طيِّبٌ ما أحسَنَه

فالخَلْقُ مِنكَ مُوطَّأَ يا مالكي ... وعلومُ فضْلِكَ يا إمامُ مُدوَّنَهْ

والعربية: فهو فارسُ ميدانها، الذي راضَ جماحها، فعاد في الحال وهو مذلَّل، وفارسيُّ زمانها المُبِينُ بـ «إيضاحه» تفاصيلَ «جُمَلِها»، فحبذا «المجمَل» و«المفصَّل»، اطلع على أسرارها بصحيح لبه، فظفر من لبابها بفرائد الفوائد، وأرشدنا بخلاصة «تسهيله» إلى «أوضح المسالك»، فلم نحتج إلى مساعد.

والأصول: فالإجماعُ منعقدٌ على أنها محفوظةٌ عنده، ورَبعْ عُلاها ببلاغته مأهول، وهو «المنتخب» الذي ما باهى أحدٌ «تحصيلَه»، إلا نفد «حاصلُ» عمُرِه، ولم يحصل منه على «محصول»، لو عاينه الغزالي لقال: هذا الإمام نسْجُ وحدِه. أو تصدى السيفُ الآمِديُّ لمباراته لما تجاوزَ حدَّه، فقطع بتنصُّله واختفى في غمده، أو العَضُد، لرآه ثابت القدم في هذا الفن، فراحَ وهو بقُصُورِ باعِهِ معترفًا، قائلاً: هذا صاحب اليد الطُّولى، المشمَّرُ عن ساعد الجد، العارفُ كيف يؤكل الكَتِف. أو ابن الحاجب. لعلم أنه إنسانُ عَينِ الزمان، المكرَمُ الفرعِ والأصْل، فسعى لخدمته ولزم بابه إلى يوم الفصل.

والنطق: فهو «معيار» علومه، «ونتائج أفكاره» بحُسْن تصوُّرِه وكمالِ بديهتِهِ على ما سواها مقدَّمة، و«مَطالِعُ» أبحاثه «الشمسية» نيِّرة، فلا غرْوَ إذا أضحَت لهذا القُطبِ مُسلِّمة.

والمعاني: فهو بديعُ بيانه، الذي انفرد بـ«تلخيصِه»، ودخل إلى بابه من غير «مفتاح»، المُجلِّي من عرائس أفكاره فيه كلَّ مُخدَّرةٍ تَهيم القلوبُ منها إلى «عروس الأفراح»، وطالما أوضح غوامض رموزه بتحرير ألفاظه المُحبّرة، فشاهَدْنا «تحرير التحبير» من ذلك «الإيضاح»، لو أدركه ابنُ أبي الإصبع؛ لأشار إليه بالأصابع، وعقدَ عليه الخناصر.أو السُّبْكيُّ لقال: هذا خاتم هذه الصناعة المرصَّعة «جواهر ألفاظه» بقلبي، ولأبدع للتاج إذا رُصِّعَ بالجواهر، أو الحريري؛ لقال: هذه تفاصيلُ محررةٌ لم يُنسَج على منوالها، أو ابن بُردٍ؛ لقال: ما أنا من هذا الطرح، وما حاك في صدره أن يأتي بمثالها.

والأدب: فهو وليده وحبيبه، وصاحبه الذي جَزُلَ مِن فن البلاغةِ سَهْمُه ونَصِيبهُ. إن نَظَمَ: فقل ما شئتَ في الدرِّ النظيم، أو نَثَرَ: أزرى بالفاضل عبد الرحيم، أو أنشأ: ودّت الثريا أن تنظمّ في سلكِ عقوده، وحَكَمَ القاضي السعيد بقلمه أنه مَلِكُ المتأدِّبين، وما احتاج إلى تعديل شهوده، أو ترسَّل: نفث من سحرِ بلاغته الحلالِ في عُقَدِ الأقلام، وأرانا من كلام الملوكِ ملوكَ الكلام:

وأن أقـــر علـــى رقِّ أناملـــه ... أقـــر بالـــرقِّ كـــتاب الأنـــام لـــه

وبالجملة: فهو حاوي أشتاتِ الفضائل خَلَفًا عن سَلَف، وحامي ذُرى الجد والسيادة أبًا عن أبٍ فأب، لا عن أبي دُلَف، فليت شعري! هل يُعتاضُ عن هذا الجوهر بالعرَضَ الأدنى؟ أم كيف يُتشاغل برذائل الدنيا عن هذا المقصد الأسنى؟ قَسَمًا، لقد أضحى العبد هائمًا إلى حضرتكم الشريفة، وشاهد بالبُعد عنها تلافَه، وكلّما هبّت عليه نسماتُ القربِ هيّجت أشجانه ورنَّحت أعطافه، وأقسمَ كَلِيمُ قلبه الملتهِّب بنار جَواه، لا يبرحُ حتى يبلغَ مجمَع البحرَين، ويطلبَ بتلك الروضة عيشُه، ويشربَ من ماء الحياة.

والمملوك يسأل الإقالةَ من سقطات هذه الرسالة، والإنابةَ من هفوات هذه الكتابة، وتالله لقد ازددتُ بها رِقًّا، فاعجب لمكاتبةٍ لا يرتجي العبدُ بعدَها عِتقًا، وأن يُلحَظَ منكم بعَين العناية، ليندرجَ في زُمرةِ القوم، فقد بعدت عليه الشُّقّة، ويَلبَس من بديع جمالِكم حليةً يتيه بها على أهل هذه الخِرْقة، والله تعالى يديمكم قُطْبًا للأولياء، ومركزًا لكلِّ دائرة، ويجعل كُلاً من نَداكم وهُداكم ملجًا لمريدي الدنيا والآخرة، بمنِّه وكرمه، آمين. انتهى.

ومن نظم الأستاذ المترجَم رحمه الله تعالى: «يا مَن لهم بالوَفا يُشارُ ...» الخ.

ومنه:

تــوجَّهَ نحْــوكُمْ ســرِّي وجَهْــري وجـئتُ حِمـاكُمْ أسـعى وأسْـري

ومنه:

الــرُّوحُ منّــي فــي المَحــبّة ذاهــبَهْ فــسمَحْ بوَصْـلٍ لا عدِمـتُكَ ذا هِـبهْ

توفي كما ذكره غيرُ واحد في شعبان، قيل: يوم الإثنين مستهَلَّه، وقيل رابعَه، سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة بالروضة.

وحُمل إلى مصر، فصُلّي عليه بجامع عمرو، ودُفن بتربتهم بالقَرافة.

قال المناوي: عن ستينَ سنة.

وقال السخاويُّ وغيره: وقد زادَ على الستين، والله أعلم.

* * *

الرابع أخوه سيدي الأستاذ أبو السيادات
يحيى بن أحمد بن محمد وفا ﷺ

ولد سنة ثمانٍ وتسعين وسبعمائة، وقال الشعر، وجلسَ بعدَ أخيه أبي الفتح مكانه في سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة، وتكلَّم على الناس، ورُزِقَ القبول، لكن لم تَطُلْ مدّته.

مات سنةَ سبعٍ وخمسين وثمانمائة كما في «تاريخ ابن الشحنة» رحمه الله تعالى.

الخامسُ أخوه الأستاذ
عبدُ الرحمنِ أبو الفضل الشهيدُ ابنُ أحمدَ محمد وَفا ﷺ
[ولد قبل سنة 790– وتوفي سنة 814 هجرية]

ذكره الحافظ ابن حجرٍ في «معجمه»، قال: وُلد قبلَ التسعين وسبعمائة، ونشأ على طريقة أبيه وعمّه، واشتغلَ وحضر مجلسَ شيخِنا السِّراج البلقيني، وتولّعَ بالنظم حتى مهرَ فيه، ورثى أباه وعمَّه، وعمل المقاطيعَ الجِياد على الطريقة النُّباتية، ولو عاشَ لفاقَ أهلَ زمانه في ذلك. وكان حسَنُ الأخلاق، كثيرَ المعاشرة، اجتمعتُ به وسمعتُ من فوائده.

وقال المقريزي: «كان من محاسِنِ الدهر ذكاءً ولطفًا وسخاءً. تفقَّه، ولُقِّن من مجالس عمِّه سيدي عليّ في الوعظ تصوُّفًا حسنًا على طريقتِهم » انتهى، وإليه ينتهي نَسَبُ الساداتِ الشريف.

وفي «كوكَب الرَّوضة»: كان ذكيًا، حَسَن الأخلاق، لطيفَ الطِّباع، له الشعرُ الفائق. غَرِقَ في بحر النيل هو ومحمدُ بن عُبيد البشكالسي، وقاضي المالكيةِ جمالُ الدين عبد الله بن التيني، وذلك في سنةَ أربعَ عشرةَ وثمانمائة، انتهى.

وقال غيرُه: سنةَ أربعَ عشرةَ أو خمسَ عشرةَ، والأول أصحّ.

وَوَهِمَ مَن قال: في حياةِ أبيه، إذ كيف يأتي مع قولهم: «رثاه»؟! وكذا وَهِمَ مَن أرَّخ غَرَقَه سنةَ ثلاثَ عشرةَ وثمانمائة، بل الصوابُ أنه بعدَ موتِ والدِه بسنةٍ كما في التواريخ.

وذكر العينيُّ أنه اجتمعَ هو وأصحابه في منظَرةٍ على البحر، ثم اجتمعَ رأيُهم على ركوب المركب ويتوجَّهوا إلى الآثار، فامتنعَ الشيخُ أبو الفضل أشدَّ امتناع، فلم يزالوا به حتى ركبَ معهم، وقال لرفقته: عَجَبًا إن نجونا من الغرق! فلم يتم كلامَه حتى أنقلبَ بهم المركب، ولم يظفروا بَجَسدِه مع الفَحْص عنه أيامًا. انتهى.

وامتناعهُ من ركوبِ البحر لسببِ مكاشفةِ عمِّه سيّدي عليّ عليه بالغَرَق وهو صغيرٌ في سِنِّ مشْيِه، فَتحَ صبيحةً بابَ خلوةٍ كان يتعبَّدُ فيها عمُّه الأستاذُ سيدي علي.

فقال: مَن فتحَ البابَ يغرق! فقالت له امرأةٌ عندَه: يا سيّدي، هذا ولدُ أخيك.

فقال: نفذَ السَّهم. فلمّا عقلَ الأستاذُ الشهيدُ كان يخافُ مِن كشفِ عمِّه، فكان الناسُ يقولون له: إن شاءَ الله لا يحصُلُ ما أشارَ به عمُّك، إنما قال ذلك عندَ صِغرِك، أو ما هذا معناه، كذا أخبرني بذلك الشيخ أبو اللُّطْف رحمه الله تعالى.

لكنْ بقيةَ عبارةِ «الكوكب» قد تنافي ذلك، ونصُّه عقبَ ما تقدَّم عنه: ورأيتُ بخطِّ بعضِ أصحابنا المؤرخين قال: حكى لي مَن أثقُ به أنّ أبا الفضل المذكور جاء يومًا إلى الروضة ليعدي بها، فوقف ينظر المعدّيّة، فإذا بها انقلبت، وغرقَ منها جماعةٌ منهم رجلٌ من أصحابه، ولم يطلع به ولا وجد، فتمنى أبو الفضل أن يموت غريقًا يستره البحرُ من الغاسل، ويستريحُ من هَولِ الموت والقبر، فحصلَ له ما تمنى، غرق وفُتِّشَ عليه فلم يُوجد مع الفحص عنه أيامًا.

قلت: الغرقُ وإن كان شهادةً؛ فقد استعاذ منه ﷺ فقال في دعائه:

«**وأعوذُ بكَ أنْ أموتَ غريقًا**»[1]، وأنا أحبُّ ما أحبَّه النبي ﷺ، وأكره ما كرهه، وأسألُ ما سأله، وأستعيذُ مما استعاذَ منه، حُبًّا فيه، وإتباعًا لسنته، وإقتداءً به في كل شيء. انتهى

(1) لم أقف عليه.

كلام السيوطي.

وفي «البدر المنير في غريب أحاديث البشير النذير» للشعراوي حديث: «**إن لله ملائكةً تنقلُ الأموات**»[1].

قال السخاوي: لم أقفْ عليه.

قلت: لكن ثبتَ وقوعُه لطائفة، منهم سيدي أبو الفضل الغريق من أولاد السادات بني الوفا، غرقَ في بحر النيل، فوجدوه عندَ جدِّه بالقرافةِ مدفُونًا. وأما نقلُ الحديث فكثيرًا ما يتكلّم الرجلُ بمصرَ فينتقل إلى مكةَ في ليلة، فتجده الناس هناك. انتهى كلامُ الشعراوي رحمه الله تعالى.

ولده الأستاذ
سيّدي أبو المراحِمِ محمّدُ بنُ عبدِ الرحمنِ الشهيدِ
ابنِ أحمدَ بنِ محمّدِ وَفا ﷺ

قال السخاوي: «خلَفَ عمَّه أبا الساداتِ في المشيخةِ والتكلُّم، ولم يكن يُظَنُّ به ذلك، ولكنّ الولدَ سرُّ أبيه.

ماتَ في جُمادى الأولى سنة سبعٍ وستين وثمانمائة، بالروضةِ بين البحرَين، وحُمل إلى القرافة، فدُفن بتربتهم، وكان يومًا مشهودًا». انتهى.

ولده الأستاذ
سيّدي أبو الفضلِ محمدٌ محبُّ الدينِ المجذُوبُ بنُ وفا ﷺ

قال السخاوي: «خلَفَ والده أبا المراحِم في التكلُّم والمشيخة، فدام مدةً مع عدمِ سَبْقِ اشتغالِه، لكنه كانَ شديدَ الذكاء، متينَ الذوق، وَرِعًا، قرأ يسيرًا في النحو وغيره، وعرَضَ له جَذْبٌ، وطلع للسلطانِ وشافهه بما حَسَّنَ اعتقادَه فيه، بحيثُ أهانَ مَن تعرَّض له بسُوء».

مات عن خمسٍ وثلاثين عامًا، في ليلة رابعَ عشرَ جمادى الآخرة، سنة ثمانٍ وثمانين وثمانمائة، وصُلِّيَ عليه من الغد بجامع المارداني، ثم سبيل المؤمنين، ودُفن بتربتهم في القَرافة.

---

(1) ذكره القاري في المصنوع (67/1)، والعجلوني في كشف الخفا (293/1).

وخلفَه ولدُه الأستاذ

سيّدي أبو المكارمِ إبراهيمُ بنُ وَفا ﷺ

وُلد في حدود السبعين وثمانمائة، ونشأ في كنَف أبيه، فحفظ القرآن، و«المختصَر»، و«ألفيةَ ابن مالك»، وغيرها واستقر في المشيخةِ بعدَ أبيه، وعمل الميعاد.

قال ابنُ فَهْد: «واستمر حتى ماتَ في أول عبد القرن العاشر! كذا وُجد فيه وصوابه: «التاسع»، والله أعلم.

وخلفَه في المشيخة ولُده: سيّدي أبو الفضلِ محمدُ بن أبي المكارمِ إبراهيمَ بنِ محمّدٍ المجذوبِ بن أبي المراجِم بنِ أبي الفضلِ الشهيدِ بنِ أحمدَ بنِ محمّدِ وَفا ﷺ، هكذا ترجمه ابنُ فهد.

وفي «ذيل الطبقات» للشعراني: سيدي أبو الفضل ذو المفاخر والمآثر، ختام الدوائر، صحِبْتُه عشرين سنة، فرأيته على قَدَمٍ عظيمٍ في الطريق، وله مكاشفاتٌ كثيرة، وخوارقُ وكراماتٌ مشهورة، وكان قوّالاً بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، شجاعًا عالمًا كريمًا، حَسَن الشمائل، وكان في بداية أمره يصطاد السمكَ في بحر النيل في مركَب، ويتفوَّتُ منه، ولا يأكلُ لأحدٍ طعامًا مطلَقًا، إلى أن اتسع حاله، وعُمِّرَ له عدةُ مراكب كثيرةٍ تحمل مغل السلطان، فكان يأكلُ منها ويتصدَّق، وينفق على أصحابه وعلى موالد السادات إلى أن مات. انتهى.

وقال المناوي في «ذيل طبقاته»: ثم أقبلت عليه الدنيا وأبناؤها، وصار كأنه أُعطي حرفَ كُنْ، إذا قال لجبل: كُن ذهبًا، صار، انتهى.

قال الشعراوي عقبَ ما مرَّ عنه: وكان له مكاشفاتٌ غريبةٌ لا تخطئ، وأخبَرَ بيوم موته فلم يتعدَّ، وذلك أني زُرته وهو جالسٌ على الدكّة في طاحون الروضة، فقال لي: أوصيك يا ولدي بوصيةٍ فاحتفظْ بها ولا تُخالِفْها تندمْ.

فقلتُ له: وما هي يا سيّدي؟

فقال لي: لا تدخل قطّ في جملةِ أحدٍ من هؤلاء الظَّلَمة في هذا الزمن، إياك أن تَرِقَّ لهم فإنّهم مؤاخَذون بأعمالهم السيئة؛ فربما دخلوا تحتَ ذيل الفقير فيرقُّ لهم، وينسى ما عملوه من ظُلم العبادِ والبلاد، ويدخلُ في التوجُّهِ إلى الله تعالى في ردِّ العقوبة التي أنزلها الله تعالى بهم، فيعارضُ القُدرة، فيهلِك. وقد دخلتُ يا ولدي في قضيةِ جانم الحمزاوي وما معي أحدٌ يساعدُني في مصر، وما أظنُّني إلا ميّتًا بعد خمسةِ أيام. كان

الأمرُ كما قال.

وأوصني: ألا أقبلَ من أحدٍ هديةً أبدًا.

وقال: من أكل الخِفارة وجَب عليه أن يردَّ الغارة، بخلاف مَن لم يقبلْ لهم هدية، فإنه متطوِّعٌ بالجُملة.

ثم قال: إن أردتَ يا ولدي أن تسعى في تنفير الولاةِ والمباشِرين عنك في هذا الزمان فافعل، فإن القُربَ منهم نار.

وكان رحمه الله تعالى عنده غَيْرةٌ شديدة على عِياله، لا يُمكِّنُ أحدًا من الخدم يدخل عليهنَّ أبدًا، إنما يقضون الحاجة من باب الدار، وكُنَّ إذا طلبن الحمّام في مصر يُعدِّي بهنَّ في النيل، ويجدِّفُ بهنَّ وحدَه حتى يُوصِلَهُنَّ إلى مصرَ العتيق، ويُخلِّي لهنّ الحمّام، فإذا فرغن من حاجتهنَّ أواخر الليل أخذهنَّ وأنزلهنَّ في المركب، وجدَّف بهنَّ إلى الروضة.

وقال لي مرةً: اسمع مني يا ولدي، أني طُفت مشارقَ الأرض ومغاربها، وأحطتُ علمًا بفقراء هذا الزمان، وما أعجبني فيهم أحدٌ مثلُك. فقبَّلتُ رِجلَه، وكان يحبُّني أشدَّ المحبة، ثم سَرَت المحبةُ إلى ولده سيّدي إبراهيم، فلا أعلمُ الآنَ في مصر أحدًا من الأولياء يحبُّني أكثرَ منه.

وكان رحمه الله تعالى كثيرَ الغضب للولاةِ إذا خالفوه، وكانوا يلقّبونه بالفِيل الأبيض، ومناقبه كثيرةٌ مشهورةٌ بين أصحابه.

ماتَ سنةَ نيفٍ وأربعين وتسعمائة، وصلَّينا عليه بجامع عمرو، ودُفن عندَ أجداده بالقَرافة، وعليه مقصُورة، وكانت جِنازته مشهودةً رحمه الله تعالى. انتهى كلامُ الشعراني.

وفي «معجَم ابنِ فهد» أنه بلغَ من العمر نحوَ خمسين سنةً، وإنه مات يومَ الجمعة ثاني عشرَ ربيعٍ الآخر، بعد وجعه ثلاثةَ أيام، وانقطاعِه قبلَ ذلك عن الناس في بيته نحو السنتين وهو يتقلَّل من الأكل، بحيث صار يجلسُ نحو الجُمعة لا يأكل شيئًا، مع مجاهدته طولَ الأيام، وهيبته عندَ الخاص والعام.

وصُلِّي عليه بمكةَ في أول شعبان عامَ وفاته، سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة، انتهى ملخَّصًا.

وخَلَف بعده في محلِّه وزاويتِه ولدُه القويُّ البرهانِ: سيّدي أبو المكارمِ إبراهيمُ بنُ وَفا رضي الله عنه.

قال الشعراوي في «الذيل»: له التوجُّهُ التام، والكشفُ العام، وأخبرني بموتِ الشيخ أبي الحسن البكري- رضي الله عنه- قبلَ موتِه بسنة، فلم يتعدَّ اليومَ الذي أخبرَ به. ومِن حينَ صحِبْتُه ما رأيتُ في أولاد الفقراء مَن يراعيني بالغَيبِ مثله، ووصّاه النبيُّ ﷺ عليَّ مرات، وعمل بوصية النبي ﷺ، وعلَّمني أشياءَ كثيرةً لا أبوحُ بذكرِها في هذه الدار، فأسألُ الله أنّ يزيدَه مِن فضله، ويحشُرني من جُملةِ خُدّامه، انتهى .

وقال ابنُ فهد: وُلد في حدود العشرين وتسعمائة، وماتَ والدُه وعمرُه أزيَد مِن عشرينَ سنة، فخَلَفه مع يقظةٍ ونباهةٍ وعلوّ همةٍ وفضيلة.

حفظَ القرآن الكريم، و«رسالةَ ابن أبي زيدٍ» في فقهِ المالكية، و«ورقاتِ إمام الحرمَين» في الأصول، و«مقدمةَ الآجرُّومِية» في العربية، وقرأ مِن محفوظِه «الرسالة» على الشيخ أبي الحسن المالكي، وقرأها مع «الورقاتِ» على السيّد الأَرْمَيُوني بزاوية الحطاب، وكتب له إجازةً بهما، ثم قرأهما أيضًا مع «مختصَر الشيخ خليل» على الشيخ ناصر الدين اللَّقَاني، وأجازه بهم.

وقال الوَسِيميُّ في «شرح حزبِ السّاداتِ الوفائيةِ» ما نصُّه: وبلغني عن الشيخ العارف بالله سيدي أبي المكارم إبراهيمَ بنِ وفا أنه كان يقول: إنّ المرادَ بالسبعة: آياتُ الفاتحة، وبالثامنِة: آيةُ الكرسيّ. انتهى .

ونقل قبلَ ذلك معانيَ أخرى، ولكنّ صاحبَ البيتِ أردى.

قال ابنُ فهد: وظهر لي منه الصلاحُ والفضل والفلاح لمّا قدم مكة لحجِّ فرضه في سنة تسعٍ وأربعين، ثم توفي سنةَ ستٍّ أو ثمانٍ وستين وتسعمائة.

ورثاه الإمامُ محمدٌ الفارِضِيُّ بقوله:

إذا قضى الواحدُ المجيدُ أمرًا فما تفعلُ العبيدُ

نسَلِّمُ الأمرَ مِن قَريبٍ فليسَ نُبدِي ولا نُعِيدُ

ومِن كراماته: كما أخبرني به شيخُنا شيخُ الإسلام عليٌّ الأجْهُوري: إنه لما كان عندَ الشيخ ناصر الدين اللَّقَاني بمنزلِه القريبِ من الجامع الأزهر، للقراءة على الشيخ ناصر الدين المذكور، حانت صلاةٌ، فتقدّم الشيخ ناصرُ الدين للإمامة، واقتدى به الأستاذ أبو المكارم، فدار بهم المكان وارتجَّ، فقطعَ الناصرُ الصلاةَ وقدَّمه إمامًا، واقتدى به رحمهم الله تعالى.

ومن كراماته: إنه لما حضرته الوفاة لولدَية سيدي أبي الفضل، وسيدي أبي العطاء:

ليس عندي ما تختصِمان عليه، وإنما عليَّ خمسمائة قرش، فاسعيا في قضائها عني. فتوفي وليس عندَه شيء، فجلسا عندَه في زاويتهم مدةً مديدة، فإذا شخصٌ تاجرٌ أوصى بثلُث ماله لسيدي إبراهيم، فمات، فوُجِدَ ثلُثه خمسمائة قرش، فأُتي بها لهما، فأخذاها وقضيا بها دَينه. كذا أخبرني به الشيخ أبو اللُّطيف رحمه الله تعالى.

ولده الأستاذ

سيّدي أبو الفضلَ محمّدُ بنُ وَفاﷺ

صاحبُ الحال الأسعد، والجهاد في طاعة مولاه السرْمَد

خلفَ أباه في المشيخة، وكان على قدمٍ عظيم، في مراقبة العزيز الرحيم، وكأنّ ذا توضع عميم، يأمُر بالتواضع ويحثُّ عليه، حتى أمرَ مَن كان يَعِزُّ عليه، وهو ولدُ أخيه الأستاذُ أبو الإسعاد، لمّا استشاره: على مَن يقرأ عليه العلم؟ فقال له: على شيخ الوجودِ سالم السَّنْهُوري، وأمره أن يكتبَ إليه في أنه يذهبُ إلى الشيخ، أو الشيخ يأتي إليه؟ فكتب إلى الشيخ ورقةً بعث بها، فكتب الشيخُ على طُرّتِها: «الأمرُ إليكم»، فعرضَها على عمِّه، فقال له: تعيَّن عليكَ أنتَ السعيُ إليه.

وكان له كراماتٌ وخوارق، منها: أنه كان عنده قاضي عسكر مصرَ يحيى بن زكريا، فلما انقضى المجلسُ أعطاه الشيخُ سجادة، فأخذها وتعجبّ هو والحاضرون، فأرَّخ ذلك اليوم، فإذا القاضي كان عُزل قبلَ ذلك، ثم ولِيَ في اليوم الذي أعطاه فيه الشيخُ السجادة. ثم إن الشيخ توفي في مدة القاضي، سنة ثمانٍ وألف، فجاء وحضر غُسله وجِنازته لِمَا شاهده من كرامته.

ومنها: إنّ عالمَ مِصر الشيخَ الإمام نورَ الدين الزيادي رحمه الله تعالى كان إذا غَضِبَ على أحدٍ من جماعته لم يستطعْ أحدٌ أنْ يُرضِيَه عليه، ولا يردَّه إلى الاجتماع به. فغضبَ مرةً على شخصٍ من أتباعه؛ فتشفَّع بكلِّ ما قدر عليه فما أمكن، فدلَّ الأستاذ أبو العطا أبقاه الله، إلى أن مات الخادم.

ومنها: أنني زرته ببيته بمصر القديمة، وكان عنده ولده المرحوم سيدي أبو الفضل، فقال لي: إن شاء الله تقرئ هذا وأخاه سيدي أبا العطاء، وكان له ولد غيرهما، فلم يذكره، فكان الأمر كما قال، تشرف الحقير بإقراء اللذين سماهما.

ومنها: ما أخبرني به الأميرُ قانصُوه بك، أنه كان جاويشًا، وتعلّق قلبُه بأن يكون محتسِبًا بمصر، فذهب إلى الأستاذ أبي الإكرام بمصرَ القديمة؛ ليستشيره في ذلك،

ويتشفعَ به في ذلك عندَ أربابِ الدولة. فلما أخبَرَ الشيخَ بما أرادَ سكتَ ساعةً ثم قال له ثلاثَ مرات: لا تفعل ذلك! وإن شاء الله تعالى يعوِّضُك الله مناصبَ جليلة، فرضيَ بذلك الأمير قانصُوه، وترك ما كان عزم عليه، فكان الأمرُ كما قال الشيخ، فتولى كتابةَ المتقاعد، ثم ترجمانَ الباشا، ثم آغا جَمَلْيان، ثم سنجق.

قال: ووقع لي معه أنني كنتُ كاتبًا عند الأمير حسن محيي شلبي، فكتبتُ للشيخ مكتوبًا على لسان الأمير حسن، وذهبتُ به إليه أمرني، فقال لي الأستاذ: أنتَ تصلحُ؛ لأن تكونَ ترجمانَ الباشا، فكان كما قال.

ومنها: ما ذكره لي بعض خواصِّه بعد موته، أنه كان بزاوية أجداده ليلةً، فلهِجَ لسانُه الدعاء لولدَيه: سيدي أبي الفضل وسيدي أبي العطاء، فلما تمَّ دعاؤه كلَّمَني.

فقلتُ له: يا سيّدي، ما دعوت لولدِك سيدي عبد الرحمن!

فقال: لم يذكِّرني الله إياه، فكان ذلك كالكشف منه لموته بعد والده بيسير.

واتفقَ لي أنني بعد المغرب برمضان سنةَ نيفٍ وأربعين وألفٍ ببيته المشهور ببيتِ عاشورٍ بالقاهرة، فحضرتُ صلاةَ العشاء والتراويح، وكان عندَه الجمُّ الغفيرُ من الفقهاءِ والأكابر، فأمرني بالتقدُّم للإمامة، فأبَيْت لصغر سِنّي عن الحاضرين، فجَذَبني بيده الشريفة رحمه الله تعالى، وقدَّمني للإمامة، وقدَّمني أيضًا لصلاةِ الظهر بمرض موته حينَ دخلتُ له مع شيخي الأُجْهُوري لعيادته، فلما حضرَتْ صلاةُ الظهر.

قال لي: صلِّ بنا.

فقلت: حتى أتوضّأ من حنفية النحاس الموضوعة بدور قاعته بمصر القديمة على البر، فتوضأتُ وصليتُ بهما إمامًا. فكان في هاتين الواقعتين الكشفُ منه بأنني أتشرّف بخدمة مقام أجداده السادات، وبالإمامة بزاويتهم.

ومن أقوى كراماتِه المنيفة ومناقِبه الشريفة: أنّ شخصًا أتى مرةً بأمرٍ سلطانيّ بنظارةِ السيدةِ نفسيةَ عنه، فمكّنه الباشا امتثالاً للأمر، ثم بعدَ ذلك نزل الباشا للقبط بقراميدان، فهاجت عليه ريحٌ وارتُجَّ به وبمن معه المكان، فما عرف أصلَ ذلك ولا سببه، فإذا بالأستاذ الشيخ وهو داخلٌ عليه للسعي في ردِّ نظارته له، فعلم الباشا والحاضرون أنّ ذلك كرامةٌ للشيخ، وردَّ عليه النظارة.

مات حاديَ عشري الحجة، ليلةَ الجُمعة، سنةَ أربعٍ وخمسين وألفِ بمصر القديمة، وصُلِّي عليه بجامع عمرو، ودُفن بزاويتهم بالقَرافة.

أخوهُ الأستاذُ الأعظم

سيّدي يوسُفُ أبو الإسعادِ بنُ وَفاﷺ

الذي خُفَّ بنظر المولى الجواد، مَن يهابه لفرطِ جلاله الليث، ويُستَنْزَل ببركةِ وجوده الغَيث، أفاضَ الله تعالى عليه من سحائب رحمتِه، ومتَّعه بنظره إليه في روضاتِ جنّته.

وُلد ﷺ سنةَ ثلاثٍ أو أربعٍ وتسعين وتسعمائة، وكان هو وأخوه، الشيخ أبو الإكرام، كأنهما روحٌ واحدٌ في جسمين. لازم العلمَ واشتغل به قبلَ نباتِ عرضَيه، فأُحرِزَتْ قصَباتُ السبق في ميادين السعادةِ لدَيه، فقرأ على شيخ الحديث والفقه حافظِ الوقت سالمِ السَّنْهُوري «شرح أبي الحسن الكبير على الرسالة» وغيره، فنال غاية الأماني، وفاز بعلو الإسناد، وحصّل القربَ من المصطفى والتداني، ولازمَ علماءَ العصر غيرَ المذكور، كالشيخ موسى الدمشيتي، والشيخ عبد الله الدنوشري، والشيخ عبدِ الرحمن النتماوي، وغيرهم، وأنفقَ عمرَه في الطاعةِ ما بين درس علم، ووظائفِ ذكر، وقيام ليل، وكان ملازمًا للصلاة في جماعةِ أول الوقت، فلا يكادُ يصلي الفرضَ وحدَه سفرًا ولا حضرًا لعلمه بأنها بسبع وعشرين، وبأنّ: «**مَن صلَّى العشاء في جماعةٍ فكأنما قامَ نصفَ الليل، ومَن صلَّى الصبحَ في جماعةٍ فكأنما قام الليل كلَّه**» [1] كما ورد ذلك عن المصطفى ﷺ.

وحجَّ مرارًا، وزيارةً للنبي ﷺ، وللقدس، وتصدّى للفقراء والمساكينِ وأهلِ الخير والصلاح، وقضى حوائجَ الخاصِّ والعام، ولا تأخذُه في الله لومةُ لائم، مع تواضعٍ ومكارمِ أخلاق، وحُسْنِ سيرةٍ وسريرة، وجمالِ صُورة، وكشفٍ ظاهر، وكان عديمَ النظر في زمنِه بحيثُ لا يُسمَعُ بمثلِه.

وقرأ بمنزله الشريفِ بعضَ «صحيح مسلمٍ» بشروحِه، ومتنَ «الشمائل النبوية» للترمذي بشرحها للمناوي، وحضَرْتُه بهما، و«سيرةَ ابن سيد الناس» بحاشيتها «نور النبراس»، و«مختصرَ البخاري» لابن أبي جَمْرة، و«شُعَبَ الإيمان» للقَصْري، و«تفسيرَ الثعالبي»، و«المواهب اللدُنّية» للقَسْطلاّني، و«الجامع الصغير» للحافظ السيوطي، وحضرتُه في نصفِه الثاني، وقطعةً من «البيضاوي»، و«الشفا» للقاضي عياض، و«شرحَ الهمزية» لابن حجر، و«شرح الحكم العطائية» وغيرَ ذلك.

---

(1) رواه مسلم (454/1)، والترمذي (433/1).

فلازمه شيخُنا العلاّمةُ الفقيه شيخُ الإسلام الشيخ علي الأُجْهُوري، وكان هو المشارَ إليه، وشيخُنا أحمد المغربي المَقَّرِي بفتح الميم والقاف المشددة والشيخ أحمد الدَّواخِلي، وغيرهم.

وشرَحَ رسالةَ الشيخ أبي بكر بن سالم المسماة: «نور الحديقة» شرحًا نفيسًا لم يُسَبق إليه، وشرحَ «التمويلة الشريفة» في ورقات، وله ديوانُ شعرٍ حسنٌ في بابه.

وسمعت شيخَنا الأُجْهُوري مرةً يقول: والله إن كان في مصر ظاهرٌ فهو الشيخ أبو الإسعاد، وأنه لا يَعرفُ أهل مصر قدرَه، وإنه يتستر عنهم بملابس الدنيا وتظاهُرِهِ بها، وأسأل الله أن يجعلني من أتباعه في الآخرة. انتهى. وناهيكَ بهذه الشهادةِ مِن شيخِه فيه، مع مزيدِ وَرَعِه، وشِدّةِ تحرّيه.

وأخبرني أنه اعترض عليه بالقلب في إنشاءِ رواقٍ فوقَ محلِّ المصلَّى ببيته بدرب الجمامِيز، فأظهرَ الأستاذ أبو الإسعاد للشيخ الأُجْهُوري نصف بيتٍ قائلاً له:كمِّله،وهو:

بالإذْنِ قد عُمَّرَ لا بِشَهْوةِ

فتابَ الشيخُ في ساعتِه

وكان الأستاذُ المترجَمَ يهابه جميعُ باشاتِ مصرَ فمَن دونهم.

قال له حسين باشا في سنةِ أربعينَ وألف: الشيخُ أبو الاكرم والدي، وأنتَ أخي، لكن أخافُ منكَ أكثر. كما أخبرني بذلك حاضرُ المجلس معهم الشيخُ الأُجْهُوري.

وطلعَ الأستاذُ المترجَم له مرةً حينَ قَطعَ مسموحَ بعضِ العلماء، وقال له: اقطَعْ مسموحي.

فقال الباشا: لا يمكنُ ذلك. فقال الأستاذ: لا يمكن أن نتميَّزَ عن العلماء بذلك. فأعاد للعالم ما كان له من المسموح.

ووُشِي للباشا المزبُور في شريفٍ بالصعيد بأنه قاتل! فسجنه بالعرقانة، وجعل عليه دراهمَ جملةَ أكياس، فرأى النبي ﷺ منامًا.

وقال ما معناه: «غدًا يشفع فيك ولدي». فطلعَ الأستاذُ لحسين باشا فشفع في الشريف وقال: إنه لا يملكُ ثمنَ قماشِ الأكياس فضلاً عنها! فأطلقه الباشا في ساعته، وكان له المكاشفات الصريحة، والأخبارُ الفاخرة الصحيحة.

واتفق لشيخِنا الأُجْهُوري أنه كان معه الأعلام بالفَيُّوم، فمات مستأجِرُها منه، فأطلقها الباشا في الدلالة، فكتبَ الشيخ الأُجْهُوري قَصّةً بأن هذه ليست من بلاد

الميت، وإنما هي متعلِّقةٌ بتدريس الفقير، وأعطاها لي، وأمرني بالذهاب إلى الأستاذ أبي الإسعاد ليكتبَ على القصّة، فدخلتُ بيته عندَ شروق الشمس، وكان حينَئذٍ لا يجتمعُ بأحدٍ لتعبُّده بالداخل بعدَ صلاة الصبح بالجماعة إلى مضي نحوِ عشرينَ درجةً بعدَ الشمس، فحين دخلتُ أخبره الآغا بي، فخرجَ لي سريعًا، فقبّلت يدَه وأخبرتُه، فكتب على القَصّة: «حسبُه ربُّه وكفى» الفقير أبو الإسعاد بن الوفا، داعيكم ومخبِرُكم أنّ صاحب القَصّة شيخُ الإسلام وأنه المستحقُّ لهذه الجزئية انتهى. وقال لي: إن شاء الله مَقضيّة.

وانظرْ ما أحسنَ قولَه: «داعيكم» ولم يقل: الداعي لكم، إشارةً إلى أنه داعِية إلى الخير. فتوجّهتُ إلى القلعة أنا وصاحبُنا المرحومُ الشيخ محمدٌ الدلجموني، والشيخ أحمد الأنبابي، وقدّمنا القَصّة، فكتبَ عليها: «معافى بسرعة».

وأخبرنا كَتْخُدا الجاوشية عن الباشا أنه قال: سمعتُ: فيها ألفُ قرش، ولكن مسامحةً للشيخين، فنزلت قبلَهما لصِغَري وأخبرتُ الأجهوري، وكان ينتظرنا بالرميلة، وهو مُبصِر.

واتفق لي مع الأستاذ المترجَم أنني قرأتُ بينَ يدَيه مرةً في الجامع الصغير قارئًا لغَيبةِ القارئ، وأمرِ الشيخين لي بالقراءة، فحين أذَّن العصرُ والدرسُ يُقرأ.

قرأتُ قولَه ﷺ: «**من رضيَ عن الله؛ رضي الله عنه**»[1].

فقال لي الأستاذُ مبتسِمًا: قِفْ على الرضا، وكان أخوه كنَّاني قبل ذلك بزمنٍ يسيرٍ جدًا: أبو راضي، ولم يشعر بذلك إلا كشفًا.

واتفق لي أنني شكوتُ له شرَّ زوجتي، فقال لي: أما لك بنتُ خال؟ فطلّقتُ تلك المرأة، وأبدلتُها ببنت خالي، فسألني ثانيًا عن حالي، فقلت استرحتُ منها وأخذتُ بنتَ خالي، ففرحَ وقال لي: اصبر، فدخلَ وبعثَ لي ورقةً فيها أربعةُ قروش، ومكتوبٌ فيها ما نصُّه: «يا شيخُ عبد الباقي، خذْ هذا العَرَضَ الحقيرَ استَعِنْ به على الزوجة».

ثم ماتت بعدَ موتِ الأستاذِ بيسير، فعقدتُ على شقيقتِها، وذهبتُ إلى قبره، وقلتُ له: يا سيّدي، سمعتُ من محبّك الشيخ الأُجْهُوري يقول: الوليُّ في حياتِه كالسيفِ في قِرابه، فإذا انتقل صارَ سيفًا مجرَّدًا، وأنتَ أعطيتَني في زواج زوجتي أربعةَ قروش، وقد ماتت، وأريدُ الدخولَ بأختها، وأنتَ الآنَ أكرم ففي تلك الجُمعة جاءني فضلٌ من الله

(1) ذكره العجلوني في كشف الخفا (358/2).

ببركته ثلاثةَ أضعاف ما كان قد أعطاني، من غير تعلُّقاتي، فعلمتُ أنّ ذلك ببركته رحمه الله تعالى.

وقد توفي ليلةَ الأحد سلْخَ صفرٍ سنةَ إحدى وخمسين وألف، وصُلِّيَ عليه بصبيحتها بالجامع الأزهر، ودُفن بزاويتهم بالقرافة، وقبرُه عليه مَهابةٌ ظاهرة.

ولم نَرَ جِنازةً أكثرَ جمعًا من جنازته، بحيث لم يتأخّرْ عن حضورها أحدٌ من الأعيان بمصر، حتى باشتُها الوزير مصطفى باشا البُسْتَنْجي، وقاضيها العلاَّمةُ شهاب أفندي الخَفَاجي، ورثاه بقوله:

قضى نحبَهُ، والحجُّ قطبٌ لروحِهِ ... دعا ربُّهُ نحوَ الجِنانِ قلبَّتِ

ومَن حجَّ للبيتِ العَتيقِ على تُقى ... فروحُ أبي الإسعادِ للهِ حجَّتِ

ومَن حجَّ للرحمنِ إحرامَ حجَّةٍ ... مجرَّدةٍ عن جِسمِهِ دونَ مَوقْتِ

فلا بَرِحَتْ سُحْبُ الرِّضا فوقَ قبرِه ... مظلَّلَمةً هَطَّالةً سُحْبَ رحمةِ

والأبياتُ مذكورةُ في ريحانةِ: «الشهاب»، ولله درُّه! حيثُ أتى بما يناسبُ المقام، فإن وفاةَ الأستاذِ كانت عندَ عوْدِهِ من الحجّ رحمه الله تعالى.

سيّدي الشيخُ أبو اللُّطف يحيى ابنُ الشيخِ أمينِ الدِّين ابنِ الشيخِ أبي العَطا عبدِ الرزّاقِ بنِ وَفاﷺ

[توفي سنة 1067هجرية]

كان ذا تواضعٍ ولِين، وعبادةٍ ودينٍ متين، وشفَقةٍ على الفقراء والمساكين، وكانت تذكِّرُ بالله رؤيتُه، وتَدُلُّ على شِعار الصالحين سِمَتُه.

خَلَف عمَّه الشيخَ أبا الإكرام في المشيخة والسجّادة، وكان عمُّ أبيه الشيخُ أبو الفضل يقول: أولادُ الساداتِ كلُّهم فيهمُ الزيت، إلا ولدَ ابنِ أخي: يحيى، فان زيتَه من رأسه لقَدَمِه.

تفقَّه وقرأ على شيخِنا الأُجْهُوري، وحجَّ قبلَ توليه السجّادة خمسًا وعشرين حجةً، وجاورَ بمكةَ والمدينة - على ساكِنها أفضلُ الصلاةِ وأتمُّ التسليمات- سنينَ عديدة، وكان قوّالاً بالحق، أمّارًا بالمعروف، لا يهابُ باشاتِ مصر، وانقادَتْ له الدولة، وكانوا يتبرَّكون به، ومن تواضُعهِ: أنه كان يخرجُ من بيته لزوّارِه حاملاً القهوةَ والفطورَ بيدِه الكريمة.

مات رحمه الله تعالى سنةَ سبعٍ وستينَ وألف، رحمه الله تعالى وكراماتُه كثيرةٌ شهيرة.

شيخ الوقت الأستاذ الأعظم سيدي

أبو التخصيص عبد الوهاب بن وفا ﷺ

[ولد سنة: 1030 هجرية]

الفردُ الجامع الذي ليسَ في ولايته ارتياب، وكعبةُ النوال والإفضال، ومحطُّ رحالِ آمالِ الآمال، يظهَرُ للناس تارةً برداء الجلال، وطَورًا بإزار الجمال، ومرةً بهما معًا، ولا بِدْعا فهو صاحبُ الحال والقال، صاحبُ عبادةٍ جهرًا سرًا، ولا يَرضي تطاوُلاً على أحدٍ ولا فَخْرًا.

وَلد في شهر ذي القعدة سنةَ ثلاثين وألفٍ، كما وُجد بخطِّ والده أطال الله عمُرَه وأبقاه، ممتَّعًا بالعافية وآتاهُ مُناه. واعتنى به أبوه الأستاذ الشيخ أبو الإسعاد، وكان يدعوا له كثيرًا وتُجاهَ الكعبةِ بالمسجد الحرام، وعند قبر المصطفى عليه أفضلُ الصلاةِ والسلام، وكان والده به مزيدُ اعتناءٍ تام، وحجَّ الفرضَ معه.

قرأ وتفقَّه على جماعةٍ أجلّةٍ أعلام، وروى بالإجازةِ عن عالم المدينة المنوَّرة الشيخ عبدِ الرحمن الخِياري الشافعي، وقرأ على شيخ الإسلام الشهاب الدَّواخلي، والعلاَّمة شيخ الإسلام محمد الشمرلسي المالكي، والشيخ محمد البنوفري، والمراغي، والشيخ عبد المعطي، وغيرهم.

وقال الشعرَ الرائق، والذي هو على شعرِ أبناءِ عصرِه فائق، له ديوانٌ عظيمٌ حسنٌ جدًا في بابه.

خلَف ابنَ عمِّه الشيخَ أبا اللطف يحيى، فأبان الله به ما دَرَس وأحيا، وصار شيخَ الوقتِ والطريقة، ومعدِنَ السلوكِ والحقيقة، ودانتَ له- بحمد الله- الدولةُ كُّلهم، الباشاتُ فمَن دونَهم، اعتقدوه وأحبُّوه، وكذا العلماء، فكان كلٌّ من الشيخ محمد الشوبري وأخيه الشيخ أحمد الحنفي- فريدَي عصرهما علمًا وعملاً- يدعوان له في غَيبته ببلوغ المرام، وكذا شيخُ الإسلام والمحدِّثين: محمدٌ البابليُّ، والشيخُ سلطان المِزاجي، والشيخ الميموني، والعلاَّمة الشيخ عليٌّ الشمرلسي. كان للجميع به اعتناءٌ باطنًا، ودعاءٌ غَيبًا، وهو بذلك جدير، فمُخالِطُه لا يَروم انقضاءَ مجلسه. وهو على غاية

من التواضع، ممتثِلاً قوله ﷺ: «مَن تواضع لله دونَ قدرِه رفعَه الله فوقَ قدرِه»[1].

وكراماتُه كالشمس في رابِعةِ النهار، فقلَّ مَن تعرَّض له بأذىً فسَلِم، بل إمّا هلكَ وإمّا سَلِمَ ونَدِم.

ومِن كراماته: أنني رأيتُ في المنام جدَّه الأعلى الأستاذ محمد وفا على صورته، أدامَ الله تعالى إمداده، ونفعَ به عبادَه، وبلَّغه سؤاله ومرادَه، وأدام ليوم الحشر أولادَه، بجاه المصطفى ﷺ.

أخوهُ الأستاذُ الأعظَم

سيّدي أبو الحسنِ عليُّ بنُ وَفا رضي الله عنه

[1040 هجرية- ....]

يتِيمةُ الدهر، نادرةُ الزمان، صاحبُ الهِباتِ الإلهية، والفتُوحاتِ الرحمانية، المتخلِّقُ بكُثْرٍ من الأخلاقِ النبوية، مَن تتعطَّرُ بنشرٍ منشُورٍ ذكرِه المجالس، ويرتاحُ بمشاهدته وعذْبِ خطابِه مَن إليه يُجالِس، كشفُه لا يتخلَّفُ بل يجيءُ كالفَلَق، مَصُونٌ عن كثرة المزاح، وإن مزحَ صدَق.

وُلد في سنةِ أربعين وألف، وحصَلَ له من والده الأستاذ النظرُ التام، حتى كان يخاطبُه في سنِّ تمييزِه بـ: يا شيخ علي كما أخبر بذلك. وماتَ والدُه، فنشأ هو أبقاه الله نشأةً حَسَنة، مُكِبًّا على القرآن والاشتغالِ بالعلم والذكرِ والعِبادةِ والأورادِ الخفية، والتواضع الزائد والشِّيمِ المرضية.

حج مرارًا، وزار المصطفى ﷺ، ونالَ منه المنى والصفا، وزارَ القدسَ الشريف، ولازمَ قبلَ ذلك شيخَنا الأُجْهُوري سنين، يَركبُ إليه في كلِّ يومِ اثنينِ وخميس ليقرأ عليه ببيتِ الشيخ بالأزْبَكِية، فقرأ عليه: «الرسالةَ القَيرَوانية» ، وجملةً من «مختصَر الشيخ خليل»، و«الآجرُّومية»، و«شرحَ القَطْر»، و«الألِفية»، و«ابن عَقيلٍ» بتمامه، و«شرحَ الكافية» للجامِيِّ إلى قُرب بابِ العطف، وقرأ عليه جملةً كافيةً من «صحيح البخاري» قراءةً جامعةً بين الدراية والرواية، وكان يطالعُ «الكِرْمانيَّ» وغيره. وكان الشيخُ- رحمه الله تعالى- يحبُّ الأستاذ كثيرًا محبة طبيعية.

ولمّا كان بعضُ حاضِري مجلسِ الشيخ الأُجْهُوري يستبطئونه في المجيء للقراءة،

---

(1) رواه البيهقي في الشعب (296/6) بنحوه.

فسألني الشيخ: لِمَ لاَ يحضرُ صبيحةَ النهار؟

فقلتُ له: لأنه يتعبَّدُ بأورادٍ إلى طلوع الشمس وبعدَه بنحو عشرين درجة، فقال لي الشيخُ داعيًا له: زاده الله علمًا وعملاً، ليُداوِمْ على تلك الحالة ولو فُرِضَ أنه لا يأتيني إلا إلى أذان الظهر!

وكان يدعو له بحضرته، ويقول: أسألُ الله العظيمَ مِن فضله أن يجعلَ فيك ضعِفَ ما كان في والدِكَ من الخير والبركة. ولله الحمد، قد حقّقَ الله دعاء الشيخ، فلا يرتابُ مَن يشاهدُه ويعرفُ أحوالهَ في أنه كوالده.

وألقى الله حُبَّه وجلالته ومهابته في قلوبِ الخلائق، ورزقَه الله الخُلُق الحسنَ الجميلَ الفائق، وصار هو وأخوه الأستاذ أبو التخصيص كأنهما روحٌ واحدٌ في جسدَين، يُضرَبُ المثلُ باتفاقهما، ولله الحمد.

وأكبَّ بعدَ موتِ الشيخ الأُجْهُوري على الاشتغال بالعلم والإفادة، والذكر والعبادة، مع الزيادة في التواضع وقضاءِ حوائج المسلمين، والاهتمام باطنًا بما ينُوبُ الخَلْق، وحُسْن معاشرة الناس، حتى أن كلَّ من عاشره يقول: أنه أحبُّ إليه من سواه.

وله مكاشفاتٌ عديدة، وكراماتٌ مَزيدة، فأسأل الله أنْ يزيدَه من فضله، ويمتِّعَه بالعافية، ويجعله رحمةً بينَ العباد، ويرزقَه مِن مَنِّة الأولاد، ويبقيَ نسلَه إلى يوم التَّناد، بجاه المصطفى ﷺ.

ولد عمه الأستاذُ سيدي

محمّدُ أبو الفضلِ محمّدُ بنُ وَفا ابنِ الشيخِ أبي الإكرامِ ﷺ

[بعد 1040– 1083 هجرية]

وكان ذا جودٍ وإنعام، وحِلمٍ وتواضعٍ مع الخاصِّ والعام، بحيث كان يأكل مع الفقراء جدًا على سُفْرةٍ واحدة، ويشربُ من أي قُلّةٍ تيسّرَت.

وُلد في بضعٍ وأربعينَ وألف، وكان أبيضَ وسيمًا، وجميلاً جسيمًا، وكان رَبعْةً أطلَسَ لا لحيةَ لَه كعبدِ الله بن الزبَير أميرِ المؤمنين، الصحابيّ بنِ الصحابي، والأحنفِ بن قَيسٍ أحدِ التابعين، وأحدِ مَن يُضرَب بحلمه المثل، وغيرهما.

حجَّ عقبَ بلوغِه مع والدِته، وقرأ «الرسالةَ» و«العِزّيةَ»، و«الآجِرُّوميةَ»، و«القَطْر»،

وغيَر ذلك.

وَولَدَ من صُلْبِهِ عشرين، ذكورًا وإناثًا، وماتوا في حياته! ومات ولم يعقِّب في ليلةِ تاسع المحرّمِ، سنةَ أربعٍ وثمانينَ وألف- رحمه الله تعالى- ومتّعه في الجنة برضاه، وأحسنَ عندَه مثواه، بجاه المصطفى ﷺ ومَن والاه.

وصلَّينا عليه بجامع عمرو، يوم تاسُوعاء، ودفُن بتُربتِهم بالقَرافة، جعلَه الله ممّن ينظُرُ إليه يومَ القيامة، وواصل عليه رحمتَه ورضوانَه.

أخوه الأستاذ

سيّدي أبو العَطا عبدُ الرزّاقِ بنُ وَفا ﷺ

حسَنُ الشمائل، كثيرُ الفضائل، عالي الهِمّة، لطيفُ الأخلاق، المتواضعُ إلى الغاية للعِباد، كثير العبادة سرًّا لربه الخَلاّق، تُسَرُّ بذكرِه القلوب، وتبَشُرُ برؤيته الأحداق، له النفَسُ العالي، وطَورًا يظهر في خِلَع الجلال، وتارةً في رداء الجمال والإشراق.

وُلِد- أبقاه الله وبلَّغه فضلاً ما مِنه يتمنّاه، وأحسنَ إليه بجميع ما يترجّاه- في بضعٍ وأربعيَن وألف، ونشأ نشأةً حسنة، مُحبًا للخيرِ والعِلم والعبادةِ بالطبع، وقرأ «العِزّيةَ»، و«الرسالةَ»، و«الآجِرُّوميةَ»، و«القَطْر»، وبعضَ «مختصَرِ الشيخ خليل» و«مقدِمةَ الشيخ الشعراوي» في النحو، وغيرَ ذلك. وحجَّ مرارًا، وجاورَ بمكةَ والمدينةِ مدةَ سنين، وله شِعرٌ حسنٌ متين، وله أحوالٌ باهرة، وكراماتٌ ظاهرة، ما آذاه أحدٌ إلا يرجعُ القهقري، وتُهلِكُه القاهرة.

وُلِد -أبقاه الله وبلَّغه فضلاً ما مِنه يتمنّاه، وأحسنَ إليه بجميع ما يترجّاه- في بضعٍ وأربعيَن وألف، ونشأ نشأةً حسنة، مُحبًا للخيرِ والعِلم والعبادةِ بالطبع، وقرأ «العِزّيةَ»، و«الرسالةَ»، و«الآجِرُّوميةَ»، و«القَطْر»، وبعضَ «مختصَرِ الشيخ خليل» و«مقدِّمةَ الشيخ الشعراوي» في النحو، وغيرَ ذلك. وحجَّ مرارًا، وجاورَ (بمكةَ والمدينةِ) مدةَ سنين، وله شِعرٌ حسّنٌ متين، وله أحوالٌ باهرة، وكراماتٌ ظاهرة، ما آذاه أحدٌ إلا يرجعُ القهقري، وتُهلِكُه القاهرة.

لا تكُنْ وانيًا فثَمَّ أُمورٌ ... لِطِوالِ الرّجال لا لِلْقِصارِ

إنْ تكُنْ لم تَرَ الهلالَ فسلِّمْ ... لِرجالٍ رأوْهُ بالأبصارِ

قومٌ يتكلّمون لله وبالله، وترى صغيرَهم الطفلَ لربِّه أوَّاه، فما بالك بالكبير؟!

فـإنْ تكلَّمـتُ لـم أَنطِـقْ بغيـرِكُمُ   وإنْ سَـكتُّ فـشُغْلي عـنكُمُ بِكُـمُ

وكم رأينا وشاهَدْنا مِن أطفالهم صريحَ المكاشَفات، وكم قامت على كمال عِرفانهم وقوةِ ولايتِهم ونورِ إيمانهم آياتٌ بيّنات:

فأولئكَ السادات لم تَرَ مِثلَهُمْ   عينـي علـى مُـتعاقِبِ الأزمـانِ

الخاتمة

ونسألُ اللهَ حُسْنَ الخاتِمة[1]

(1) قال الشيخ محمد توفيق البكري: فصل في وظيفة السجادة الوفائية، فهذه الوظيفة من الوظائف الجليلة، والمراتب الرئيسة في الديار المصرية من قديم الزمان، والطريقة الوفائية هي: شعبة من الشاذلية.

قال الزبيدي: الطريقة الوفائية منسوبة إلى قطب العارفين وبرهان السالكين حجة الله في الأرض إمام الطريقة الأستاذ القطب سيدي أبي الحسن علي بن محمد بن محمد النجم، وسلسلة هذه الطريقة هي كما يأتي:

أخذ السيد عبد الخالق أفندي السادات عن والده السيد أبي النصر عن أبيه السيد أبي الإقبال عن عمه السيد أبي الأنوار عن خاله السيد أبي الإشراف محمد عن عمه السيد أبي الخير عبد الخالق عن أخيه أبي الإرشاد عن والده أبي التخصيص عبد الوهاب عن ولد عمه أبي اللطف يحيى عن عمه أبي الإكرام عبد الفتاح عن عمه أبي الفضل محمد عن والده أبي المكارم إبراهيم عن والده أبي الفضل محمد محب الدين عن والده أبي المراحم محمد عن عمه أبي السيادات يحيى عن أخيه أبي الفتح محمد عن والده أحمد شهاب الدين، عن أخيه القطب الكبير والعلم الشهير أبي الحسن علي وفا عن والده القطب الغوث الفرد الجامع أبي التداني محمد وفا عن الأستاذ داود بن باخلاء عن تاج الدين بن عطاء الدين السكندري عن العارف أبي العباس المرسي عن القطب الرباني أبي الحسن الشاذلي عن الشريف عبد السلام بن مشيش عن الشريف الحسيني عبد الرحمن عن أبي مدين التلمساني عن الشاشي عن أبي سعيد المغربي عن أبي يعقوب النهرجوري عن الجنيد عن خاله السري السقطي عن معروف الكرخي عن علي الرضا عن أبيه موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه علي زين العابدين عن أبيه الإمام الحسين عن أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه.

ولهذه الطريقة حزب مشهور اسمه: (حزب الفتح) لسيدي محمد وفا، وهذا الحزب يُقرأ في بيت السجادة كل أسبوع ولها خرقة صوفية مخصوصة الزي.

وهي: تاج وشد على شكل مخصوص أول من أحدثه السيد أبو الفضل، ولهذه الطريقة خلفاء في القطر المصري الآن، وكثير من المريدين والآخذين عليها.

وأما من تولى مشيخة هذه السجادة العلية من آل وفا، هم:

- الخليفة الأول سيدي علي وفا.
- الخليفة الثاني: سيدي أحمد أخوه.
- الخليفة الثالث: سيدي أبو الفتح.
- الخليفة الرابع: السيد أبو السيادات.
- الخليفة الخامس: السيد شمس الدين محمد أبو المراحم.
- الخليفة السادس: السيد محب الدين أبو الفضل.
- الخليفة السابع: السيد برهان الدين إبراهيم أبو المكارم.
- الخليفة الثامن: السيد شمس الدين محمد أبو الفضل.

=

قد عُلِمَ مما أسلفنا أنّ:

1- الأستاذَ الأعظمَ أبا التخصيص- رضي الله عنه- تلقى المشيخةَ عن:

2- وَلدِ عمّه أبي اللُّطفِ ﷺ وهوَ عن:

3- عمِّه أبي الإكرامِ ﷺ وهوَ عن:

4- عمِّه أبي الفضْلِ محمّدٍ ﷺ وهوَ عن:

5- والدِه أبي المكارمِ إبراهيمَ ﷺ وهوَ عن:

6- والدِه أبي الفضلِ محمّدٍ ﷺ وهوَ عن:

7- والدِه أبي المكارمِ إبراهيمَ ﷺ وهوَ عن:

8- والدِه أبي الفضلِ محمّدٍ ﷺ وهوَ عن:

9- والدِه أبي المَراحِمِ محمّدٍ ﷺ وهوَ عن:

10- عمِّه أبي السياداتِ يحيى ﷺ وهوَ عن:

11- أخيه محمّدٍ أبي الفْتحِ ﷺ وهوَ عن:

12- والدِه أبي العبّاسِ أحمدَ ﷺ وهوَ عن:

13- أخيه محمّدٍ أبي الحسَنِ عليٍّ ﷺ وهوَ عن:

14- والدِه محمّدِ وَفا بنِ محمّدِ بنِ محمّدٍ النجم، وهوَ تلقّى الطريقَ عن:

=

- الخليفة التاسع: السيد برهان الدين إبراهيم أبو المكارم.
- الخليفة العاشر: السيد شمس الدين محمد أبو الفضل.
- الخليفة الحادي عشر: السيد زين الدين عبد الفتاح أبو الإكرام.
- الخليفة الثاني: عشر السيد شرف الدين يحيى أبو اللطف.
- الخليفة الثالث عشر: السيد زين الدين عبد الوهاب أبو التخصيص.
- الخليفة الرابع عشر: السيد جمال الدين يوسف أبو الإرشاد.
- الخليفة الخامس عشر: السيد شرف الدين عبد الخالق أبو الخير.
- الخليفة السادس عشر: السيد شمس الدين محمد أبو الإشراق.
- الخليفة السابع عشر: السيد مجد الدين محمد أبو هادي.
- الخليفة الثامن عشر السيد: شهاب الدين أحمد أبو الإمداد.
- الخليفة التاسع عشر: السيد شمس الدين أبو الأنوار.
- الخليفة العشرون: السيد أحمد أبو الإقبال.
- الخليفة الحادي والعشرون: السيد أحمد أبو النصر.
- الخليفة الثاني والعشرون: السيد أحمد عبد الخالق السادات.

15- داودَ بن باخلا ﷺ مؤلِّف «عُيُونِ الحقائق»، وشارحِ «حِزْبِ البحر» عن:
16- الأستاذ الكبير تاجِ الدِّينِ بنِ عَطاءِ الله السِّكَنْدَرِيّ المالكي ﷺ وهوَ عن:
17- العارفِ المُرْسِيّ ﷺ وهوَ عن:
18- القُطْبِ الرَّبانيّ أبي الحَسنِ الشاذِليّ، شيخِ الطريقةِ ﷺ وهوَ عن:
19- الشريفِ عبد السلامِ بنِ مَشِيْش ﷺ، وهوَ عن:
20- الشريفِ الحَسنيّ عبدِ الرحمنِ بنِ أبي مَدْيَنَ التلِمْسانيّ ﷺ، وهوَ عن:
21- الشَّاشيّ ﷺ وهوَ عن:
22- أبي سعيدٍ المَغربيّ ﷺ وهوَ عن:
23- أبي يعقوبَ النَّهْرَجُورِيّ ﷺ، وهوَ عن:
24- الجُنَيد ﷺ، وهوَ عن:
25- خالهِ السَّقَطِيّ ﷺ، وهوَ عن:
26- معروفٍ الكَرْخيّ ﷺ، وهوَ عن:
27- الرِّضا ﷺ، وهوَ عن:
28- أبيهِ موسي الكاظمِ ﷺ، وهوَ عن:
29- أبيهِ جعفرٍ الصادِقِ ﷺ، وهوَ عن:
30- أبيهِ محمدٍ الباقِرِ ﷺ، وهوَ عن:
31- أبيهِ عليٍّ زينِ العابدِينَ ﷺ، وهوَ عن:
32- أبيه الحُسينِ ﷺ سِبْطِ المصطفى صلى الله عليهِ وآلهِ وسلم، عن:
33- أبيهِ أميرِ المؤمنيَن عليِّ بنِ أبي طالبٍ- كرمَ الله وجْهَهُ ورضي الله عنه-.

وهذه طريقُ الجَادّة، وهي عن أهلِ البيت كما ترى، عن سيّدِنا عليٍّ ﷺ وأرضاه وكرمَ وجهَه.

ولحضرةِ الساداتِ- واصَلَ الله إمداداتهم، ونفعَنا ببركاتهم- طريقٌ أخرى إلى الحسَن بنِ عليّ، ذكرها أبو الطيب الأقسرائيُّ في كتابه: «نفَحات الصفا».

قال: «تلقَّيت الطريقَ عن أبي السيادات يحيى بنِ وَفا، عن والده الشهاب، عن جدّه محمدٍ وفا، عن داود بن باخلا، عن ابن عطاء الله، عن المُرسي، عن الشاذلي ، عن ابن بشيش، عن الحسن، عن تُقَيّ الدِّين الفُقَيّر، بالتصغير، عن علي، عن تاج الدين، عن زين الدين القُزويني، عن القطبِ سعيد، عن سعد، عن فتحٍ السعودي، عن سعدِ الفرواني، عن جابر، عن أبي محمدٍ الحسَن- بالتكبير- سِبْطِ سيد المرسلين ﷺ ورَيْحانتِه، وهو

صحِبَ واقتدى بجدِّه صلى الله عليه وآله وسلم وشرَّف وكرَّم».

قال- أعني الأقسرائي-: الطريق هي: التنسُّك، والتخَلُّق، والتسَلُّك.

فالتنسُّك: عبارةٌ عن متابعته ﷺ .

والتخلُّق: عبارةٌ عن التخلُّق بأخلاقه القلبية ﷺ .

والتسَلُّك: عبارةٌ عن استرسالِ السرِّ في مشاهدته: العلمية والفنائية ﷺ انتهى.

وعلى الله التوكُّلُ وإليهِ المُنتهى

وصلى الله على سيّدنا محمّدٍ

وعلى آلِهِ وصحْبِهِ وسلَّمَ، وشرَّفَ وكرَّم

تمّتِ النسخةُ الشريفةُ بحمدِ الله تعالى وعونِهِ وحُسن توفيقِه

* * *

العروش الإنسانية

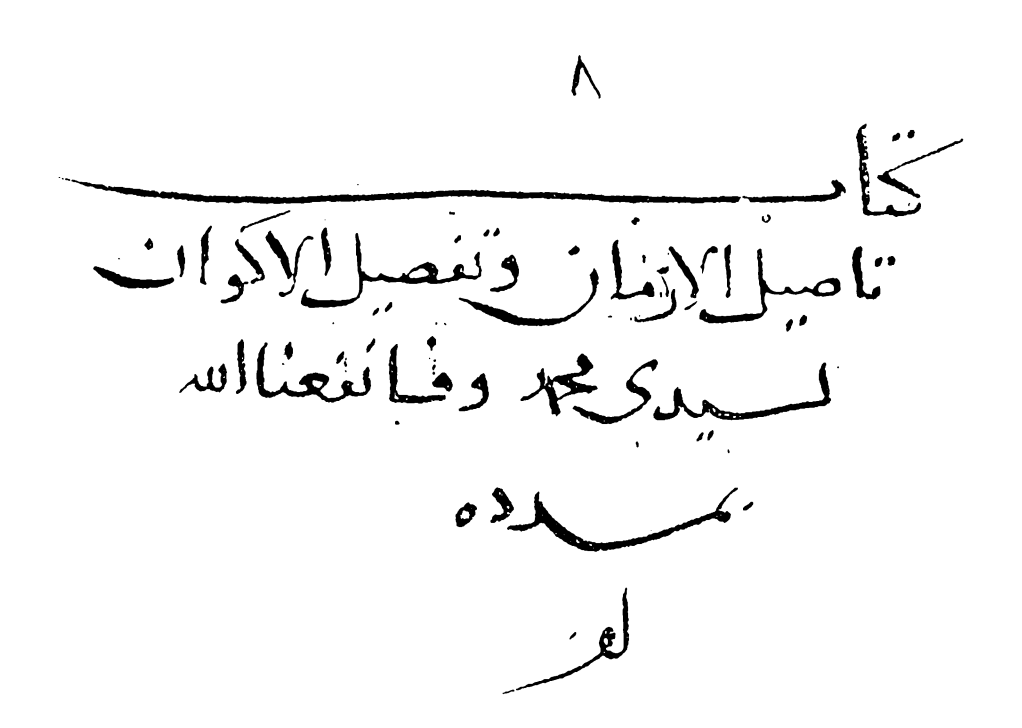
أو

تأصيل الأزمان وتفصيل الأكوان

لسيدي محمد وفا

قدس الله سرَّه

نماذج من صور المخطوط


٨
كتاب
تاصيل الايمان وتفصيل الاكوان
لسيدي محمد وفا نفعنا الله
بمدده
امين

صورة غلاف العروش

بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب
الحمد لله واضع حبيطة الوهم وفاصل وجودات الفهم ومقدر اقدار الخلق من مظهر
تجليات تقديرات الحق فعدد ذا الحجب والاستار وجعل الظلم والانوار وكثر بمظاهر
الاسرار عن باطن سر الاسرار فتوهمت الاغيار باختلاف مظاهر الاقدار
وحّد وعدّد وازل وابد واطلق وقيد وسوّد وعبّد وركّب وافرد فتاهت
العقول وحارت الافكار وتشاهدت البصائر وعميت الابصار نحمده حمد العرفان
ونشكره شكرا يليق بالمنان ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تحقق احديته الذات
ووحدانية الصفات وتوحد الافعال من حيث الاسما في بواطن المسميات ونشهد ان محمدا صلى الله عليه وسلم
عبده ورسوله عين الكمال ومحلل مشكل الاشكال ومحقق في منشأ هذا الاباد حقائق الازال صلى الله عليه
وعلى آله وصحبه اهل الفضائل والافضال ومنازل النجوم المشرقة العوال وسلم تسليما كثيرا والحمد لله
واضع الحبيطات الابدية بمظاهر ظواهر الوحدات العددية والموضوعات الامدية المتجلي
بالاحاطات الازلية في الحقائق الاحدية جاعل موضوعه في عين الجمع بقوة الخلق وموجد
محموله بقوة الجمع في تجلي الحق اقام عمود الساق مرآة الحي القيوم على مركز القدم الصدق معدمه
المعقول والمفهوم وجامع حقائق المعلوم والمرسوم نصب حبيطة الوهم في غيب الحقيقة
الازلية واقام مشخص الخيال في عين الحق بالابدية احكم اعيان المملكة بالملكة ورفع
اعيان المحكمات بالهلكة فمزج الحدث بالعدم وحقق القدرة بالقدم وسطر الالواح
بالقلم وركب الافراد بالحكم نحمده ولا نجد سواه ونوحده ولا نوحد الا اياه ونشهد له
بالالهية شهادة الشي لشيئيته والقادر لمقدوريته والعالم لمعلوميته لا كالمعلوم
لعلمه والمقدور لقدرته والشي لا شأنه حسبما احاط في حقائق احاطيته وتحقق في عبودية
ذاتيته ونشهد لمحمد صلى الله عليه وسلم عين عبودانيته ومشرق شمس ربوبيته بانه احد
احديته ومجد وحدانيته صلى الله عليه وعلى آله واصحابه احاد وحدانيته وافراد فردانيته
ما تكثرت عدديته واوجد في عدميته وحدث في سرمديته وسلم تسليما كثيرا والحمد لله الذي
استوى باحاطة محمول رحمانيته على حبيطة موضوع انسانيته فاظهر حقائق ايجابيته في اعيان
حق امكانيته فاعدم ما لم يزل في باطن وحدانيته واوجد ما لم يكن في تعيين فردانيته فصدق
وجوده على عدمه صدق التعيين وحكم عدمه على وجوده حكم التمكين فتنجب باسرار ذات
التكوين مبدايع افعال التلوين فتكثر الواحد وغاب الشاهد وضل الراشد وفقد الواجد
وحار القاصد في تحقيق المقاصد ثم انزل الحمد في باطن العد فنادى في اسرار الاسرار ...

صورة الصفحة الأولى

تنزلات تمثلات بسم الله الرحمن الرحيم وقد خلص خلاصة استحال صراحة من عقد تعقيدات اعتقادات احتباط خبط الخابطة باثبات تصورات مخيلات توهمات مقدمات المغالطة ونفي عن اثبات ثبات تلبيسات سفسطة سواء فسطائية السفاسطة فتبرا ببرائه من داعلة العلل وتنزه بطهارة نظارة طهوريته من ترجيس تنجيس المنجم والطبيعي والمعطل المعلن والزنديق المتأول في المجمل والمفصل فما احكم واعدل وما اجل واجمل واكمل احكام كشف في اتباع لا بتحكم احكام او بادي رايي بابداع والى هنا انتهى القول بحول ذي القوة والحول والحمد لله رب العالمين ولا عدوان الا على الظالمين وكلا نمد من فضله اوعد له مددا من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل الله فلن تجد له وليا مرشدا وحسبنا الله ونعم الوكيل وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين انتهى الالقا الرحماني والتنزل الرباني بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وله الحمد دايما ابدا كما يجب ويرضى لا رب غيره ولا خير الا خيره

صورة الصفحة الأخيرة



مقدمة سيدي محمد وفا

الحمد لله واضع حيطة الوهم، وفاصل وجودات الفهم، ومقدار أقدار الخلق من مظهر تجلِّيات تقديرات الحق، فعدَّد الحجب والأستار، وجعل الظلم والأنوار، وكثر مظاهر الأسرار عن باطن سرِّ الأسرار؛ فتُوهِّمت الأغيار باختلاف مظاهر الأقدار، وحدَّ، وعدَّد، وأزَّل، وأبَّد، وأطلقَ، وقيَّد، وسوَّد، وعبَّد، وركَّب، وأفرد؛ فتاهت العقول، وحارت الأفكار، وشاهدت البصائر، وعميت الأبصار.

نحمده حمد العرفان، ونشكره شكرًا يليق بالمنان، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً تحقق أحدية الذات، ووحدانية الصفات، وتوحُّد الأفعال من حيث الأسماء في بواطن المسمَّيات.

ونشهد أن سيدنا محمدًا ﷺ عبده ورسوله عين الكمال، ومحلل شُكل الإشكال، ومحقِّق في مشاهد الآباد حقائق الآزال.

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أهل الفضائل والإفضال، ومنازل الفخر المشيَّدة العَوال، وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

خطبة ثانية

الحمــد لله واضــع الحــيطات الأبديَّــة، مظاهــرِ ظواهــر الــوحدات العدديــة، والموضـوعات الأمديـة المتجلِّـي بالإحاطـات الأزلـية فـي الحقائـق الأحديـة، جاعـل موضوعه في عين الجمع بقوة الخلق، وموحِّد محموله بقوة الفرق في تجلِّي الحق، أقـام عامـود الـساق مـرآة الحـي القـيوم علـى مركـز القَـدم الـصدق، مقدمـة المعقـول والمفهوم، وجامع حقائق المعلوم والمرسوم، نَصب حيطة الوهم في غيب الحقيقة الأزلية، وأقام مشخص الخيال في عين الحق بالأبدية أحكم أعيان المملكة بالملكة، ورفع أعيان المحكمات بالهلكة؛ فمزج الحدث بالعدم، وحقَّق القدرة بالقِدم، وسطر الألواح بالقلم، وركب الأفراد بالحِكم، نحمده ولا يُحمد سواه، ونوحِّده ولا يُوحَّد إلا إيَّاه، ونشهد له بالإلهية شهادة الشيء لشيئيته، والقادر لمقدوريَّته، والعالم لمعلوميَّته، لا كالمعلـوم لعلمـه، والمقـدور لقدرتـه، والمـشيء لمـشيئته حـسب مـا أحـاط فـي حقائـق إحاطيته، وتحقـق فـي غـيوب ذاتيته، ونـشهد لمحمـد ﷺ عـين عبوديته، ومُشرق شمس ربوبيته؛ بأنه أحمد أحديته، ومحمد وحدانيته صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه آحاد وحدانيته وأفراد فردانيته ما كثَّر في عدديته، وأوجَد في عدميته، وحدَّث في سَرمديَّته، وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

خطبة ثالثة

الحمد لله الذي استوى بإحاطة محمول رحمانيته على حيطة موضوع إنسانيته، فأظهر حقائق إيجابيته في أعيان حق إمكانيته، فأعدم ما لم يزل في باطن وحدانيته، وأوجد ما لم يكن في تعيين فردانيَّته، فصَدَق وجوده على عدمه صِدق التعيين، وحَكم عدمه على وجوده حُكم التمكين؛ فنتجت بأسرار ذات التكوين بدائع أفعال التلوين فتكثَّر الواحد، وغاب الشاهد، وضلَّ الرَّاشد، وفَقد الواجد، وحار القاصد في تحقيق المقاصد، ثم أنزل الحمد في باطن العد، فنادى في أسرار الأسرار وإحساس الأفكار: الفرار الفرار إلى مَن لا تدركه الأبصار، فأسمع أسماع الأبد بألسِنة الأزل؛ فارتفع إشكال الإشكال بتحليل معاقل الشُّكل، وتفرق جمعُ أغلاق التركيب، وتحلَّل فأشرقت الظُلم، ونُصب العلم على كل معلومٍ عُلِم، وضرب لأبكار عين أعيان الحقائق على أودية أعيان الخلائق خِيم؛ فتبهَّج الشاهد بمشهوده، وتحقَّق العابد بمعبوده، وتعطَّف المتباعد على مبعوده وانفكَّ الختام، وفشت أسرار السلام، وجاء الحق، وزهق الخلق، وثبت القَدم الصدق في مقعد صدقٍ، وقام الساق بحقيقة ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾

[القيامة:30]، وانكشف الغطا، وارتفع حكم الخطا، نحمده حمد مَن لا يعرف سواه، ونشكره شكر الأواه، ونشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله شهادةً تنفي بها الخلق بإثبات الحق، وتصحِّح أوهام الإفك في حقائق الصدق، ونشهد أن محمدًا ﷺ عبده الدائم، وَوجُودُه القائم، وفؤاده السالم، ومفتاحه الخاتم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ليالي مشارق شموس معارفه، ومفاتيح كنوز ذخائره، وَحِمي حَرم حُرم نواهيه، وأوامره وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

خطبة رابعة

والحمد لله الأول بأزليته، والآخر بأبديته، والظاهر بوحدانيته، والباطن بأحديته تألَّه بذاته وصفاته، وتربَّب بأسمائه وأفعاله، وحقَّق حقائق الحق بمصداق كلماته، وتوحَّد في العدد فلا ينفد، ودام على ممر الزمان فتسرمد، وبطن بذاته في أعيان أفعاله فتأبَّد، والحمد لله الأول بالرحمن، والآخر بالإنسان، والجامع بالقرآن، والفاصل بالفرقان، عيَّن الأعيان فلا أين، ووصل الأزمان فلا بين، وكوَّن الأكوان في المكان فلا أين، وأعدم الكل بالسلب في حقيقة القلب فلا كيف، وكيف يُسلب الكيف؟ وتمحض العدم حيف؟ ولا حيف؛ إذ حكم الوقت سيف.

فيا نقطه الخط المستقيم كيف علمت الحيِ العليم؟ ويا ألف الباء كيف شهدت الرحمن الرحيم؟ ويا باء النون كيف مكذَنت الشيطان الرجيم؟ قوامك قويم، وأنت المنحرف بالكاف والميم، وحاكمك حكيم، وأنت العليل السقيم.

ما أغرب، ما أبدع، ما أضيق، ما أوسع، ما أفرق، ما أجمع، ما أخرس، ما أسمع آه لاه، والحمد لله على ما بيَّن، وأبهَم، وجهَّل، وأعلَم، وأوجدَ، وأعدم، وأطلَس، ونجَّم، والحمد لله عند كل فاتحةٍ وخاتمةٍ وراقدةٍ وقائمةٍ وجامعةٍ وفاصلةٍ، والحمد لله مُبدع الصور بسرِّ القدر، ومبرز جامع الصور من عين الخبر، جعله مفتاح البسملة في أوائل السور، فما عَثر له على أثر إلا مَن عمى منه البصر.

نحمده حمد مَن حمده بحمده، وحقَّقه في جميع مقاصده بقصده، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مَن محقه النفي، وحقَّقه الإثبات، وأبقاه في عين الفعل بسرِّ الذات، وسَلَبَ الغير بالغيرة، وحقِّق في كل سريرةٍ سرِّه، وَنشهد أن محمد ﷺ عبد أحديته الأوحد، وعرش رحمانيته المحيط الكريم العظيم الأكرم الأمجد، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما استمر وجوده وتسرمد، وتحقَّق ظهور تجليه وتأبَّد، وسلِّم تسليمًا كثيرًا، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

بسم الله، وأعوذ بالله وأتوكل على الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله وسبحان مَن شرف العالَم بالعالِم، وكمل الناثر بالناظم، ورتَّب الأحكام بالحاكم، نصب العروش، وخفض الفروش، وأجرى الأقلام في الطروس، وأزوج العقول بالنفوس، أحدث في الدهر الزمان وفي الوجود المكان بالأكوان، وجعل النهاية والبداية من حيث الظهور والبطون بالوضع، والتقدير والشأن، جعل ظواهر أقدامًا، ومظاهر أحكامًا، وأربابًا أعلامًا، وأنوارًا أيامًا، وعقولاً أقلامًا، وأشباحًا ألواحًا، وأرواحًا أشباحًا، وآفاقًا أفلاكًا، وأملاكًا مُلاَّكًا، وتصرف فيهم بل بهم فيما أمكن وكان، سوَّدَ وعبَّدَ وعدَّد ووحَّد، وخلق من كل شيء زوجان، فسبحانه سبحان؛ هو الرب المقتدر الرحمن، إليه تنتهي كائنة الأكوان وعنده، بل به تنختم استدارة دائرة الأزمان.

قال تعالى: ﴿**عَلَّمَ الْقُرْآنَ* خَلَقَ الْإِنْسَانَ* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾. [الرحمن: 2، 3، 4].

وبعد...

فقد ورد الخبر، وصحَّح الكشف والنظر: إن الله تعالى خلق العرش أرباعًا قدرةً منه، واتساعًا، وكل عرشٍ بنفسه وحضرات ملكه وأُنسه مثلث الكيان مربع التركيب.

فالعرش الأول: وهو عرش الطباع وبما فيه من أفلاك واتساع مربعه الماء والأرض والهواء والنار، ومثلثه المعدن والنبات والحيوان وحاكمه الربَّاني، ومدبِّره الكيواني هو آدم قد اجتمع له كل مفترقه، وتحكَّم في مظاهره وعمقه، وبما فيه من بطانات أرضيات، وأنفس فلكيَّات، يقال عنها بحكم المثلية أو المشابهة الوصفية: ملكية وجانية.

وإنما هي ظل ما وراءها، وانبساط خيال ما فوقها؛ كل ذلك من حكمة التداخل والتوالج، وليكون كذلك سنَّة الترقي والمعارج.

العرش الثاني: هو ملكوت الخيال في الذهن والبال، وما جمع من أشباح لطيفة وأقوية شديدة وضعيفة، ومربعه الفكر والذكر والحفظ والخيال، ومثلثه الملَك والجان والشيطان، وهذا هو الذي يتجلَّى في مرآة التقديس، وطورًا في مظاهر التغليط والتلبيس، وكان حاكمه الأعظم ووجهه الأنزه الأكرم الأمين؛ جبريل صاحب التنزيل والتفصيل، وبما انفهق عنه من ميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، تعرَّف في تنزيله، وتنكَّر

في تأويله، وصلصل في بطونه، وتمثَّل في تشكيله وظهوره.

العرش الثالث: هو عالم الأمر، وموضع تنزُّل ليلة القدر، وهو حضرة الشهيد وكنوز ذخائر التوحيد، ومربعه الأرواح الأربعة المجَّردة المطلعة الباقيات الصالحات، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ومثلَّثهم الإرسال والإنباء والولاء وخطِّه المستقيم، وحاكمه السميع العليم الإنسان عليه أفضل الصلاة والتسليم، وهذا هو الواجب لغيره، والموجَب به سواه، آهٍ ثم آهٍ، لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله.

العرش الرابع: هو عرش الإيجاب، والوجوب، وغاية كل مطلوبٍ، منارة الأنوار ومرآة سريرة الأسرار، ومشكاة التقديس والتنزيه، ومظهر حق الترتيب، وغيب حقيقة التأليه، ومربَّعه الأول والآخر والظاهر والباطن، ومثلَّثه الأسماء والصفات والذات، وحاكمها، ومالكها، والمحيط على دوائرها ونقطها، والمتصرِّف في غيوبها، وظواهرها مفيض آزالها على آبادها.

الرحمن عزَّ اسمه، وعظمت قدرته، وجلَّت عظمته وبما كانت الخلفاء الذين تقدَّم ذكرهم، وطوى في حجاب الوهم نَشرهم؛ وهم آدم والملك والإنسان، حجب لتجلِّيات الرحمن.

ورد: «**ينزل ربنا إلى سماء الدنيا**»[1]، في كل حجابٍ أبهى، ومقامٍ أعزَّ وأسنى.

---

(1) رواه مسلم (521/1)، والترمذي (306/2)، وأحمد (419/2)، والدارمي في السنن (412/1).

وقال سيدي علي وفا: اسمع: جاء في الحديث: «ينزل»: أي يتجلَّى بأنواره المرسَلة منه على قوالبها الموضوعة بالاستعداد لحملها، «ربُّنا»: أي وجودنا المدرك الحكيم، «في كل ليلةٍ»: أي صورة مادية، «إلى سماء الدُّنيا»: أي إلى مجمع مداركها، «في ثلث الليل الأخير»؛ لأنها ثلاث أثلاث: الدائرة الرأسية للنفس النفساني فعلاً وانفعالاً، والدائرة القلبية للنفس الحيواني كذلك، والدائرة الكبدية للنفس النباتي كذلك، فمن أيّها ابتدأت العدد وثنَّيت بآخر كان المبتدأ به ثلثًا أول من ليل الصورة، والثاني ثلثًا أوسط، والثالث ثلثًا أخيرًا.

وقد ورد التنزيل الربَّاني في الأثلاث الثلاثة، وذلك الدهر كله، ومن ثَمَّ قامت الأنوار الإدراكية فعلية وانفعالية بجملة الصورة وجهاتها الناطقة والحيوانية والنباتية، هذا حقيقة هذا الخبر من حيث التنزل الإمدادي الوجودي، وأما من حيث التنزل الزماني فلا مانع من ذلك؛ لأن هذا التجلِّي لا تغير له ولا زوال باعتبار نفسه، وإنما التفاوت والتغير بحسب استعدادات القوابل، فلعل هذه السموات الأثيرية الجوية يقتضي لها تغير استعدادها بحسب أوضاعها الحركية، أن يحصل لها عند ثلث من أثلاث الليل الزماني تنزلات تستمر عليها أحكامها وإشراقها إلى مثل ذلك الوقت من الليلة الزمانية الثانية، فإن الصور المادية كلها متهيئة لذلك، سواء سميتها أفلاكًا أو بسائط أو متولدات، أو مهما شِئت نحو هذا.

ثم: ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾ [النجم:42].

أمَّا العرش الأول: فله سبع أرضين أجسام، وسبع سموات أجرام، وتسمَّى أرضه بالسوداء، وسماؤه بالزرقاء، وحكامه الحواس والمشاعر، وأملاكه الألوان والأصوات، والأذواق، والأطعام، والملاذ، والآلام، والحركات، والسكون وما وسموه بالأعراض علماء الرسوم ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات:180] آمين وسلِّم.

العرش الثاني: له سبع أرضين أشباح وسبع سموات أفلاك، ويقال: لأرضه الخضراء ولسمائه الحمراء، وحكامه الأملاك الأربعة، وأملاكه الفهم والهم والإلهام والذوق والصدق والشوق والاختيار والشهوة، وكل ذلك أيضا مما أطلقوا عليه الأعراض بتوهُّم الأغراض.

قال تعالى: ﴿وَسُبْحَانَ الله وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:108] آمين وسلِّم.

العرش الثالث: له سبع أرضين أنوار، وسبع سموات سرادقات أوعال، وتسمَّى أرضه البيضاء وسماؤه الصفراء، وحكامه أولوا العزم من الرسل، والأرواح المقدسة الأول؛ وهم الصدق والإخلاص واليقين والكشف، وأملاكه الإيمان والتسليم والرضا والصبر والهمة.

وأمثال ذلك مما لا يعلمه إلا هو كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر:31]، والحادس معتقد في الصادر والوارد إن طابق فصحيح وإلا ففاسد.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: 44].

وقال: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ الله﴾ [آل عمران:7] والحمد لله.

العرش الرابع: له أرضين سبعة، حُجب عزَّة ومَنْعة وسمواتٌ آفاقٌ ذوات رفعةٌ، وحكامه الفرد، والواحدُ والأحد والوتر، وأنواره البقاء، والفناء، والإحاطة، والاستغراق، والاستيلاء، والاستواء، والتجلِّي، والبهاء، والجمال، والكمال، والوجود وغير ذلك مما لا يُحصى ولا ينفد ولا يحصر ولا يتعدد.

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ*الله الصَّمَدُ*لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ*وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1، 2، 3، 4].

وبما تربَّعت الأربعة في الوجود بالشيئية، وفي الهو المطلق بالعينية، تنزَّلت الحياة القيومية في أعماقها الكليَّة والجزئية، وتجلَّى العلم؛ لتفصيل مراتبها، وتمييز حكمها ومذاهبها، وتنوير ظلمها وغياهبها، وعمَّر الدهر بالبقاء، وحكم الزمان بالانقضاء،

والانتهاء، فسبحان ذي القوة والآلاء! وتربَّع الزمانُ بحكم الكُوَر، وقضى بسَفَراتٍ ودُوَر، ووقَّت، وقدَّر وكيَّف العقل، وصوَّر الإلهام وأنذر.

فصل في الزمان

واعلم أن الزمان الأول المنفصل بالوقت، المتَّصل بالدهر زمان آدم ﷺ، وآدم منار الحيطة الطبيعية، ومحمول موضوعها، وبما قام لتدبير هذه الكرة، وتأسيس أحكامها وأقواتها وأوقاتها وأكنانها ووقايتها، ثم تربَّع زمانه في نفسه[1]، فكان ما بين آدم إلى شيثٍ تدبير المساحة والفلاحة، نزل بأحكامها الروح الأمين في حجاب الباء المكين، فحلَّ إشكالها، وفتح أغلاقها وأقفالها، وسهَّل نِوالها ومنالها، وأودع في حالها مآلها، ثم الزمان الثاني ما بين شيثٍ إلى إدريسٍ بعث الله الروح القدس من حجاب الستر السرادقي العرشي، فأحكم صنعة اللبوس والبناء، وحجب العيون عن نظر العورة

---

(1) قال الشيخ في الشعائر: وبما كان آدم في جمعه الحديث المتقادم كُلاً بالنفس والإدراك، جزءًا بالصورة والشخص، كذلك إحاطة بالروح والعقل في القوة والعلم، وكان جزؤه في الإحاطة الإدراكية النفسانية تفيد بجزئيته عين ما في الكلية، اتصل علم الأسماء بجزئيته من كليته، وأفاد كمال وحدانيته في مراتب ثنويته، فاستعدت الأجزاء بكمال الكل، واتحاد المثل لتعلق فيض الروح الحق، وتجلي النور العقل، الحاصلان بالقوة والعلم، فلما انكشف غطاء الستر عن حضرة جمع هذا السر، وتمثل الملأ الأمر سجد الملكوت الخلق، والكون بالقوة والفعل، وأتى المعاند الضد بالبحث والرد، فلما تناول آدم بالشخص الأول أشكال الآفاق الذي كان بالسجود معلل، من حيث شم وذاق ولمس وسمع وأبصر، بإحكام الخلاق والرزاق، وامتزج المعاند مع حكم الساجد، ولبس الجزء الواحد، أشكال هذه الفرائد من حيث الماء بين القائم والراقد، فعسرت الطاعة وتعذر أوفاق الأوضاع في علوم الصناعة، وشاب المعبود كبرًا على العابد، ثم شاركه الجزء المعاند، فخلصت القدرة الربَّانية أشخاصًا روحانية، وأجسامًا قدوسية، فنهت وأمرت، ورغبت وحذرت، وعملت وعلمت، فحسن الاستعداد بحكم ما ذهب من قوة العناء، كذلك إلى ختام الدورة الآدمية بالنفخة الروحانية المثلية، باستعداد الأجزاء العيسوية، فلما تعدل القوام، واعتدلت أحكام النظام، أفاض الروح العلام بسر الأحدية الإحاطات الأحمدية، والحقائق الأزلية على المستقيمات من هذه الأجزاء الأبدية، واستوت الرحمانية بالقدرة العرفانية على عرش الكلي المحيط بالأجزاء الكلية، فاتصل إلى مفردات الجزء الأعظم، والمحيط الكريم المجيد العظيم الأعظم ﷺ، فقامت روح العرفان بكل مفردٍ، واتصل كل واحدٍ بسر الأحد، وظهر سر: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:156]، في نور: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:107]، فلما تحلل التركيب اتصل لكل أفق بحكم كل مفرد أوفى نصيب، من حيث اتصال سر هذه الرحمة العجيب، فظهر الحق في كل شيءٍ وله، فانتفى الريب عن كل موجودٍ بما تم له، وتحققت حقائق الشفاعة في كشف حقائق اتصال يوم الساعة. انظر: الشعائر (ص164) بتحقيقنا.

بحجاب القدرة، وخلع خلع الجمال، والزِيَن على الأشخاص والأعيان، والدمن.

ثم ما بين إدريس إلى نوح، كان ارتفاع الهمم بالنظر إلى الأفق السماوي، وإعمال الفكرة في حكم التأثير الهوائي والمائي والناري، وما أودع الله في الكواكب والبروج من أحكامٍ وتأثيرات وحركات وتقديرات، فتوجَّهت الهمة الطلبية على النُّجب السببيَّة إلى أن خرقت آفاقها، وفتحت أغلاقها، واستخرجت أسرارها وأعلاقها.

فبالأول: استنتاج أرواح النبات، واستخراج ما فيها من أسرار الأقوات بما قال عزَّ اسمه: ﴿**أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ* أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ**﴾ [الواقعة:63،64].

وبالزمن الثاني: استنتاج أرواح الستور، وحجب نظر العيون، وتأسيس أحكام الهندسة، ومواد البناء من المُفخَّرة والمُكلَّسة.

وبما قال عزَّ اسمه: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**﴾ [لأعراف:26].

وبالزمن الثالث: كان استنتاج أرواح الأوقات، وأحكام الحركات والسكنات والانفعالات، ومعارف مجاري الكواكب، والرصد، والخط، والكتب، والعدد.

وبما قال عزَّ اسمه: ﴿**وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ**﴾ [النحل:16].

وبالزمن الربع: ما بين نوحٍ إلى إبراهيم، وقد تمَّت الإشارة من علوم الفلاحة، والهندسة والأرصاد والنجارة، فلمَّا تمت الحكمة الدنيا في الأرض والسماء، وبلغ الزمان، وانتهى إعلامه، وتمَّت أعوامه وأيامه، وانتصبت أدلته وأعلامه؛ ظهر في نوح عليه السلام بدؤه وختامه، وبما كان نوح آدم الوقت، حذر النقمة والمقت، فتغالبت الحيوانية، وحكمت القوى الترابية، وأبت الأنفس إلا الإدبار، وقويت عصابة الكفَّار، وكان ذلك بحكم الحجاب الواقع، والسبب المانع لعدم تنزيل الخليفة الذي هو مالك عالم الخيال وربُّ الأشباح والأشكال، ولكل زمانٍ دولة ورجال؛ ولأنه ليس بزمان نزوله ولا وقت تجلِّيه وحصوله، وذلك من أصل التخليق في الرحم، وتنزُّل أصول الأرواح بالكلم.

ولذلك قال: ﴿**وَلا يَلِدُوا إِلاَّ فَاجِراً كَفَّاراً**﴾ [نوح:27] ومعنى قولنا التخليق في الرحم: إذا كمل استعداد المضغة؛ يكون التنزيل، والنفخ الروحاني بحكم صاحب الزمان من أي أفقٍ كان، وهذا من أسرار الحُكم للوقت.

فعلم ﷺ أن النفخ الكائن بالكلم في الزمان المنصرم؛ لا يصلح لاستعداد الزمن الثاني ولا هو محلٌ للتقوّي الروحاني، فانقضت حكمة التَّمام، حلَّ ذلك العَقد والنظام،

ولا بد من نقل الأصول من الحَبِّ والنوى، ونقل الآباء والأبناء.

قال تعالى: ﴿**قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ**﴾ [هود:40].

وبما كانت النشأة الآدمية من ماءٍ وطين، وكانت الحياة القائمة بالروح الحيواني هي بطانة الماء، والروح بطانة النار، والماء الذي هو ظاهر الحياة ماسكٌ بزمام الرحمة، فلك النار الذي هو بطانة الروح، فلمَّا استجيب الدعوة بسرِّ الحكمة؛ أعرضت الحياة التي هي باطن الرحمة، فانحلَّ الزمام الماسك، ففعلت القوة النارية في الماء الذي تجرَّد عن قوَّته، وخلا مِن مواسك حكمته فسجَّره، وفوَّره، وقطَّره، وفجَّره.

ومن هنا يُفهم قوله تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ**﴾ [هود:40]؛ ولذلك قال تعالى: ﴿**أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا**﴾ [نوح:25].

وبما أخبر الله تعالى عنهم: ﴿**أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ**﴾ [هود:36]؛ ولأنه دعاهم بالسُّنةِ الأولى إلى الحكمة الثانية، ولن يعدُ امرؤٌ قدره، ولا يخالف موضوع سرِّه.

وأمَّا الذين آمنوا مع نوح؛ كان لهم مدد من نبوَّته، وخاصية من حقيقته على حكم الندور، ولِما يكون به التأصيل إذا انختم الدور، ثم يدور وإلا فقد هلكت أنعامهم، وأنفسهم وأطفالهم، وغير ذلك مما لا يجري عليه القلم، وقد أُمر نوح أن يحمل معه كل زوجين اثنين، فما خصوصية هذا الإنعام من تلك الأنعام؟ وتمييز كل زوجين من نوعها وجنسها؛ وإنما هي حكمة ربَّانية وسريرة سريانيَّة.

انعطاف واستشراف

اعلم أن الجنة التي كان بها آدم قبل النزول الجسماني؛ هي الأرض الخضراء بطانة الأرض السوداء، وهي أرض سائرة سابحة ونامية وطائرة.

قال تعالى: ﴿**وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ**﴾ [النمل:88]؛ هي روحانية هذه الأرض وبطانتها ونورها وزكاتها وكراماتها، وفيها كان آدم قادرًا على التشكُّل والتمثُّل، وبما كان صمداني الذات، رحماني الصفات، إنساني التجلِّيات، ملكي التخيُّلات، آدمي التجسمات والتعيينات، كان مستويًا على هذه العروش والأفلاك متحكِّمًا في الأرواح والأشباح والأملاك، وبما عُلِّم الأسماء كلها تجلَّى بصور المسمَّيات عن آخرها.

وبما أخبر الصادق: إن الولي يلبس في الجنة سبعين حُلَّة لا ينزع منها شيئًا مولاها، ولا يستر أخراها أولاها، ولا أعلاها أدناها، كذلك كان آدم في لباسه وتحلِّيه وتطلُّعه

وتجلِّيه بأي صورةٍ شاء ظهر، وعلى أي سِمَة أحبَّ تطور، وفي أي كيفيَّة أراد تصور، وبما كان على صورة الرحمن لا يشغله شأنٌ عن شأنٍ.

واعلم أن القبضة الترابية التي رُفعت إلى هذه الأرض الخضراء بعد المهاد الكوني والتمام الخلقي؛ كانت عين جميع الأرض المذلَّلة المسخَّرة، قد جُمعت فيها أسرار أقواتها المقدَّرة والمقرَّرة، وهي بالمعنى الروحاني والاستخلاص الربَّاني أخذٌ قويٌّ من ضعيفٍ، واستخلاص لطيفٍ من كثيفٍ، حفت بأرواح الطباع، واستعدَّت لقبول الأحكام والأوضاع مادة هيولانية، وصورة نباتية حيوانية، وكان بها آدم ما بين التعفين والتخمير واستعداد التكوين والتطوير إلى التسوية زمان إنتاجه، وتولُّده وتربيته وتعبُّده وطباعه وأوضاعه، وبحكم تردده واسترجاعه ما بين التسوية إلى النفخة زمان ذكرٍ وفكرٍ وتحيُّرٍ وتطلُّبٍ، ونظرٍ بعين تعجب وتغرب، ثم من النفخة إلى تعليم الأسماء، كان ظهور مقامه الأسنى، وتجلِّي روحه الأبهى ورفع عَلَمه في الأرض والسماء، ثم إلى نفخة الروح والسجود، كان وقت النهاية، وموضع مبلغ الغاية، وتجلِّي أسمائه الربَّانية وصفاته الرحمانيَّة.

واعلم أن الأسماء هي صور الأشياء، ومسمَّياتها عين ذواتها، وهذه الذوات المسمَّيات صفاتٍ لأسماءٍ إنسانيات، وتلك الأسماء الإنسانيات؛ صفاتٍ لذواتٍ رحمانيات، كذلك إلى حيث ينتهي الذِكر، وينطفئ سراج الفكر.

ولما كان التجلِّي الرحماني على المستوى الإنساني، ثم المستوى الإنساني على المهاد الروحاني في الاستعداد الآدمي والرضواني، استغرقت الأعالي الأداني، وانفهقت الأرواح على الأواني، وظهرت المسمَّيات في أسمائها، وتجلَّت جميع الحجب بأربابها، فلم ترَ إلا عرشًا مستويًا، وملِكًا مستوليًا، هذا وقد تجلَّى الجبروت من خلف حجاب اللاهوت في مهاد بساط الرحموت، وتقدَّم الجلال في كتيبته؛ فدُهشت النواظر، وتجلَّى الجمال في حضرته، فتبهجت أبصار البصائر، وتطلَّع الكمال من تحت أعلام الأعلام في رؤساء مملكته وقادته، فاتحدت البواطن والظواهر، وتبهجت الإعلانات والسرائر؛ فلم ترَ إلا ربًّا قادرًا، وعبدًا ساجدًا صاغرًا.

واعلم أن السجدات كانت مربَّعة، فسجدة لآدم في نوح، وهذان الاسمان وما بينهما من أسماءٍ كرام، ومسمَّياتٍ عظام من أسماء الغيب المخزون، وعلوم الكتاب المكنون كإدريس وشيث وهابيل ويافث، ثم إلى سبعين ألفًا من أسمائهم اللوازم، وحُجبهم الظواهر على البواطن، سجدت لهم الملائكة الأرضية، والأرواح الطيبة الرضية.

وبالتجلِّي الثاني من إبراهيم إلى موسى وما بينهما من أسماءٍ حسنى، ونجومٍ بهاءٍ، وهدى وهذا؛ كإسرائيل ولوط ويعقوب والأسباط، وحجبهم سبعين ألفًا الكرام السادات، سجدت لهم ملائكة السموات، والأقوية الروحانيات.

ثم موسى في عيسى وما بينهما من كلماتٍ تاماتٍ، وحُجب مقدَّسات؛ كيوشع وداود وسليمان إلى سبعين ألفًا حجب الإنسان ومستوى الرحمن، سجدت لهم الملائكة النورانية، وأقوية الحجب العلوية عمار حضرة البهاء والحافون والصافون والكروبيون والمقرَّبون.

واعلم أن الساجدين الأوَّلين، والمسجود لهم أجمعين يسجدون في جملة الساجدين للآتين بعدهم الموالين لهم، ثم كذلك الآخرين، كذلك حتى إلى الصافين، وكانت في الكلمة العيسوية إتمام هذه الكميَّة، واجتمعت الأربعة في أربعة بكل اسمٍ ومن اتَّبعه؛ وهم الأسماء المحمَّدية، والأركان الأحمدية حتى إلى نهاية الخاتمية، سجد الربُّ في المربوب والقطب في المقطوب عند هذا التجلي الأعظم والوجه الأكرم، وما منها سجدة من هذه السجدات، وطاعة من هذه الطاعات إلا وقد قابلتها القوى النفسانية الملبسة الشيطانية بالصدِّ والجحد والمخالفة والردِّ والكبر والضد.

فالضد الأول: إبليس اللعين، والثاني: الشيطان الرجيم، والثالث: العدو المبين، والرابع: الوسواس الخناس، وهذا الكلام الذي مشى في غيب الملكوت ومشاهد الجبروت وغيوب اللاهوت.

قال تعالى: ﴿**قُلِ اللهمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ**﴾ [آل عمران: 26].

وكل هذه من أحكام السوابق لما يكون من أوضاع اللواحق، واستنتاج الحقائق من الدقائق، والدقائق من الرقائق، ثم نزل آدم عن كرسي مملكته، ومستقرِّ هيئته وصورته إلى دار جنَّته وكرامته، فلبس خلعة ملكوتية، وهيئة رحموتية؛ هي مرآة لكل مشبح ومجنح ومزين ومبهج ومريَّش، وجاءت إليه الملائكة بأنواع التُّحف والكرامات الذخائر والهدايات، ولم يكن هناك جسمٌ ظاهر، ولا ثقلي حاضر، وكانت الشجرة صورته المستترة بحجاب النبات ومعاني الأقوات في عينٍ جسمانية، وهيئة كيوانية قد حفت بها الملائكة الأرضية؛ بل كانت أقويتها الفعالة.

واعلم أن الصورة التي بطنت هنا، واستترت في هذا الإناء؛ هي التي كان بها على كرسي عزَّته وعرش سجدته، وكان الذي نهى عن الأكل من هذه الشجرة؛ هو ربُّ

الملكوت المشبح والمحيط على دائرة المجنح، عامر أفق سدرة المنتهى؛ ولأنه لا يكون في حضرته ولا يستقر في جنَّته إلا مَن كان على صورته وهيئته، وكذلك كل رب مُلك وحيطة لا يدخل إلى دائرته وحيطته، ويحضر في حضرة مملكته وقدرته، إلا مَنْ كان على هيئته وصورته، وما من أفقٍ من الآفاق وعالمٍ من العوالم إلا وله هيئات تخصَّه، وهواءٌ يشمله، وأرضٌ وسماواتٌ وأسماءٌ وصفاتٌ وتربُّباتٌ وتعبُّداتٌ انفرد بها وحده، لا يشاركه فيها غيره.

قال تعالى: ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ**﴾ [الأنعام: 38].

واعلم أن الصورة التي أعرضت عن السجود، والعين التي قامت بنسبة الجحود، والنفس التي استبدَّت بمخالفة المعبود؛ كانت أول ملك عزل، وروح إلى الأسفل عن الأعلى نزل، وذلك بسرٍّ قُدِّر في الأزل، وخرج عن المسافات والتقديرات، فلا يحصُلُ بطلبٍ ولا يتوجَّه إليه الأمل؛ وهو القدر الرفيع في حجابٍ منيعٍ.

قال تعالى: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ**﴾ [المدثر: 31].

تنـــزيلٌ وتفصيلٌ

وبما كان الكل متنزِّلاً بالجزاء، ومتكثِّرًا بالبعض والمِثل والقوى، متجلٍ بالتأثير والفعل، والواحد متعدد بالزوج والبعل، كان ذلك من سرِّ الظهور وانبساط النور من النور، وتَعدُّد الحجب والستور، ولكل فاعلٍ مفعول، وقائلٍ مقول، وبتجلِّي الآزال في مَرائي آبادها، وظهور الآباء في أعيان أولادها، وظهور الأسرار الأحديات في أشخاص أفرادها وآحادها، تكثَّرت الأخبار عن الأسرار، وبهتت الأبصار في بدائع الآثار، وشُهدت الأنوار، ولوح لسان مَن أشار، وتاهت الظنون والفِكر، وتردَّدت بين الصواب والخطأ أعمال النظر.

وبما قال الباطن في الظلم والسَّدَف: «**كنتُ كنزًا لا أُعرف فأحببت أن أُعرف**»[1].

---

(1) ذكره العجلوني في كشف الخفاء (173/2)، والآمدي في الإحكام (31/1).

وقال الشيخ الكتاني: وقد كان سبحانه قبل أن يخلق هذا العالم في خفاء كنزيته وغيب هويته وبطونه الذاتي غير متعرف بقيد من القيود إلى من يحصل أو يأتي، فاقتضت حكمته الباهرة ومشيئته القاهرة أن يعرف المعرفة اللائقة بذاته، وأن يظهر أثر أسمائه وصفاته كما ورد في الحديث القدسي – قال في «الفتوحات»: الصحيح كشفاً، الغير الثابت نقلاً عن رسول الله ﷺ عن ربه عز وجل أنه قال ما هذا معناه – «كنت كنزاً مخفياً لم أعرف فأحببت أن أعرف

=

=

فخلقت الخلق وتعرفت إليهم فعرفون»، انتهى.

وذكره في كتاب «الحجب المعنوية» أن الذات الهوية له بلفظ ورد في الكتب الإلهية قال الله تعالى كنت كنزاً مخفياً لا أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت خلقاً فتحببت إليهم بالنعم حتى عرفوني.

وفي كتاب «عقلة المستوفز» أن بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قال: يا رب لم خلقت الخلق؟ فقال له عز وجل: كنت كنزاً مخفياً لم أعرف، فأحببت أن أعرف، فخلقت الخلق وتعرفت إليهم فعرفوني.

وذكره سيدي علي وفا في كتاب «مفاتيح الخزائن العلية» وابن غانم المقدسي في كتابه «حل الرموز» وجماعة بلفظ كنت كنزاً لا أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت وتعرفت إليهم فبي عرفوني.

وذكره أبو زيد الفاسي في «تحفة الأكابر» أوائل الكتاب نقلاً عن الشيخ محيي الدين البوني ﷺ بلفظ: كنت كنزاً لا أعرف، فخلقت خلقاً فتعرفت إليهم فبي عرفوني.

قالوا: ومعنى قوله: خلقت خلقاً. قدرت أعياناً تقديرية، فتعرفت إليهم بجلالي وجمالي، ودللتهم علي، فبي مني إليهم عرفوني، وكان هذا التعريف بلسان ترجمان القدم، وهو الحقيقة المحمدية التي هي أصل الكل.

وقال الشيخ الجيلي في «كمالاته» هذا حديث صحيح من طريق الكشف، ضعيف من طريق الإسناد.

وقد أجمع المحققون يعني من أهل الله تعالى على صحته، وذكره غير واحد منهم في مصنفاته، انتهى.

فقوله: «فبي» من حيث حساب الجُمل اثنان وتسعون، وعدد حساب محمد كذلك.

فالمعنى من باب الإشارة فبمحمد ﷺ «عرفوني» أو المراد: فبظهوري عرفوني، وهو ﷺ أول مظهر.

وأورد بعضهم: أن الخفاء من الأمور النسبية لابد فيه من مخفي، ومخفي عليه، لا يجوز أن يكون المخفي عليه هو الله تعالى؛ لأنه تعالى ظاهر بنفسه لنفسه عالم بذاته أزلاً وأبدًا.

ولا يجوز أن يكون هو الخلق؛ لأنهم لم يكونوا موجودين في الأزل حتى يكون الحق مخفيًا عليهم.

وقال سيدي علي وفا: الوجود الإلهي هو العليم الحكيم، فلا علم ولا حكمة في كل مقامٍ فرقيٍ بحسبه إلا منه وله، وبما هو وجود العقل النظري العارف فهو العارف والمتعرف، وحيث تعرَّف بشواهد المرتبة الإلهية إلى هذا العقل حتى أدرك ما ناسبه منها في إدراكه الخاص بمرتبته النظرية المُسمَّاة بالمعرفة، كان الله الإله بذلك هو العارف والمعروف حقيقة بما هو نفسه المرتبية حقيقة هنالك، والمعروف للمرتبة العقلية مجازًا فرقيًا في ذلك، فهو العارف والمعروف حقيقة بما هو الوجود القابل، والفاعل للمعرفة في هذه المرتبة النظرية، وهو المعروف بما هو الفاعل فيها، والمتعرف العارف بالتعرف بما هو القابل فيها، الأول بما هو الحق القائم على خلقه، والقيوم

=

فبهذه المحبة ومعناها، راودت النفوس فتاها، واستمدَّت الأواخر أُولاها، واستدعت الأسافل أعلاها، فأبرز كل واحدٍ، وعيَّن كل مشهودٍ شاهِدَهُ، ووقعت حكمة التنزيل وجرت سنَّة التكثير والتفصيل، فنزل آدم بالبعليَّة، وجبريل بالزوجية، والإنسان بالمِثليَّة، والرحمن بالإحاطية.

فالرحيم صفة تنزيله، وموضع إيجابه وتجعيله، والنفس الناطقة عن الإنسان كانت لظهور معانيه وإظهار صور تجلِّيه ومعاليه، والرفرف الأخضر عن جبريل؛ وهي مقر أشباحه، وموضع انبساطه وانشراحه، وتكَوُّن أشكاله وتبهُّج أعيانه.

وحواء عن آدم وهي موضع مظاهره، وكنوز ذخائره، واستقرار أوائله وأواخره، فلمَّا استوى على الموضوع المحمول، واشتغل القائل بالمقول، واستولى الفاضل على المفضول، والتفت كل ألِفٍ إلى بائه، وطلب كل خط من بائه حقيقة يائه، وانحدر الأعلى إلى المركز، واستنزلت الأغلاق مفاتيحُ الكنوز؛ ليستخرج كل كانزٍ ما كنز، ويفكّ كل رامزٍ ما رمز، وكانت الأسباب رسل الأرباب، فجاء الحاسد في صورة الموادد، ووافق بالمقاسمة سرُّ المقصود، وترجم الإنسان بالرحمن في الشيطان، وارتفعت واسطة الملك في هذا المكان، فكان الغضب في الأعيان، والرضا في باطن الحق والرضوان، وكان الذي استوى إلى السماء وهي دخان؛ قد أحكم البنيان، ووضع الميزان، وعدل الأركان والأوزان، وكنز الكنوز والذخائر، وجعل عليها أغلاقًا وبواتر، وبما قدَّم الوضع الأرضي والأفق المهادي الرَّضي على السماوي العُلوي، أعلمَ، وأخبَر، وموَّه، وستر أنه موضع ما كنز وادَّخر.

وهذا من سرِّ إقامة الجدار، وستر الأسرار في صدور الأحرار، وبما ترقَّى بالقوة

=

بأمره، والثاني بما هو الخلق المتقوم بحقه، والقائم بربه، القائل ببعض نواطقه: «كنت كنزًا لا أعرف»: أي حيث لم تتميز مرتبة النظر التي هي ذات الإدراك المُسمَّى عرفانًا وتصورًا وتصديقًا تمييز الفصل الفرقي الإمكاني، «فأحببت أن أعرف»: أي باقتضاء الحقائق الوجوبية مثالاتها الإمكانية، «فخلقتُ خلقًا»، هم مراتب كون العقول النظرية، «وتعرَّفت إليهم»: أي بشواهد أعيان غيوب المعاني الإلهية، «فبي عرفوني»؛ لأني وجودهم ووجود عقولهم، ووجود شواهد شهودها، وهذه الصورة الإلهية العرفانية هي التي ما تصورت في إدراك إلا عامل مدركه، مهما عامله حكمه بهذا المعروف الروح القدوس السبوح العليم الحكيم، بحسب إدراكه وتحققه به تصورًا وتصديقًا، وغلبته بحكمه عليه تخلقًا وفعلاً، فهذه هي المعاشرة بالمعروف، أعني المعاشرة بالحكمة في كل مقامٍ بحسبه.

الربَّانية إلى السماوية في الملكية، تنزَّل بالحكمة الإلهية الرحمانية في الآدمية إلى الأرضية، فسُمعت النصيحة، وظهرت في العين الفضيحة، وانكشف ستر العورة، وسَتَر الواحد سرَّه، وانقلبت العين، وانطمس الأين، وعجزت القوة عن الفعل والحيل.

وقال اللسان القائل في الحال لأول وهلة: **﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾** [النمل:34].

فكان النزول كيقظة النائم من رقدته، وأخذة النائم عن يقظته؛ وهو من تبديل الأكوان بالأكوان، وقلب الأعيان بالأعيان، وكانت الوحشة الواقعة لما بقي من أثر العَالم المنفصل والمتحصِّل في قوة الجمع المتأصِّل، فلمَّا استقرَّ القدم، وتصرَّم حُكم الندم، اجتمعت القوى بالقوى، وتنزَّل كل خليفةٍ أعلى إلى مقره الأدنى، واستأنست الوحوش، واطمأنت النفوس، وبما كان نزول آدم إلى هذه الدار، لم يكن فيها حيوان ولا نبات فتجلَّى بأسمائه وأعيانه وصفاته، فمدَّ ظلاله، وكوَّن وهمه وخياله، وصوَّر فعله وأشكاله، ودوَّر تدبيره أفلاكه، ورتَّب زمانه آجاله، وبطنت جملته في أجزائه، وجرى الأمر باستحكامه إلى تمامه وانجابَ، فُكَّ نظامه وجُمع متفرقهُ في عين ختامه والله المسئول، شَرحَ الصدور، واتَّضح النور من وراء الستور.

إيضاح وانشراح

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلائِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ [البقرة:210].

وبما تنزلت الأحكام الربَّانية في الأعيان الحجابيَّة بالأسرار الإلهية في التجلِّيات الرحمانية، جاءت كل كلمةٍ تمام في ظللٍ من الغمام، والملائكة الكِرام في حجب من الأجسام تنزيلاً بعد تنزيل، وتفصيلاً من تجميل، وكان انشراح هذا الإغماء، وتبيين مراتب هذه الأسماء؛ إنما بين كل أرضٍ وسماءٍ وأُفقٍ وهواءٍ أعيانًا، تبرز بروز البذور، وتتشكَّل في صفحة اللوح المسطور ما بين أجسامٍ ترابية أرضية، وأشكال نورانيَّة سماويَّة.

ثم إن الأعيان كلها ساكنة بالطبع، متحرِّكة بقوة النفس، وهذه النفوس المتحرِّكة بالفعل كلها متناسبة بالذات، مختلفة بحسب المقاصد في الهيئات، وأجزاء الأجرام الجسمانية، أبدًا يكون سماويها ما ترقى من عين أرضيها، وعلويها مستولٍ على سُفليها وذلك لشفوف الأجسام وقرب هذا المقام السماوي من الروحاني الرباني.

وهذه الأجسام النورانيَّة والمثُل المعلَّقة العُلوية؛ قد بذرت الأثير على كل تشكيل

وتصوير بأحكام الملِك المصوِّر القدير في كل تدوينٍ وتسطير، لا يسكن متحرّكها ولا يستقر مُفلكها.

وأبدًا أعيان أرضيها، وسكان قرار سفليها، ناظرة إليها بالوضع، ساجدة إليها بالطبع مستمدَّة منها بحكم الأصل، ولذلك توجَّهت النفس المدبِّرة إليها بالرَّصد وخضع القويُّ الحيواني لها وسجد.

وثَمَّ دقيقةٌ شريفةٌ وسريرةٌ لطيفةٌ، وذلك ما أعلن معلِنٌ بالسجود إلا وكان في باطن الأمر له مسجود، فكل عابدٍ معبود، وكل قاصدٍ مقصود، وكل والدٍ مولود.

واعلم أن مبادي التأثيرات من الأرضيات في البطانات الآدميات إلى السماويات.

قال تعالى: ﴿**وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون**﴾[الجاثية: 13]

ثم ينفهق من السماويات إلى الأُفقيات إلى ظاهريات العينيات، فيحسب الوهم أن الربَّ مربوبٌ، والأمر أبدًا على هذا الأسلوب؛ ومن هنا عُبدت الأصنام، وتوجَّهت الأجسام للأجسام، وخضعت النفوس بحسب قوة التأثير في التدبير، والتدبير في التسخير، كان كل ذلك قبل تنزيل العالم الروحاني إلى أفق الشبحي الجسماني، وبما أقسم الله تعالى بالشمس والقمر والأرض والسماء والجبال والشجر، ثم أقسم بالنفس وما سوَّاها، كل ذلك تنبيهًا على تعظيم ما هي به وما بطن فيها.

ثم إنه لا تزال النفس الغضبية الشيطانية تُشكِلُ وتُلْبِس، وعن قوام العدل تنزل وتعكِس، وفي طهارة القصد تنجس وتدنَّس، فإذا فسدت الأوضاع، وضاق الاتِّساع وافترق الاجتماع، وعُبِدَ وُدٌّ وسُواع، وتصادمت الصور الأوائل، واستولت الأسافل على الأسافل هنا لك ﴿**جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً**﴾ [الإسراء:81]

وتكمَّل المفضول في الفاضل، ونُسخت الآيات بالآيات، وتكمَّلت الأوقات بالأوقات؛ وهو نسخٌ حكمي لا عيني، ولا يزال الحق يأتي في ظللٍ من الغمام، وينزل في ظلم مَن سدَّف الأجسام، ويتضح بالزمان والأيام وضوحًا بعد وضوح، واتضاحًا بعد اتضاح إلى أن يقلع الغمام والسحاب، ويزول الظلام، وينجاب، ويرتفع بالكشف الحجاب.

قال تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ**﴾ [آل عمران: 64].

وأسأل ذا المنة وقاية الفتنة، وكفاية المحنة، وإضاءة الدجُنة من وراء ستر الجنة، ونعوذ بحقِّه من خلقه، وباسمه عن رسمه، وصلاته على وارث علمه، وواضح حكمه،

ومبزغ نجمه محمد وآله وصحبه وسلِّم.

****

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله واهب المواهب، ومُظهر العجائب، وجالي سدف الغياهب، ومسهِّل المطالب للطالب، له الحمد والثناء والقدرة والعلا والأسماء الحسنى.

وبعد ...

لما كملت السفرة الآدمية، وتمَّت الدورة الجسمانيَّة، وصدقت كلمة تلك القضية، واجتمع طَرفي الحلقة الأبيَّة الكليَّة، وكان الزمان المنفصل بجملته جزءًا من الزمان المتِّصل بكليَّته، كان بالنظر إلى ميلاد عيسى ختامه الأتم الأبهى؛ نزول آدم مع حواء واستوائه على عرشه الأحوى؛ أولَ الموافقة والاجتماع، واستنزال الماء الصلبي في الأفق الأبي المستقطر من إنبيق أجزاء نتائج الطباع بحكم الترتيب في الأوضاع، وكان اشتمال الحمل إلى أشهر الوضع؛ هو النزول إلى قرار الأرض، والخروج إلى فضاء هواء الجسم، واستخرج النفس من النفس، وتعيين اليوم من الأمس، ثم كان إلى نوح إتمام أشهر الرضاع والعضال، ومن هنا ينزل الخليفة الأقوى الولي الأولى، الروح الأمين من الأفق المبين إلى مستوى المكين.

قال تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ**﴾ [الأنعام:75].

وبما نزل هذا الاسم العظيم إبراهيم عليه أفضل الصلاة والتسليم؛ وهو أب التخصيص من التعميم.

قال تعالى: ﴿**مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ**﴾ [الحج: 78]، ولأول ما فُتحت له أبواب النظر، ووردت عليه أرواح الفكر، ونزل به كل ملكوتٍ وخطر، وانجلى في مرآة ملكوته، وتصوَّر فاتَّبع كل مَن كان يَعبد القمر القمر ﴿**قَالَ هَٰذَا رَبِّي**﴾ [الأنعام:76].

وكذلك الشمس والنجم والحجر، وكل من الجمع الذي حضر، يشير بالخير عن حكم ما تقدَّم له من الأثر؛ وهو يقول عند الأقوال بلسان اليقين: ﴿**إني لا أُحب الآفلين**﴾ [الأنعام:76].

وقوَّته تنادي من خلف حجاب غيبه، وزوال أحكام ريبه من سرِّه المكنون: ﴿وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: 19]؛ وذلك أنها أحكام سلفت، وربوبيات انقطعت وتولن، وأزمنة انتقلت وتداخلت، فأسلم بقلبه لربِّه، وكسَّر الأصنام، وجاء الحق والسلام.

واعلم أن هذه السُّنَّة أبدًا على الوضع الموضوع، والشرع المشروع ما منها زمان ينقضي، وعمر يمضي إلا ويأتي الثاني بهدِّه وهدمه، وحلَّ نظامه وخَرْمه، ولا بد من إتيان أرواحه الحاكمة العادلة، والظالمة والمستيقظة والنائمة والموحِّدة والمشركة، ثم تردُّ جموعها وأقويتها وجيوشها، وتستملك من الزمان الثاني معاهدًا وأواني وحصونًا ومباني، وهذا من سرِّ السَبع المثاني في غيب المعارف والمعاني، وينادي كل خاطرٍ: أنا الحاكم الربَّاني والإمام الفرداني.

ومن تحكَّم عَزل، وكثر الملل والنِّحل، وعقد عقد ملَّته، ونقض عهد مغايرته، وحلَّ فيعظم الاضطراب باختلاف الحكَّام والأرباب هذه، وصاحب الزمان يُحكِم قواعده، وينصب محاربه ومساجده، وينفق ذخائره وفرائده، كل ذلك في بطانة غيبه وحجاب ملكوت عزِّه وصونه، فإذا آن وقت ظهوره وإسفار إشراق نوره؛ استخلص عينًا من أعيان الزمان، ومظهرًا من مظاهر الأكوان؛ يكون له مقرًّا ومعهدًا ومظهرًا ومشهدًا، فيعلن بالندا ويَرفع أعلام الهُدى.

نظر واستبصار

بما كان الاسم الذي كان به المجرى المحمَّدي والمرسى والركوب والاستقرار والمنشأ؛ هو الذي أمر نوحًا بإنشاء السفينة، ونزل عليه بالوقار والسكنية؛ هو الاسم الذي أعلن في هذا الزمان بعبادة الرحمن، ربُّ الملكوت الديَّان، وبما أمر بالخروج عن مظاهر الأكوان والوقوف مع أشخاص الأعيان، وكان لأول شعور الحال، وانتظار حلِّ الأقفال، والفكْرُ يجول جولة الحائر، والنظرُ يتردد تردد الحاسر، والعقلُ يتتبَّع آثار المآثر، فأقام بين الأرض والسماء، يردد عوالمه المدركة لعله يسمع مخبرًا صادقًا، أو يشهد لائحًا بارقًا، أو ينشق نسيمًا لعرف أزهار الملكوت فائقًا، فوجَّه فهمه لكل مقصودٍ، واستحضر بفكره كل معبودٍ، فرأى النجوم والأصنام كلٌّ إليها قد توجَّهت العقول، وعكفت عليها النفوس بالذهول، فأشفق من الإثم العظيم.

قال تعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ*فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات:88 ،89].

فتولَّت عنه الأرواح الأوائل مدْبرة، وعلمت الأرباب المتقدِّمة أنها في هذا الزمان

غير مقرّرة، فأقبل على الأصنام الأرضية فكسَّرها، وأفسد صورها، واستبقى كبيرها لما أرادت الحكمة الإلهية أن يُبقي أثرها، فرجعوا إلى كبيرهم، وارتكسوا بعد يقينهم وتقريرهم بتدبيرهم في تتبيرهم واستخفَّت القويَّة الصالحة عن أعينهم، واجتمعوا لصاحب الزمان، وشهدوا الحق حيث كان، وحقَّقوا أن لكل زمانٍ دولة ورجال، ولقد أخبرهم عن آلهتهم التي يعبدون أنهم لا يضرُّون ولا ينفعون، ولا عن أنفسهم البؤس يدفعون؛ ولأنهم حكموا في غير زمانهم وبرزوا في غير أوانهم، وأرادوا التمكين في غير مكانهم، ولا جرم أنهم خدَّام لأرباب الزمان وأنصار لهم وأعوان.

قال تعالى: ﴿**كَتَبَ الله لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ الله قَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾[المجادلة:21].

ومن جاء بالضدِّ والصدِّ، فقد نكث العهد، وخان فنعوذ بالله من الخذلان وبما قال: ﴿**إني لا أُحب الآفلين**﴾ [الأنعام:76].

قال تعالى: ﴿**قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ**﴾ [الأنبياء:68].

ولأن عبَّاد الأصنام والكوكب أضمرت الفتنة بسواء النيَّة، وأظهرت البغي بالحمية، وبما كانوا أرواح الطباع وأقويتها المتولِّدة بالأوضاع، ظنُّوا أنها تساعدهم، وتبلِّغهم مرامهم فيمن يعاندهم، فتوجَّهوا إلى عنصر النار لما علموا؛ وهي من الصور الملكية والأعيان الكونية بالقوة النورانيَّة والنفخة الملكوتية، انقلبت أعيانها وتبدَّل كيانها.

قال تعالى: ﴿**قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ**﴾ [الأنبياء:69].

وهنا انجلى له الملكوت، وتجلَّت له أسرار اللاهوت في أنوار حجب الناسوت، فسبحان الواضع الحكيم المقدِّر العليم، سبوحٌ قدوسٌ ربُّ الملائكةِ والروحِ.

فصل

واعلم أن إبراهيم الطَّلِيْكِلاَ هو من أسماء الله تعالى العظام، ووجهٌ من وجوه حجبه الكرام، كان أول مَن نزلت له الصحف والكتب، وانجلى له الملكوت في صور الحجب، فأصَّلَ وفرَّع؛ لأنه أول كلمة من الكلمات التي أُلقيت إلى آدم، وأول نعمة نزلت من حضرة العالِم للعالَم، ولها ظاهرٌ وباطنٌ؛ فباطنها الكلمة السريانيَّة والرفقة الإلهية العرفانية؛ وهو الاسم المنفهق عن الإسماعيلية في الصحيفة العربية، حتى إلى البرازخ الأُخروية، يكون أول ظهورها وإشراق إسفار نورها.

وظاهرها الكلمة الإسرائيلية، ظهرت في الكتب الأعجمية، حتى إلى النفخة العيسويَّة والكلمة الختامية، وبما كانت هذه الكلمة الظاهريَّة هي المرادة في ذلك الوقت، ولها الإشارة في ذلك الزمان؛ هذا من حيث تعيين الأعيان ومطالع شموس

الزمان، لا من حيث بطون الأسرار وغيوب الأنوار، خلف غياهب الأستار، وتمَّت في هاجر وسارة أحكام هذه الإشارة، وأخذ كل سالكٍ على طريقهِ، وانتهى كل مفارقٍ إلى فريقه، وستجمعهم الأزليَّة والحيطة الأحدية.

قال تعالى: ﴿**رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ**﴾ [آل عمران:9]؛ وهو الزمان الأحمدي والوقت المحمَّدي.

وقال: ﴿**ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ**﴾ [هود:103].

تفريعٌ وتنويعٌ

﴿**وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ**﴾ [الصافات:99]، وبما هاجَر بهاجر إلى المهاجر، وكانت هذه أول سُنن التجريد وحكم التفريد في التبديد، وحيرة المريد على ما يريد من حيث لا يريد، فلمَّا بلغ قلب البساط الأرضي، والمهاد الأوهد المرضي؛ وهو محل السمع والعيان والإدراك واللسان.

قال لها وللأرض: ﴿**ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**﴾ [فصِّلت: 11]؛ وهذا هو الموضع المخصوص بالبقاء والمحفوظ من حلول موجبات الشقاء، فأودع هناك ذخيرته، وادَّخر بفناء الكثيب الأحمر سريرته.

قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ**﴾ [الصافات:102]؛ وهذه غَيرة على الولد؛ حيث انتقل إليه الأمر، وسرَى فيه السرُّ، لا على مَن خلا عنه، واستُخرِجَ منه، وكان الذبح إشارة إلى أحكام الطهارة وبما كانت الصورة مناميَّة، لأنه ورد: «**الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا**»[1].

وبما كان في إبراهيم من صورة الحيوان، وتحصيل أقوية الأكوان خشي على البيت الأحمدي والمقام المحمَّدي من فاحشة الشرك وخيانة الشك والإفك؛ ولذلك حرَّم الدم والميت.

قال تعالى: ﴿**وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ**﴾ [الحج:26].

ولأنه ورد: «**الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب ولا صورة**»[2].

ولذلك قيل بعد مهاد الرضا والسكينة والتمكين والتل للجبين وإحداد السكِّين

---

(1) رواه أبو نعيم في الحلية (52/7)، وذكره المناوي في فيض القدير (56/5).

(2) رواه البخاري (1179/3)، ومسلم (1665/3).

بلسان العلم وقوة العزم: احفظ ثيابك من الدم وهذه كلها قوة من الغيب، وإمداد همَّة من الرب لنفي الريب، لمَّا تَمَّ من كمالٍ وتكميلٍ وجمالٍ وتجميلٍ وطهارةٍ ونضارةٍ، فالظاهر في غصة وقرحة، والباطن في منَّة ومنحة، فلمَّا تمَّت الطهارة القلبية، ونفذت الحكمة الإلهية في الأبيَّة والأبنية، ولقد كان ولد إسحاق في بركة هذا السياق، وطهَّروا بطهارة هذا اللحاق، ونزل الكبش؛ لإتمام حكمة الظاهر وإحكام امتثال الأوامر؛ ولتكون هذه المنَّة فرضٌ ووجوبٌ وسُنَّة، وبما كان نهاية الأكوان الآدمية مجتمعة في عين الحيوان، متناهية في ذلك الزمان في عين الإنسان، كانت هنا هي الصورة المذبوحة، والنفس الدموية المسفوحة.

ومن هنا تفهم أسرار الحِكم، وتوالج الأمم في الأمم، وبما بقي في إسرائيل أثر من أثر هذا الحيوان.

قال في موسى بلسان الإنسان: ﴿**يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ [البقرة:54].

واعلم أن العجل الحنيذ الذي قرَّبه إبراهيم الخليل للأضياف المكرَّمين الطيبين الطاهرين؛ هو عجل السامري بالتبيين والتعيين، والروحَ التي انتقلت عن ذلك الجسد؛ هي التي خارت في هذا الجسد، وبما تمنَّعت الكرام عن الضمِّ إليه والإلمام، ولذلك سُمِّي بالإله وليس هو إيَّاه، ولكن الفكر إذا تاه اتَّخذ إلهه هواه.

تنبيه وتنويه

وبما كان الإعلان بالإذن بعد طهارة البيت وإحكام البنيان واستجابة الأرواح؛ من بواطن الأزمان شِيبًا وشبَّانًا ورجالاً وركبانًا، وكلٌّ أجاب المنادي من غيب النادي، وأتى إليه ساعي من أُفق الدَّاعي، وبما كان العينَ الجامعة من كل روحٍ سامعة ومطيعة خاشعة.

قال تعالى: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لله حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [النحل: 120]، وكان هذا الأذان من سرِّ النداء، وفتحَ باب الدعاء في باطن الغيب الملكوتي، وظاهر الستر الجبروتي، وهو من سرِّ صيحة الحشر ليوم النشر، فما أعجب شهود الأنوار لمشاهدة الأبصار، وما أبطن خفايا الأسرار في قلوب الأحرار.

رجوعٌ واستدراك

قال تعالى: ﴿لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لله الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصِّلت:37]، وبما وحَّد إبراهيم ﷺ، وأفرد رب الملكوت، وما أشرك وما ألحد؛ لأنه كان حنيفًا مسلمًا، تبرَّأ من الشمس والكواكب بحيث استشعر أن الحق فيهم استتر لا بهم ظهر، خرج عن الصور، ونزَّه الخواطر والفكر، حمد له ربَّه صنيعه وشكر، وأسبغ عليه فضله فاستمر، حتى إلى يوسف وهو من عروش مملكته وكراسي عزَّته وأسماء حُجب ربوبيَّته، أسجد له الكواكب والله على أمره غالب.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ﴾ [يوسف:7].

وبما قال لأبيه: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف:4].

وبما باعوه الأسباط بالثمن البخس: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ [يوسف:20]؛ تنبيه على موضع الغيرة، وتردد أحكام الحمية الكرَّة بعد الكرَّة في كل زمانٍ وفترةٍ.

واعلم أن السجن اليوسفي وإصانة السرُّ الخفي، كان أول سنَّة الحصر، ورخصة الجمع والقصر، واستشعار الروح بضيق الجسم، وكان القريبان الملَك والشيطان أتيا بأحكام الأحلام؛ لحل أغلاق الإبهام عن إغلاق المنام.

قال: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف:41]، وهنا انقطع أثر المُعاند والقرين الحاسد، كما وقعت السُّنَّة في الإسماعيلية.

ومن هنا قال موسى الكليم: ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:143] كل ذلك بصلب القرين اللعين، وأمَّا الآخر فجاء بصيغة المخامرة؛ لأن رجوع الرب للمربوب يُوجب غواية الأمَة ونسخ الأحكام بالحكمة.

ولقد قال: «**لو شربت الخمر لغويتْ أمتك**»[1]، وما زال سرُّ هذا الخمر يسري إلى أن نُسخت الدول الإسرائيلية بالملة الأمية، وارتفعت الأحكام العبرانية بالأوضاع العربية وبما تفرَّقت الأرباب، وتشعَّبت الأسباب، وحار القاصد في طرق الصواب، فنادى السرَّ من وراء الحجاب: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ الله الْوَاحِدُ

(1) رواه الطبري في تفسيره (6/15)، وذكره ابن حجر في فتح الباري (216/7).

الْقَهَّارُ﴾ [يوسف:39].

واعلم أن دعاء إبراهيم، وأذانه البهيم أسمعَ مَن في بني إسماعيل ما لم يُسمع في بني إسرائيل، ولذلك خُصَّ بالبيت الحرام، والمقام الأعظم، والحطيم، وزمزم والمشاعر العظام وهذا كله من سرِّ الاستماع وإجابة الداع.

وبما قال ﷺ: «**لو لبثت في السجن ما لبث أخي يوسف لأجبت الداعي**»[1]، وبما كانت السنين السبعة التي لبثها يوسف في السجن؛ كانت هي أساس نعم، ومهاد إكرام وكرم، كانت أيام الجمعة وأعلام المثاني السبعة من الزمان الأحمدي واليوم المحمَّدي، وبما أكلت البقرات السنابل؛ كانت من سرِّ التوالج والتداخل ونسخ الأواخر للأوائل، وبما كانت رؤيا منام، ومشاهدة أحلام، كانت اليقظة ناسخة وأحكامها حال القيام بأقدام عين اليقين راسخة.

وأمَّا السبعة العجاف الآكلات، والسبع سنبلات اليابسات؛ هو ما يظهر من طغاة الزمان واستيلاء الفراعنة بالبهتان، وذلك في خاصة النبات والحيوان، ولما صلب القرين الشيطان في زمن يوسف عليه السلام، وأكل الطير من رأسه؛ لأن هذه الأنفس الطائرة والأشباح المجنَّحة الناعمة الناضرة، وهي ظاهرة في الزمان مقدَّسة المعاني في العيان،

وورد: «**لو أنكم تتوكلون على الله حقّ توكُّله لرزقكم كما يرزق الطير**»[2]، وبما بعثوا بعثة النشور باسم الحي القيُّوم، إبراهيم عليه السلام طابت حياتهم، وتقدَّست أوصافهم، وانقلبت الأعيان في عيانهم، ولو كانت الدنيا من دم عبيط؛ لكان قوت المؤمن منها حلالاً، وكذلك كل زمانٍ تأخر جنة الزمان الأول أو سجينه، وفيه نعيمه أو غسلينه سنَّة لا ينقطع تجلِّيها حتى يرث الله الأرض ومَن عليها.

وأمَّا النفس التي راودت فتاها، وسفرت عن محياها، وكشفت برقع حياها في طلب محياها، وتهيَّأت تهيؤ الأرض التي أجدبت لوابل السحاب، وغلَّقت أبواب الأرباب، وأسلبت دونها ودون سوى مطلوبها الحجاب، هي النفس التي استترت في شجرة آدم، وأنزلته بالإرادة إلى دار الخلافة، وتناولت منه أسرار المملكة، واستخرجت بركتها المخزونة في باطنها بما أفاض عليها من الحياة، وأنزل عليها من الماء فأخرجت الكلأ والمرعي.

---

(1) رواه البخاري (1731/4)، والنسائي (368/6).

(2) رواه الترمذي (573/4)، وابن ماجه (1394/2).

قال تعالى: ﴿وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج:5].

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصّلت:39].

ومن هنا قال يوسف عليه السلام: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:55]، ولقد علمت أن الاسم الذي تجلَّى في حجاب يوسف، وأبزغ فيه شمسه وقمره، وجلي في نوره وما ستره؛ أنه هو السرُّ المطلوب في الوقت، وبحلوله يرتفع السخط والمقت، وبما كان التمنُّع والإباء إلا لعارضة الاجتباء، وأن الذي تجلَّى له بالبرهان وحفظه من موضع الإتيان؛ هو الذي نهى آدم عن الأكل من الشجرة، وخوفه تدليس التلبيس وتنجيس التبليس وحذره، وهذا هو الاسم القدوس والروح الأمين ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة:4]، حتى إذا بلغ الكتاب أجله نسخ الإنسان حكم الخيال وجرَّده، وفكَّ معمى الإشكال وحلَّله.

وبما قالت الأسباط: ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 78] فرفض السؤال وردَّه.

وقال: ﴿مَعَاذَ اللهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ﴾ [يوسف:79].

واعلم أن القميص الذي جاء به البشير، وردَّ بصر البصير؛ كان من الثياب التي تجرَّدت عند النزول، وانخلعت من الآكل على المأكول، وهي من خُلع الأمانة وبُرَدِ الصيانة، وما كان سرُّ البكاء والحزن والعمى، وما لاقى الفقير من العناء إلا للسرِّ المودع في قميص يوسف والمستخلف بالموافقة؛ حيث خولف، وهذا أول قميص ذُكر، وثوبٌ من الدنس طُهر، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر:4].

وهذا هو القميص الموروث والنور الذي هو بالأمر مبعوث، وعليه حُزنُ يعقوب، وفيه رغبة زليخا؛ وهو حلة الخليل ومنظره الأنزه الجميل، ولَمَّا تخلله الخليل إبراهيم، عادت النار عليه بردًا وسلامًا وتسليم.

واعلم أن الثياب التي تجرَّدت عن آدم عند الأكلة؛ كانت مائة حُلَّة وهي أنوار المائة رحمة التي أُنزلت منها واحدة إلى هذه الدار الأدنى، وهو القميص الأجل الأسنى، وباندراج الأسماء الحسنى في كل حُلة رحمة حَسنًا، وحضرة جمال جلال كمال أبهى

وأعز وأعلى، وبما قال ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعون اسما**»[1]، و«**إن لله مائة رحمَة**»[2]، و«**وإن في الجنة مائة درجة**»[3]؛ وهذا من سرِّ الافتتاح والانشراح، واندراج الأرواح في الأرواح.

واعلم أن ما من نفس من النفوس إلا وتنبعث إلى الجمال، وتميل إليه حيث كان من النساء والرجال.

وورد: «**إن الله جميل يحب الجمال**»[4].

وبما قال لوط عليه السلام: ﴿**هَؤُلاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ**﴾ [هود: 78]، وهذا لسان غيْره ودفع الواحد غيرهُ، وبما تنزَّل الإنسان في الحيوان، وامتزجت أرواح الملك بالجَان وتداخلت الأقوية، وتشابهت الأحكام، وبما جاءت الأنفس الحيوانية تدنُّس المشاهد الرضوانيَّة، والخلع الربَّانية، ولا تُؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها.

قال الخازن الرقيب العتيد: ﴿**قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ**﴾ [هود:80]؛ وهنا ذخيرة من ذخائر الاستواء وحقيقة من حقائق الآلاء.

واعلم أن هذه الصحف الأولى والأسماء الحسنى والمنابر العُلا؛ هي حجب إبراهيم عليه السلام، ومطلع نوره التَّمام كإسحاق ويعقوب ويوسف ولوط والأسباط وما بينهم من وجوه أعيان، ومظاهر حِسان، وعرش مجيد كريم، كذلك إلى موسى الكليم عليه أفضل الصلاة والتسليم، والحمد لله رب العالمين.

تورية

وبما لم يكن في حضرة الرحمن ضلعٌ راقد، ولا وصفٌ راكد، ولا اسمٌ إلى الأرض خالد، وبما ذمَّ الذين جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا؛ لأنه لا يكون في حضرة الكامل إلا الكامل موضوعٌ لصفات محمولِهِ شامل، ولصورته مماثل؛ ولأن المغايرة لا تليق بالمحاضرة؛ ولأن: «**النساء ناقصات عقلٍ ودين**»[5]، و«**حبَّب إليَّ**»[6]؛ موضع تفعُّل لا فعل، وموضع تطبُّع ولا طبع، وبما سأل جبريل عليه السلام أن يأتيه في صورة

(1) رواه البخاري (2691/6)، ومسلم (2062/4)، والترمذي (530/5).

(2) رواه البخاري (2374/5)، ومسلم (2109/4)، والترمذي (549/5).

(3) رواه البخاري (1028/3)، والترمذي (675/4)، وابن حبان (471/10).

(4) رواه مسلم (93/1)، وابن حبان (280/12)، وأبو عوانة في مسنده (39/1).

(5) رواه البخاري (531/2)، ومسلم (36/1)، (10/5).

(6) رواه النسائي (280/5)، والطبراني في الأوسط (54/6)، وأبو يعلى في مسنده (199/6).

دحية؛ لأنها أجمل وأعلى وأقرب إلى المقام الأسنى، وعلى صورة العرش المحيط الأبهى، وبما كان يوسف عليه السلام ربُّ الجمال ومرآة تجلِّي الرحمن من الإنسان وجبت له السجدة، ولم تكن لأحدٍ بعده وهي سجدة مستمرَّة الكرَّة بعد الكرَّة، وحيث ظهرت هذه الربوبية الجمالية، والخلعة اليوسفية؛ خشعت لها الأبصار، وتداعت إليها النفوس من جميع الأقطار، وحنَّت إليها حنين الثكلان لَمَّا انفهق الحُسن من مشهد الإحسان.

وقد ورد: «**اعبد الله كأنك تراه**»[1].

ولكل أمةٍ فتنة، وفتنة هذه الأمة الجمال؛ ولأن الله «**جميل يحب الجمال**»[2].

وبما كانت الخزائن الأرضية الخاصة من الآدمية أخدارَ الأبكار، والعُرُب الأتراب، والخيرات الحسان اللاتي ﴿**لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ**﴾ [الرحمن:74]، ﴿**حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ**﴾ [الرحمن:72]، أُلبِست صور الجمال وتردَّت بُردَ الكمال؛ ولأنهم خزائن السرِّ المصون، والدرِّ المكنون.

قال تعالى: ﴿**قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾ [يوسف:55]، فما من خزانة إلهيَّة وسريرة ربَّانية إلا وعليها صورة يوسفية وخلعة رحمانية.

قال تعالى: ﴿**قُلْنَ حَاشَ لله مَا هَذَا بَشَراً**﴾ [يوسف:51] وبما جاء ضيف إبراهيم لوطًا في أحسن خلع الكمال وأبهى أقمار التمام، انحلَّ من العقول النظام، وبهت الفارق بين الحلال والحرام، فأقبلوا كأنهم الأنعام.

قال صاحب الغيرة عن حُرَم العُلا والمقدس الموقر الأسنى: ﴿**إِنَّ هَؤُلاءِ ضَيفِي فَلا تَفْضَحُونِ**﴾ [الحجر:68].

تتمة وتكميل

وبما تجلَّت المحاسن اليوسفية في حجب الكواكب الليلية بحكم الروحانية الملكية، أشار إليها إبراهيم بالربوبيَّة، وكان الإنكار عند الاستتار ولو دام الشهود؛ لاستمرت العبودية للمعبود، وبما كان بالقميص الذي ألبسه الله إبراهيم عليه السلام إكرامًا، وبه عادت النار عليه بردًا وسلامًا هو الذي أرسل به يوسف إلى يعقوب، وتعطَّف به المحب على المحبوب، وإطلاع الأفهام على مكنون هذا من سرِّ الإلهام، وبما هاجر إلى ربِّه يستهديه في طرق قُربه؛ لمشاهد ما استتر عنه من تحجبه، واستصحب لوطًا إذ

(1) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (78/7)، وأبو نعيم في الحلية (115/6).

(2) تقدم تخريجه.

كان بسرِّ التبعية مَنوطًا فأشرقت فيه ملاحظة الجمال الربَّاني، والتعشُّق في البهاء الروحاني، المنفهق بكله في الحجاب الإنساني موضوع المستوى الرحماني، وتَجَزُّئه في المولد الكيواني موضوع المستوى الإنساني، فاشتاقت الروح العلمية للاستواءات القدسية في البواطن الإيمانية؛ لإظهار القوامات الألفية في الحضرات السريانية، وهنا دقيقة خفية حيث صدَّق الحالُ القال: «**لكل أمة فتنة وفتنة هذه الأمة الجمال**»[1].

وبما كان لوط عليه السلام اسمًا من أسماء إبراهيم العظام، ووجهًا من وجوه زمانه الكرام سرت فيه هذه السريرة السريانية واللطيفة الروحانية، فانبعثت الملأ؛ لطلب الاستواء، وأعلنت بالدعوى في الأعلى، استرقت السمع شياطين النفوس السفلية، ولَبست في الأقوية الروحانية تشبهًا بالمثل السماوية والأشكال النورانية مثل الحضرة الرحمانية.

وقد ورد: «**خلق الله آدم على صورته**»[2]، ولقد كان يأوي إلى ركنٍ شديد القوى حيث يتحقَّق الاستواء، وتظهر أنوار البهاء، ويرتفع حجاب الإغماء والعمى، ويتنزَّل روح الولاء لمن لا كذَّب ولا تولَّى، وبم كان يوسف عليه السلام عند ظهوره بالتعيين وتعيينه بالجسم، وقيامه بالحجم، وهذا من سنَّة إظهار الغيب في العين، وتجلِّي الروح في الجسم.

قال تعالى: ﴿**لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾ [الأنعام:67]، توجَّهت أرواحه الملكوتية؛ لمظاهره الناسوتية، وسجدت له سجود العبودية.

قال: ﴿**يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**﴾ [يوسف:4]، وما نهاه يعقوب عن القصص إلا لَمّا عَلِمَ فيها من تجرع الغصص؛ ولأنه: «**حفت الجنة بالمكاره**»[3].

وترقِّي الهيئة الجسمانية إلى الماهية الروحانية، لا يكون إلا بعد تمحيص وفتن وتجريبات ومحن، وليتخلص اللطيف من الكثيف، ويتميز الوضيع من الشريف، وكانت الرقيقة النفسانية والقوة الحيوانية التي سرت في قوم لوط بالتلبيس وتحكَّمت فيهم بالتلبيس والتنجيس، جاءت بعكس القضية الأولى في زليخا؛ وهي ببصرها إلى صورة جماله مشيحة، فرقَدَ ضِلْعُها بعد أن كان قائمًا، ودخل سلطانها تحت الحكم بعد أن كان حاكمًا، فراودت فتاها لبلوغ مناها، فاستأنفها وأباها لبقية هواها، وكانت الآية التي

---

(1) لم أقف عليه هكذا.

(2) رواه البخاري (2299/5)، ومسلم (2017/4)، وابن حبان (18/13).

(3) رواه مسلم (2174/4)، والترمذي (693/4)، وأحمد (380/2).

رآها في مرآها من حيث: «**يأتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفونه فيها**»[1].

وبما قطَّعت الأنفس أيديها بالمُدى ما ذاك سدى؛ ولأنه لما ارتفع الرِّداء عن وجه الهُدى ﴿**وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً**﴾ [الفجر:22]، ﴿**وَقُلْنَ حَاشَ لله مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلا مَلَكٌ كَرِيمٌ**﴾ [يوسف:31].

وبما قال الصادق ﷺ: «**لو لبثت في السجن ما لبث أخي يوسف لأجبت الداعي**»[2].

هو من باب قوله تعالى حكايةً عن نبيِّه: ﴿**يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ الله وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [الأحقاف:31].

وإذا ارتفع الحجاب؛ ذهب الارتياب، وصار ما كان خطأً صواب، ولو صُلبَا صاحبا السجن؛ لذهب الحزَن وانقلبت العين؛ ولأن: «**للشيطان لِمَّة بقلب ابن آدم وللمَلكِ لِمَّة**»[3].

الأول حجاب النار، والثاني حجاب النور، فلو ارتفعا معًا؛ لجاء سرُّ التضرُّع والدعاء من قوله ﷺ: «**اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل**»[4].

ولذلك عُلِّقت النجاة على الظن، وما وقع القطع بالأمن، وجاء بالنزول عند مستوى الكشف.

قال: ﴿**اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ**﴾ [يوسف:42]، وكان النسيان من جهة الشيطان.

ورد: «**وما من أحدٍ إلا وقد وكِّل به قرينه من الجن، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا ولكن الله أعانني عليه؛ فأسلم فلا يأمرني إلا بخير**»[5].

واعلم أن أخذ الأخ أخاه، ورفع أبويه على مستواه، وتواضع الكرام بالسجود إلى علاه من سرّ: إن الله ليجلسني على العرش؛ لاستغنائه عنه، وإني لأجلس بلالاً عليه لاستغنائي عنه، فلمَّا تَمَّ هذا الزمان، وأحكم بناء هذا البيان؛ تنزَّلت أرواح الإيمان، وأشرقت أنوار الأمان، وتجلَّت الآيات الربَّانيات في المشاهد الموسويات، وارتفع القناع عن حضرة السماع، وكان هذا مبدأ: «**ينزل ربنا إلى السماء الدنيا**»[6].

---

(1) رواه البخاري (2706/6)، ومسلم (163/1).

(2) رواه البخاري (1239/3)، والترمذي (293/5)، والنسائي (305/6)، وأحمد (326/2).

(3) رواه الترمذي (219/5)، والنسائي (305/6)، وابن حبان (278/3).

(4) رواه البخاري (899/2)، ومسلم (978/2)، والترمذي (501/5).

(5) رواه مسلم (2167/4)، وأحمد (385/1)، وابن حبان (327/14).

(6) تقدم تخريجه.

وارتفعت وساطة الملَك، وزال عن العين حجاب الفلك من سرِّ ﴿**وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً**﴾ [النساء:164].

وبما كان موسى عليه السلام اسم الله الذي فتق به الرتق، وميَّز به الأمر والخلق، وتجلَّى فيه من مشرق الحق عند خلع نعلي الكون والخلق، جرت عليه سنَّة السلوك والتمحيص لبلوغ التنصُّل والتخليص، وكان أول ذلك في سنَّة القتل وإماتة العدو بالوكز.

والمقتول هنا هو الذي قال له يوسف: ﴿**اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ**﴾ [يوسف:42]، وهذا من سرِّ الانتقال في الأطوار وتوالج الأعصار في الأعصار.

قال تعالى: ﴿**عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾ [الواقعة61] فخرج خائفًا من فوات المطلوب مترقبًا تجلِّي جمال المحبوب من خلف حجاب الغيوب، حتى ورد ماء مدين.

قال الله تعالى: ﴿**وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ**﴾ [القصص: 23]؛ ولأن إبراهيم كان أُمةً قانتًا.

واعلم أن الامرأتين اللتين وجدهما في مقام الحيرة قد أُسبل عليهما حجابُ الغيرة يترقَّبان جمال يوسف في حجاب موسى، كما كان هو يترقَّب جمال الحق عند رفع حجاب الخلق، حنَّت إليه حنين الفاقد، وسكنت إليه سكون الواجد وكان سرُّ هذه المراقبة وحكمت هذه المطالبة وهذا من حقيقة: «**تجدني عند المنكسرة قلوبهم من أجلي**»[1].

ولذلك تولَّى إلى ظله، ومد كف فقره وذلِّه؛ لوسع عطائه وفضله، وكان ظل الشجرة التي تولى لظلها، واستمطر وابل فضلها ونيلها بما سبق في غيب نفسه المطهرة أن سينادي من الشجرة، فسبحان من أعلن ظاهره، وأخفى في باطن غيبه سرائره.

واعلم أن ابنتي شعيب إحداهما مستودع الحقيقة الإسماعيلية، والأخرى مستودع الحقيقة الإسرائيلية؛ وهي التي جاءت على استحياءٍ ودعته على توفير الجزاء وحُسن الوفاء فجاء إلى معلم الأدب، فحمد له الهرب، ونفى عنه الرهب، ورفع عنه الخوف بالتأمين.

قال تعالى: ﴿**نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ [القصص:25] وهذا من سرِّ خذها ولا

(1) ذكره المناوي في فيض القدير (519/1)، والعجلوني في كشف الخفا (234/1).

تخف إنك من الآمنين، وهذه بوارق الوفاء ومقدمات الاصطفاء، وكان الاستئجار في موضع الانكسار، وليتخلص سر الأحرار من بقية الاستكبار؛ ولأن النفس التي أبيعت في يوسف وملكت، وتخلصت من رقِّها وملكت، بقي فيها بقية تلوين: ﴿**اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾ [يوسف:55].

وبما قالت ابنة شعيب: ﴿**إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأَمِينُ**﴾ [القصص:26].

فقال شعيب: إني أريد أن أجعلك ناكحًا للمادح على أن تأجرني نفسك، وتمحي ما بقي من اسمك ورسمك.

فقال: ﴿**وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلاَ عُدْوَانَ**﴾ [القصص:28]، فلمَّا قضى أحدهما منح السماع، ومنع العيان فلو قضي الأجلين استحق الزوجين، ولسار بأهله وأسرى ولكنها كانت الأخرى، فلما فارق الفريق، وتاهت به الطريق، وأظلم ليل الحيرة وأثقل أهله ظهره، فتجلَّى وجه الجبار في حجاب النار، وما كان هذا موضع الاستتار عن الأبصار، وليعلم أولو الألباب حقيقة: ﴿**مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ الله إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ**﴾ [الشورى:51].

وبما قال ﷺ: «**حجابه النور وحجابه النار**»[1]، إشارة منه إلى حضرة مشاهدة الرحموت، وموضع حجاب غيرة الرهبوت.

قال تعالى: ﴿**فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً**﴾ [طه:10] فتصفَّحت في خلال صحائفها أسرارًا.

واعلم أن هذه النار التي رآها موسى عليه السلام هي النار التي عادت على إبراهيم عليه السلام بردًا وسلامًا، والهدى الذي طلبه عليها هو اسم الله العظيم إبراهيم عليه السلام، ومنه كان النداء والتكليم.

ولذلك لما جاءها: ﴿**بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا**﴾ [النمل: 8]، ومَن حلَّ أقفال هذه الدقائق؛ استخرج ما فيها من الحقائق، وكذلك الشجرة التي سمع موسى منها الكلام، هي التي أكل منها آدم عليه السلام.

قال تعالى: ﴿**وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ**﴾ [البقرة:216]، وبما بطن فيها من سرِّ الخلافة، جرى النداء منها باسم الجلالة، فكانت النار والشجرة من سرِّ الطريقين المعتبرة الظاهرية الإسرائيلية والباطنية المحمَّدية.

---

(1) رواه مسلم (161/1)، وأحمد (405/4) بنحوه.

رفع قناع في حضرة سماع

﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾ [النساء: 164] والكلام له أسرار وأحكام، وينقسم بالبيان إلى أقسام.

واعلم أنه إذا كان السميع هو، فالمتكلِّم الله، وإذا كان المتكلِّم الرحمن؛ كان السميع الحق القائم بروح الإنسان، فالخواطر الواردة على قلوب الخلق هم كلمات الحق؛ لأنها تصدر عن غيب الجمع إلى عين الفرق في حجابي الوهم والصدق من حيث ما هو الفكر والعقل في صيغتي الإخبار والنقل؛ لأن الكلمة التي هي أم الكلمات، وروح العلم الذي هو جامع أسرار الصفات القائمة بغيب الذات، المتجلِّية في كرائم الأمهات وبواطن الأسماء والمسمَّيات برقائق أرواح المعلومات المجرَّدات عن صور الحروف المنطوقات والرسامات والمسموعات والمبصرات؛ عبارة عن القوة القادرة الناظمة والناثرة والموجدة الجاعلة، والمعدمة الفاصلة، لم تزل تَبرز من العدم بحقائق الكلم، وكانت قوالبها المستعدَّة لقبول إلقائها وتلقيها ومرائيها المتهيئة لأنوارٍ تجليها، وصورٍ تحليها؛ قوة القلب الذي كتب فيه الرب، وسرَّ الفهم المجرَّد عن الوهم، وصحة الذوق الخالي عن شائبة الشوق والإلهام القدوس الخالي عن وساوس النفوس.

واعلم أن هذه الحقائق المذكورة والأرواح المشكورة؛ معلومة في مصطلح الصوفية مشهورة، لكنه وراء كل مرسومٍ ومعلومٍ سرٌّ خفيٌّ ومكتوم، فمَن تحقَّق بهذه الأسرار والألباب، سمع الخطاب، وفرَّق بين الخطأ والصواب، وتحقَّق أن المتكلم هو العالم، وهو المحيط في كل ناثرٍ وناظمٍ.

فرقانٌ وتبيانٌ

اعلم أن حقيقة الكلام إبراز ما في الذات للقوة، وحقيقة القول إبراز ما في القوة للفعل، والقول قوة ذي الطول، والحول الحي القيوم، حافظ المسطور والمرسوم من الحروف والظروف والأعيان الظاهرة في لوح الإعلان الموضوع بإزاء المعاني المتضمنة في طرس الكتمان؛ وهي على قسمين: منطوقٌ في مسموع، وموضوعٌ في مطبوع.

وتجريد هذين الكونين، وخلع هذين النعلين لا يكون إلا بعد عماء العينين، ورفع حجاب البين والأين، وصمم الأُذنين عن مخاطبة الاثنين، وبَكَمِ لسان الحال عن القيل والقال.

قال تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران:64].

واعلم أن الوادي المخصوص بالتقديس، والمنعوت بالطهارة من التنجيس والترجيس هو الذي وضع إبراهيم فيه ذريته، وادَّخر فيه الخليل سريرته؛ وهو البيت المطهَّر من الشرك والمنزَّه من الشك والإفك؛ وهو القلب السليم عليه أفضل الصلاة والتسليم.

وبما قال ﷺ: ﴿**وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ**﴾ [إبراهيم: 35] إلى قوله: ﴿**فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي**﴾ [إبراهيم:36].

وكان حقيقة هذا الاجتباء والاجتناب؛ يفتح بابًا بعد باب، ويرفع حجابًا بعد حجاب إلى أن سمع من نقطة الاستواء: ﴿**إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً**﴾ [طه:12]، ولكل حلولٍ حال، ولكل مقامٍ مقال.

تجميل وتأويل

مَن ألقى ما في يمينه تَلقَّى ما في إيمانه، وبما كانت النفس التي مال موسى لظلِّها واستمطر بفقره وابل غنى فضلها، واستصحب فرع خَلقها من أصل حقَّها؛ هي التي سمع منها بلسان إيجادها وجعلِها: ﴿**فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [النمل:8].

وبما كانت النفس ذاتُ الخيال، ومشكاةُ الأشكال والأمثال، ومرآة التجلِّي والأحوال وقوةُ التطور في كل عينٍ وكيانٍ من متولِّدات المعدن والنبات والحيوان، والتمثُّل في عين الملك والجان، وما يعطيه مظهر الإنسان في سائر الأكوان؛ هي المتوالجة في الأعصار والمتلوِّنة على البصائر والأبصار في اختلاف الأكوار والأدوار، والحجب والأستار؛ وهي النفس التي كتب الرب عليها الرحمة، وحذَّر عباده منها النقمة؛ الأول حجاب النور؛ وهو جمعها وحقَّها، والثاني حجاب النار؛ وهو فرَّقها وخَلقها.

واعلم أن عند اللقاء يجب الإلقاء، وكان الاستفهام في موضع تنبيه أولي الأحلام من أضغاث أحلام المنام؛ لأن الناس نيام، وليحذر الشريك في المُلك فتنة مزلة الهُلك وطابع نكثة الشرك؛ لأن حقيقة الفقير تجريد الإضافة عن ياء الضمير.

قال تعالى: ﴿**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى* قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا**

عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ [طه:17، 18] فأبَى سرَّ التوحيد إلا التجريد فلما أمر بإلقائها والإدبار عن تلقائها؛ ظهرت في صورها الخاصة التي كانت في أصل خلقها؛ ولأن الحيَّة التي طوَّق الله بها العرش الكريم، وحصر بها متسع السميع العليم، وروِّع بها روع الخبير العليم؛ هي التي أدخلت إبليس اللعين إلى دار جنة النعيم، فكدرَ كأس التسنيم، وأحرف الخط المستقيم عن قوامه القويم، ولذلك عبَّر عنها بالجان والثعبان؛ ليوضح البيان والتبيان، فلمَّا رآها في خِلعتها وعَرَفها بشكلها وحِليتها؛ لأن إبليس كان عند المقاسمة في صورتها فولَّى مدبرًا حين شهد اللَّعين بالعين؛ لأنه: «**لا يُلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين**»[1].

وأعدى عدوٍ لك نفسك التي بين جنبيك، وبما كانت الحية الخضراء المطوقة بجبل قاف المحيطُ بجميع الجبال والأحقاف؛ هي قوَّتها الكائنة بالجبانة، والذلة المطبوعة بالكثافة في الجبلة، وهذه أقعر قَعَراتها، وأنزل دركاتها، فلمَّا انكشف هذا الغطاء بنور الحق؛ وجب الدك والصعق، فلمَّا حَقَّق الترك بالطبع والإدبار بالوضع، وليس العيان كالسمع، وتمكَّن من رفضها ببغضها وأمِنَ؛ إذْ أُذِنَ له في أخذِها من حظِّها وأقبل بإدباره عن حضيض خلقها على أوج حقِّها، فكانت له عداوةً وملامة صارت له آية وكرامة.

تبصرة وتذكرة

واعلم أن توبة آدم كانت عن طلب الخلود الذي قاسمه عليه البعيد المطرود، علم أن الموت هو البقاء المقصود.

ولذلك قال الخليل لما تطلَّع إلى هذا المقام الجليل: **﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾** [البقرة:260].

وجاء بصيغة رب: **﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾** [البقرة:260].

ومن هنا كان سرُّ طلب موسى رؤية حضرة البهاء بكشف حجاب الناسوت، بأن كان: وما كان لنفس أن ترى الله حتى تموت.

ولذلك لما ظهر التجلِّي من وراء حجاب النفس، وصُعقت صورة الحس، وانحلَّ بالدكِّ نظام الجسم، شهد من غيب القلب جمال حضرة الرب.

ولذلك قال عند إفاقته من غيب مشاهدته إلى عين مكالمته في حجاب التلوين بلسان التمكين: **﴿سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾** [الأعراف:143].

---

(1) رواه البخاري (2271/5)، ومسلم (4495/4)، وأحمد (115/2).

فجمع بين توبة آدم وإيمان الخليل بأتَمِّ تجميل وأكمل تفصيل، وكان هذا أول الإيمان الأخص، لا الإيمان الأعم، وأكمل الله نعمته وأتَمَّ.

وقال فيمَن فسخ أوهامهم بإلهامهم: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ**﴾ [الفتح:4].

ولما ظهر الأصل في الفرع قال قوم موسى: ﴿**أَرِنَا الله جَهْرَةً**﴾ [النساء:153] فجرت عليهم سنَّة الصعق والإفاقة، ووافق الرفيق بحكم الرفاقة والسر المكنون في موضع.

قال تعالى: ﴿**فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ**﴾ [البقرة: 55]، ولا يجمل بالعاقل سؤال تحصيل الحاصل.

ولذلك قال سر الله بالله لما ترفع عن هذا المقام وخَلاه: «**اعبد الله كأنَّك تراه**»[1]، ولما أبتْ كل الإباء أن تشهد في حضرة الاجتباء حقيقة الإرسال والإنباء، وُكِلت إلى نفسها، وأُسبل عليها حجاب عَمى طمسها، فناداها وهمها حين غلظ عليها حجابها وقسى: ﴿**هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ**﴾ [طه: 88] ولما عميت منهم الأبصار أدهشهم الخوار ونسي الناكث عهد ربّه.

قال لهم هارون ؈: ﴿**يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي**﴾ [طه:90].

وترجم اللسان السري لمن عنه يدري: ﴿**وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي**﴾ [طه:90].

فينطق لسان الأوْلى: ﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى**﴾ [الأعلى:1].

و﴿**قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى**﴾ [طه:91]؛ وبهذه النكتة قُبلت منهم التوبة عند فرض قتل النفس، ونفعهم اليوم ما قدَّموا بالأمس.

توضيحٌ وتلويحٌ

اعلم أن الاسم الباطن في العماء الواضع حجاب الإعماء المتصرِّف في بواطن الأسماء هو الذي أوجد في قوى النفس الغضبية إبليس حجاب التدليس والتلبيس، جعلَه قعره سجين في صورة التنين ومنبع الغسلين والشجرة التي: ﴿**طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ**﴾ [الصافات:65].

(1) تقدَّم تخريجه.

وأعمى بصيرته وبصره، وشوَّه أشكاله وصوره، ولهذا الاسم الباطن في غيبه المبهم سرٌّ مكتوم، وغيبٌ عليه بطابع الجهل مختوم؛ لأن حروف كتابه المرقوم سريانية الرقوم، أعجمية المنثور والمنظوم، وبما كان الاسم الجليل الذي أوجد جبريل القدُّوس السبُّوح ربُّ الملائكة والروح؛ هو الباطن في حجاب النور، والقائم على أمهات القصور ربَّات الخدور والستور خَلق الإنسان على مثل صورة الرحمن، وزيَّنه في السرِّ والإعلان، وجعله في أقوم تركيب وأعدل ميزان، وسرُّ كتابه المرقوم لا يشهده إلا السابقون المقرَّبون، ولهذين الاسمين من حيث الحجب والمظاهر تغاير وتضاد وتنافر، ولهذا الأمر المسرور والسرِّ المستور علومٌ مدَّخرة وأسرار مستودعة.

﴿**فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ*لا يَمَسُّهُ إلا الْمُطَهَّرُونَ**﴾ [الواقعة:78، 79]، ﴿**وَمَا يَعْقِلُهَا إِلا الْعَالِمُونَ**﴾ [العنكبوت:43].

وكما أن لهذا الاسم حُكم في ظواهر مظاهر التقديس، كذلك لهذا الاسم تأثير في بواطن التدليس والتلبيس، والله يتجلَّى في كل حجابٍ، ويدعو إلى حضرته من كل بابٍ فمَن فهم الخطاب، ولَجَّ إلى الأحباب، ومَن عَمى عليه الصواب أخطأ وما أصاب.

واعلم أن الاسم الذي أوجد جبريل يقدِّس نفسه في حجاب الخلق بلسان الحق، والاسم الذي أوجد إبليس يعظِّم نفسه في حجاب الحق بلسان الخلق، فيجب في الأول التصديق والتصويب، ويقع على الثاني بواسطة الأواني التفليس والتكذيب؛ الأول الهادي وهو معروف في الأسماء، والثاني المضل وما وَردَ اسمًا ولكن يقال: تسميةً بوجه ما.

ولما قال في إبليس: ﴿**أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ**﴾ [أعراف:12].

وفي النمرود: ﴿**أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ**﴾ [البقرة: 258].

وفي فرعون: ﴿**فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى**﴾ [النازعات:24] و﴿**مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي**﴾ [القصص:38].

وفى السامري: ﴿**هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ**﴾ [طه: 88].

كذلك لا يزال في جبابرة الزمان، يظهر بهذه الأفعال والأقوال والأحوال المنعوتة بالحال حتى يستقر في المسيح الدجال، وكذلك الاسم الجليل الأبهى ظهر وتجلَّى في آدم ونوح وإبراهيم وموسى وداود وسليمان، حتى إلى مستقرَّه عيسى، فأبرأ، وأشفى، وخلق، وأحيا فتتم المقابلة وتتناهى المماثلة، فسبحان الواحد الأحد، المتجلِّي في آحاد العدد، وما من نبيٍّ إلا وأنذر قومه وحذَّرهم وقته ويومه، ولقد بيَّن المعلم الأكبر وعين

الخبر فيما أُخبر: «**إن الدجال أعور وأن ربكم ليس بأعور**»[1].

واعلم أن النفس التي يقتلها الدجَّال وتحيا؛ هي التي تدارأ في قتلها قوم موسى، والتي قتلها أحد ولدي آدم، وأصبح على فعله نادم؛ هي التي أطاعت المقاسم ونسيت العهد اللازم، وهذه النفس الإنسانية المتوسطة بين الملكية والشيطانية، فهذه تدعوها إلى عليين، وهذه تردَّها إلى أسفل سافلين، فإمَّا إلى الشيطان وفضوله، وإمَّا إلى الملك وتفضيله.

وقد ورد: «**المرء على دين خليله**»[2].

تنوير وتحذير

ولما نطق الحق في حجاب الأول، وقال بلسان الدعوى: ﴿**فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى**﴾ [النازعات:24]، غار الملأ الأعلى وعُمَّار حضرة البهاء.

وقال بلسان العلا: ﴿**أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى* ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى**﴾ [القيامة:34،35]، وتنزَّل اسم الله موسى في حجاب وجهه الأسنى إلى مستقر الخلافة الأرضية ومهاد النفس المطمئنة المرضية، وأمره بالذهاب إلى فرعون، فاضطرب الكون ولهذا الاضطراب أسرار وأسباب؛ وذلك أن النفس التي أدخلها الله في جنَّته وعباده اضطربت لَمَّا أمرها بالخروج إلى أعدائها وأعدائه، فسكَّنها بالمعية، ونبَّهها إلى إحاطته بالبصيرة والسمعية، وشدَّ أزرها بالقوة العلوية.

ورد: «**عليٌّ منِّي بمنزلة هارون من موسى**»[3]، وبُعِثَ مع كل نبي سرًّا ومعي سرًّا وجهرًا، فلمَّا ارتفع حجاب البصر عن حضرة السمع والبصر؛ تحقَّق الخُبر بالخَبر، فزال لموسى حجاب الكون عن وجود فرعون، وظهرت أسرار الفوائد، وغاب المشهود في الشاهد، وانفهقت له حضرات أسرار هذه المعاني.

وهو قوله تعالى: ﴿**فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**﴾ [طه:44]، وكان المراد من هذا الشأن تخليص نفس الإنسان من يد الشيطان، وأبى سر العرفان إلا فكَّ نظام الأجسام والأبدان، واختلاس الأسرار من الأكوان.

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى**﴾ [طه:56] بحقيقة ما يكون من

---

(1) رواه البخاري (1269/3)، ومسلم (2247/4)، وأحمد (37/2).

(2) رواه أحمد (303/2)، وأبو داود (259/4)، والترمذي (139/5).

(3) رواه البخاري (1359/3)، ومسلم (1870/4).

الاجتباء.

تماثل وتقابل

وبما كانت قُوى الإمكان حادثة بالأكوان، متلوّنة بالأعيان، قال تعالى: ﴿صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ [الرعد:4].

أخبر روح الإنسان: «**إن من البيان لسحرًا**»[1]، ومن السحر لتبيان، وكانت مظاهر الأوضاع في الأوزان متعين الأشكال في موضع قلب الأعيان في عين العيان؛ لتتعدد الزوجان، وتتكثر الاثنان، ويختلف الشيء بتلوين الأكوان والأصل.

ورد: «**كان الله ولاشيء معه، وهو الآن على ما عليه كان**»[2]، ولما ظَهر هذا للمخيَّل المرسوم من غيب الوهم المعلوم؛ انقسم في عين الحق إلى اختلاقٍ وخلقٍ، هذا صادر عن كلمة (إفك)، وهذا صادر عن كلمة صدق، ولا يزالان يظهران بالمقابلة ويتقابلان بالمماثلة، فلمَّا ظهر أرواح الكليم بأفعال التكليم، وقابله المماثل بتخيُّل الباطل.

قال: ﴿**فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنْتَ مَكَاناً سُوَىً**﴾ [طه:58]، فولَّى ثم أقبل في خيله ورجله.

واعلم أنه قط ما يظهر حق الحق إلا ويزهق باطل الخلق.

واعلم أن هذين الحجابين والعيانين السوائيين، هذا سريعٌ زواله، وهذا مستمرٌّ خياله وكلاهما حجابٌ على الباب والأصلح في أم الكتاب السريع الذهاب، فإذا هَدَّ الباني صور المباني، وأزال الإلهام خيال الأوهام، وصوَّب العقل نظره في سراب الحوادث وحدَّه :

﴿**لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ**﴾ [النور: 39]، فلمَّا أسرع بزوال الحجاب عن بَصر بصائر الأحباب، نظروا في مرآة الممنوع بـ «لن» جمال السرِّ المخطوب، بـ «أرني»، ومن طلب تحصيل الحاصل؛ مُنع بمانع المحال الحائل.

قالوا: بلسان السرِّ المكنون عند رفع الستر المصون بنور الحق مخزون.

قال تعالى: ﴿**قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ*رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ**﴾ [الأعراف:121، 122]، ومَن ألقى لمفهوم هذا الخطاب السمع علم سرَّ العطاء في المنع، فنطق السرُّ من حجاب الكفر.

---

(1) رواه البخاري (1976/5)، وأبو داود (302/4)، ومالك (986/2).

(2) رواه البخاري (1166/3) نحوه.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ [طه:71]، وبما انتفى حكم الغير، ﴿قَالُوا لا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء:50]، وبما كان المطلوب في زمن يوسف انتقل إلى حواصل الطير، تكثر واحدة فلا غير ولا زال يطوف على ذلك الجمال، ويتصفَّح رؤيته في كل حقٍّ ومحال، ويتطلَّع في أطوار النساء والرجال من المعدن والنبات والحيوان في كل شكلٍ ومثال، ويتذوق في تحول الأحوال سرِّ ذلك المقال.

قال تعالى: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ الله الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف:39].

فلمَّا ظهر في هذا الحجاب انشرحت الألباب، واجتمعت الأحباب، وعاد الساجد إلى سجدته، واستيقظ النائم من رقدته، فأبى تحكُّم المعاند حكم الساجد، فكرر الصَلب وقارع الرب بالرب، فصلبهم في جذوع النخل، وردَّهم إلى النبات؛ لتكرار الحشر والنشر، الحرث والنسل، وأسبل الحق من الستر جُنَّة.

وقد ورد: «مَن قال: **سبحان الله والحمد الله غُرست له نخلة في الجنَة**»[1].

وليظهر هذا السرُّ في موضع: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً﴾ [مريم:25]، ﴿أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ [آل عمران:49].

حيث يستقر قدم هذا السير، ويتمُّ سر النفخ والتكليم عند تعين الكلمة، ويتم الله على أهل سر خصوصيته إنعامه وكرمه.

اعتراف وانحراف

اعلم أن سفينة الطوفان هي مركب الإنسان نوح عليه السلام، وكيفما تقلَّبت الأحيان وتقلَّبت الأزمان، وتطوَّرت الأعيان الأمر كائن كما كان، ولكن ستر التكوين، وتطور التلوين بستر حقائق الإمكان في قوالب الأعيان، فيبطن الإحسان، وتجهل الأزمان؛ لتخيل الآذان أعراض الأبدان، ولو تحققت الأفكار أنه ليس عند ربِّنا ليلٌ ولا نهار ولا حين ولا زمان ولا مكان ولا انتقال ولا مقام ولا ضيق ولا اتِّساع ولا أقطار، علمت خفايا الأسرار، وفهمت إشارة المشير حيث أشار.

وقال: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ [النجم:3].

وقال: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأُولَى﴾ [النجم:56]، وبما كانت هذه المواد السفينية

(1) رواه الترمذي (511/5).

آلة النجاة من موضع خرق العادة، لزالت تتطور في أطوار النبات، وتنتقل بأحكام الأوقات، حتى انتهت إلى عصا موسى، فأظهرت أسرار ما فيها من القوى من تلقفِ الإفك والسحر، وشقِّ الحجر والبحر، وإظهار حكمة النجاة والغرق كما تقدَّم الأمر وسبق.

واعلم أن نجاة فرعون بالبدن لبقاء الفتن، ولتأصيل حكمه المحن، ولذلك قال الذي شاهد الحق في مظاهر التلقُّف والشقِّ وقد ضعف فكره وتواهى: ﴿**اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً**﴾ [الأعراف: 138].

وهذا كله من سرِّ تعشُّق العين بالريب في تعين الغيب، ولا يزال سرُّ: ﴿**أَرِنِي كَيْفَ**﴾ [البقرة:260]، و﴿**أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ**﴾ [لأعراف: 143] يسري حتى إلى الإسراء الأسرى؛ حيث يقول لسان الآية الكبرى الأدْرى: ﴿**مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى**﴾ [النجم:11]، ﴿**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى**﴾ [النجم:13].

ولو تخلَّص السائل من حيرة جُهوله لشاهد سائله في عين مسؤوله، ولذلك وقع التيه، وحار كل طالبٍ فيه، ومَن لم يَهده الله فمَن يهديه، ومنعتهم شياطين الوسوسة عن الدخول للأرض المقدَّسة، ونزلوا إلى المشاهد المنعكسة.

قال تعالى: ﴿**وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ**﴾ [البقرة: 61].

وقالوا: ﴿**لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ**﴾ [البقرة:61]، وتفرَّقوا في سُبل كل قصدٍ فاسدٍ.

وقالوا: ﴿**فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا**﴾ [البقرة:61].

وقد ورد: «**مَن أكل من هذه الشجرة فلا يقربنَّ مسجدنا**»[1]؛ لخباثة العَرف لا العُرف، وكثافة التمرُّد والعُنف، وبدَّلوا الأعلى بالأدنى، وهبطوا إلى قعرة الدُّنا، فاللَّهم لا تكلنا إلى أنفسنا.

قال تعالى: ﴿**فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**﴾ [المائدة:24]، وكل هذه موجبات العناء، ومفقرات الغنى لما فيها من فروق الكنى بالهو والأنت والأنا.

سوابق ولواحق

اعلم أن روح الأمر[2] المتنزِّل في ليلة القدر عالم، أوجده الله تعالى على أكمل

(1) رواه مسلم (394/1).

(2) قال سيدي محمد وفا في النفائس (ص119) بتحقيقنا: روح الأمر من كنز عالم القدرة، وفيه يتعيَّن =

الصور وأقدره على التمثُّل، فتكثَّر فهو لا يعد ولا يحصى ولا يحصر، وعلى مثل صوره صوِّرت صور البشر وهم يأكلون ويشربون، غير أنهم مقدَّسون، وكذلك يتجلَّون، ويتحجَّبون وهم حضرات تجلِّي أنوار الرحيم الرحمن، أعيان عيون غيوب غيبه المصون والمصان.

وقد ورد: «**خلق الله آدم على صورته**»[1]، وأسبغ عليه سوابغ نعمه ومنَّته، فلمَّا خلقه، وأنشأه، وصوَّره، وسوَّاه نفخ فيه هذا الروح بحقيقته ومعناه، وأسجدَ له أرواح الملكوت في حضرة الجبروت، وتميز العبد من المعبود في حضرة هذا السجود، ولَمَّا مسح على صلب آدم، واستخرج ذريَّته كالذر، أبرز الأرواح في مَلئه الكريم، وقد تجلَّت فيهم أنوارٌ باسم الله الرحمن الرحيم، وشهد الشاهد للمشهود بأنه الربُّ المعبود، وأخذ عليهم في حضرة هذا السياق صحيح العهد والميثاق، واتَّحدت كل صورةٍ نورانيَّة أمرية بصورةٍ ذرية بشرية.

ولقد تمت هذه القضية والأرواح الملكية في حجاب القضية الأولية حيث قالوا في عالم السماء: ﴿**أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ**﴾ [البقرة:30].

وقال لهم الحق الناطق بلسان الأمر الصادق: «**أيُّها الملائكة المكرَّمون**»[2]، فلمَّا نفذت هذه المشيئة، وتَمَّ أمر هذه القضية؛ زوج لنفسه السماوية القدسية نفسَه الأرضية الراضية المرضية الجنوية، جعلها له جنة نعيم ومرآة تجلِّي وجهه الكريم، عن أقوالها وأفعالها كانت جنته البرزخية بما فيها من أشجارٍ وأثمارٍ ونوارٍ وأزهارٍ ومعدنٍ مكرِّم وحيوانٍ مقدَّس، ولقد تطوَّرت نفسها النفيسة أجمل الأطوار حسبما يشتهيه آدم ويختار، فلمَّا كملت صورتها ومعناها، وظهر حسنها وبهائها، جاءت الملائكة ينظرون إلى آدم وحواء في هذه النشأة الثانية، ويتمتَّعون بإبداع هذه الحكمة السامية، هنالك تقرَّبت إليها

=

غيب الوجوب بالتجلِّي من أسماءٍ حسنى، وصفات عُلا، ومراتب أجل وأعلا، وكذلك ما يكون من ملكيات الملأ الأعلا بالعرش والكرسي واللوح والقلم، وما يكون من عالم البقاء، الذي لا ينقطع ولا يفنى، وروح الخلق من كنز عالم الحكمة، وبه يتعيَّن ما فيه من الأشباح الروحانية، والصورة الجسمانية، وهو يبطن في ظهور عالم الكون كما يبطن عالم اللون في ظهوره، وهما الملك والملكوت، والدنيا والآخرة، وما فيها من مسموعات ومبصورات ومحسوسات، وهذا الروح هو الأفق المبين، كذلك روح الأمر هو الأفق الأعلا، يظهر ويبطن عند ظهور الجبروت في الحيوان، ويظهر عند بطون الجبروت فيه.

(1) رواه البخاري (2299/5)، ومسلم (2017/4).

(2) لم أقف عليه هكذا.

الملائكة الكرام بقربات الخدام، فانعقدت بينهم الولاء بحسن المجاورة.

قال تعالى: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [فصِّلت:31]، وتحقَّقت الخلة بهذه العلة.

وقد ورد: «**يُحشر المرء على دين خليله**»[1]، فلمَّا اتَّحدت النفس الآدمية بالملكية؛ حصلت غيرة في الروح العليَّة، فغابت عن تلك الحضرة، واحتجبت بحجاب الغيرة، وعند تمام هذه القصة وكمال هذه المنصة، تبادرت الأسباب الباعثة على النشأة الثالثة؛ وهي نشأة النبات، وإخراج روح الحيوان من الموات.

قالت حواء وقد كملت في صورة الإنشاء حسبما يختار ربها ويشاء، واستخبرت بلسان الدعوى: أيُّها الخليفة الأعلى والسيِّد الأسنى أيُّنا أجمل في الصورة والمعنى، أنت أم أنا؟ قال: بل أنا.

فكانت هذه الكلمة شجرة الأنا؛ وهي المنهي عنها وعن الأخرى التي هي الحيَّة التي أدخلت العدوَّ في فِيهَا، فلمَّا حصل في المقام، وسرى ريح روحانيته في الشراب والطعام، تكدَّر ذاك الشراب، وتنغَّص عيش الأحباب، وحصل بينهما وبين الروح الملكية ضربٌ من الحجاب، فشكا الخليل إلى الجليل، وتداوى العليل بالتعليل، فلمَّا شوقه إلى الأرواح الملكية في الدورة الفلكية، فسهَّل على العدو العلاج، ووسوس بحكم الامتزاج، فأحدث النسيان مع اليقين.

قال تعالى: ﴿**وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ**﴾ [الأعراف:20]، فاقترن الجان بالإنسان فكان ما كان، وهبط الآكل والمأكول والسبب، وبلغ الطالب ما طلب، ونزل عن تلك الحضرة إلى هذه القعرة.

تفاخرٌ وتصاغرٌ

وبما ظهر وجه الكليم في جمال التعليم، قال بلسان فخر التكليم: أَثَمَّ أعلمُ منِّي؟

قال المحيط العليم: ثَمَّ بمجمع البحرين ومنبع السرين ومطلع النورين عين العينين من تكون الكونين وبطانة الزوجين بالأمرين، كذلك إلى توحُّد الربَّين بسقوط توهم الزوجين فاستصحب فتاه في طلب لقاءه، وظنَّ أنه مَرآه سوف يراه، ولكن الفكر إذا تاه فلا حول ولا قوة إلا بالله.

فقال: اجعل لي علامة على الكرامة، فأُمر باستصحاب الحوت؛ لتظهر عجائب

---

(1) رواه أبو داود (259/4)، والترمذي (589/4)، وأحمد (303/2)، بنحوه.

أسرار اللاهوت في كيفيات صور الناسوت، وتبيَّن عند اللقاء حقيقة الإلقاء، وتكسُّب الفوائد في خرق العوائد، فذهب وما ألوَى وكان الأولى، فلمَّا بلغ إلى مجمع البحرين، ونسي ذكره من حيث آوى إلى الصخرة، ولقد كانت هذه الصخرة من أعيان الطور والجسم الذي ظلَّ من عظمة التجلِّي مدكوكًا، ومفطورًا إلى يوم النشور، والذي ناداه من حجاب الشجرة والنار، هو الذي تجلَّى له في عين مجمع البحرين جِهار، ولكنه إذا فَجأت أشعة الأنوار؛ غشيت مدارك الأبصار في عجائب الاستبصار، وكان اتِّخاذ الحوت في البحر سبيله من سرِّ الإخفاء في موضع.

قال تعالى: ﴿**فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لا تَخَافُ دَرَكاً وَلا تَخْشَى**﴾ [طه: 77]، وسيظهر سرُّ هذا السبيل المبين في يونس حتى إلى شجرة اليقطين، وكل هذا من أسرار التطوير في التكوين، والتلوين في التمكين، وعند نزول المائدة تستقر هذه الفائدة، ويكون ظهور هذا السرُّ المكنون أول طعامٍ يطعمونه أهل الحنة؛ زيادة كَبد النون، ولتعلم القلوب المتقرِّبون سرُّ ﴿**وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾ [النحل: 8]، وبما كان هذا البحر «**الطهور ماؤه والحل ميتته**»[1]، لِمَا تضمنته من الأسرار قوَّته، ومن جواهر أغلاق الحقائق سريرته، رفضت بالغيرة صورته، وامتنعت عن الإضافة صيغته، فإذا انقلب في عيانه نارًا، وأسفر في مَرآه ما كان مَن به قد توارى؛ هنالك ينكشف للأحرار مكنون.

قال تعالى: ﴿**أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ الله رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [النمل: 8]، ويقول لسان الاقتدار: سبحان المؤلف بين الماء والنار.

تعالى وتدانى

وبما كان فتى موسى منزلاً من منازل شديد القوى، وروحًا من أرواح حضرة البهاء، ومشرقًا من مشارق الأسماء الحسنى، نبَّه على موضع الإحياء، وكان التعجب من حيث رأى حقيقة من حقائق النشأة الأخرى، وكانت هذه الدورة الفلكيَّة والقوى النبويَّة موضع تبيين وتمكين لموسى في موضع فسخ الدعوى وتمكين للفتى في حضرة الولاء، وكان النَصَب الذي لقيه موسى في طريق الطلب لِمَا تَمَّ من اتصال الفوائد، وتحقُّق المقاصد لغير القاصد، وتظهر حقيقة المعنى في سريرة الإسراء من حيث: ﴿**عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى**﴾ [النجم:5].

(1) رواه أبو داود (21/1)، والترمذي (101/1)، والنسائي (75/1).

هذا والمعلِّم من وراء وراء، والمعلم يَسمع ويرى، وبما كان المضي والذهاب في التدهير والتدبير والأحقاب من سرٍّ يُطلع لب الألباب إلى مبلغ مجمع البحرين من قاب قوسين، فلمَّا قدر اجتماع الربَّين في حجاب العبدين، وسألت العينُ العينَ من تحت غطاء نقطة الغين: هل لي في منحة الاتِّباع؟

قال: إنه ليس عندك لوارد حقائق الاطلاع مجال ولا اتِّساع، فإن أقوية الإبداع وأرواح الاختراع؛ لا تقابل بالاستبداع، وأني لك هذا الشعور، وقد تدكدك الطور من نفخة الصور، وصُعق الكليم من تطلُّع عيون التسنيم من وراء سرادقات بسم الله الرحمن الرحيم.

قال تعالى: ﴿**قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ الله صَابِراً وَلا أَعْصِي لَكَ أَمْراً**﴾ [الكهف:69] ولو قال: ستفقدني بالله؛ لبلغ ما تمنَّاه في موضع: «**اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه**»[1]، ولكن كيف له أن يُتقن عمله وما بلغ الكتاب أجله وكان.

قال: ﴿**فَلا تَسْأَلْنِي**﴾ [الكهف:70] في موضع محو مانع، ﴿**أَرِنِي**﴾ [البقرة:260]؛ لأن قيل له: ﴿**فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى**﴾ [طه:13]، ولم يقل له: سل ما تتمنى.

ولقد قيل في صحف الأولين: ﴿**فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ [هود: 46]، فانطلق إلى السفينة التي منشأها بحقيقة: ﴿**بِسْمِ الله مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا**﴾ [هود:41]، وكان خَرقها في موضع تحقيق ﴿**أَلْقِهَا**﴾ [طه:19]؛ ليتحقَّق سلب الاعتماد على الأعواد.

قال بلسان: ﴿**وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى**﴾ [طه: 18]، ﴿**لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً**﴾ [الكهف: 71].

قال لسان التحقيق: ﴿**قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً**﴾ [الكهف:75] في المنزل ضيق.

فقال بلسان الذي ولَّى عن الحية مدْبرًا: ﴿**قَالَ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً**﴾ [الكهف:73]، فقبل العذر، وأبدل العسر باليسر، وبما كان المصلوب في زمان يوسف عليه السلام تجري عليه سنَّة القيام في كل فتحٍ وختامٍ، لِمَا تَمَّ من مزج الأحكام في أصل الإحكام بتحقيق الأوهام من أضغاث الأحلام؛ هي النفس التي حللها الخضر عليه السلام من عقال النظام في عَين الغلام، فوصفها الكليم بالزكاة لما ثَمَّ من التشابه

---

(1) رواه أبو نعيم في الحلية (202/8).

في التمثلات، والتقابل في التصورات والتخيُّلات.

وقال بلسان الذي: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ [القصص:15].

وقال: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً﴾ [الكهف:74]، ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾ [الكهف:72].

قال لسان: ﴿سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: 143] إعلانًا وجهرًا.

وقال: ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْراً﴾ [الكهف:76].

﴿فَانطَلَقَا﴾ [الكهف:71] إلى قرية القرى، ومنع السائل في موضع لن ترى، وأقام الفاعل الجدار على كنز الأسرار؛ لستر عين الإنكار عن أعين الأغيار.

فقال لسان: ﴿أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ﴾ [القصص:27]، أو عشرًا.

قال: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً﴾ [الكهف:77]، وبما كانت العبودية غير مستحقّة الأجرة المثلية لمنافاتها لحضرة الربوبيّة.

فلمّا تنافت الأخلاق على لسان: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾ [الكهف:67].

قال: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً﴾ [الكهف: 78].

انفصالٌ واتصالٌ

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله العليم الحكيم، مُلقي الكلمة بالتكليم، وخالع شكل الخط القويم بالتكريم، عن محمول مظهر الرحمن بالتمثيل والترسيم إلى بطانة موضوع الرحمن الرحيم، مدور أفلاك الزمان بتنزيل أطوار الإنسان في كل آونةٍ وحين، وإبان إبداه في كل مقامٍ كريمٍ، واسمٍ عظيمٍ ولسانٍ صادقٍ عَليمٍ.

وبعد....

فلمّا انقضت هذه الدورة الموسوية، وتَمَّت هذه النهاية الكليمية، وبطن ما ظهر من المقامات العلية في الأسرار الحقية بتمامية سر البطون والظهور، وإدراج حكم النور في النور، وتوحيد أعيان المظاهر والستور، نفخ إسرافيل الانقضاء في ذلك الصور، فأُعفي الأثر، وأُعمي النظر، وطوى صفوة الصفا في بطانة كدرة الكدر؛ حيث أظهر القدر حجاب «بخت نصر»، فتنكَّس من العِلم العَلم، وأنقط لسان القلم، وغشيت من الظلم المظلَم؛ فأُبهم الليل وأُعتم، وكان هذا الظهور من سرِّ الظلمة الجسدية؛ حيث تبدَّلت

القضية بالقضية، واندراج الأعيان الجزئيَّة في الإحاطات الكلية.

هذا والأمر محكم، والسر أعظم، والعزم مُبرم، والعقد مُنظم لا يفك له ختام، ولا يحل له نظام، وإنما هي تبدُّل أحكام بأحكام عند كل نهايةٍ وتمامٍ وفتحٍ وختامٍ إلى أن يتحقَّق القيام بجمع الأنام والسَّلام.

إحكامٌ وإبرامٌ

لما ظهرت هذه اللبسة التلبيسية والنبذة الشيطانية الإبليسيَّة، أفسدت أحكام الوضع بأحكام الطبع، ونسخت آيات الحق ببهتان الخلق، فعرجت النفوس المقدَّسة من حيث أبتْ مخالطة النفوس المدنَّسة وخلا الزمان من أعيان الإحسان، وتجرَّدت الأشباح من أرواح العرفان، وبما كان ذلك البدن الذي نجا من الغَرق، وانفكَّ من عقال المهَالك، وانطلق قد أحكمت فيه أرواح العناد قواعدها، وأنفس التكبر مواضعَها ومعاهدَها واستبدَّت بظلَم الظلْم أقويتها مقاصدها، أبى إلا الظهور بحكم الفُجور، فبدا عند تبدُّل الصور وقال: أنا بخت نصَّر.

تصريحٌ وتلوحٌ

وبما عظُم ظلَمه بحيث طَمست آثار الإيثار، وهَدَّمتْ صوامعَ منار الأنوار، وأكفأ محابر طروس الأحبار، جَرت عليه سنَّة المسخ والنسخ والفسخ والرسخ، فتطوَّر في الأطوار السبعة لما كان من سرٍ تكرار الرجعة بعد الرجعة، وكان هذا موضع بيان السنن وإحكام اندراج الزمن في الزمن، وستظهر أحكام دقائق هذه الأحوال في مثالها بالمسيح الدجَّال فلمَّا تمكَّن هذا الغير بالعزَّة، تطلَّع بصر الغيرة من غيب الحضرة، فبعث على محو أثر الغير سُلطان الروح المكين في حجاب العزيز، طلعَ فجر الهُدى، وأسفر وجه الغيب من بعد الارتداء، وتنفَّس صبح الاقتداء، فتنفَّست أنفس الضلال، تنفُّس الصعداء، وأتى على القرية الخاوية على عروشها.

قال لسان: ﴿**أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى**﴾ [البقرة:260]، ﴿**أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ الله بَعْدَ مَوْتِهَا**﴾ [البقرة:259].

وكانت هذه المائة عام من أسرار الأحكام، وإسباغ الأنعام بموت الأجسام، وتخليص العقول من تشكيك الأوهام والإيهام، فلمَّا حضر من غيب تقرير مشاهدة أسرار التقدير وقد نظر فاعتبر.

وقال: ﴿**أَعْلَمُ أَنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [البقرة: 259]؛ وهذا من تكرار أسرار،

﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات:102]، ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً﴾ [لأعراف: 143]؛ وكل ذلك من سرِّ.

وقد ورد: «**وما كان لنفس أن ترى الله حتى الموت**»[1].

وكذلك: «**موتوا قبل أن تموتوا**»[2]، فما أخفى السر، وأعز الأمر، وأعظم القدر.

رقيقةٌ من حقيقةٍ

وبما كان حمار العزير حمارًا، جرت عليه سنَّة البعث والنشور، وكان من أسرار اطِّلاع الأنفس الحيوانيَّة والإحساسات البهيميَّة على ملكوت النون، وبما ثَمَّ من سرٍّ مصون، ثم تُبعث؛ لتخبر، وتبشِّر، وتنذر في آفاقها وأفلاكها وأنواعها وأجناسها كل ذلك من حكمة النشر والطي.

قال تعالى: ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ**﴾ [الأنعام:38]؛ وليكون حمار الدجَّال مَركب العدوان، ويتقابل كل زمانٍ بزمان من المعدن والنبات والحيوان والإنسان بأنواع الفجور والعرفان.

تفويض وتعويض

وبما ظَهرت العينُ السليمانيَّة في حضرة جمع الأرباب الكونيَّة والأفلاك الأربعة الطِّباع البسائط الكليَّة، حَشرت إليه الأرباب جنودَها، وأحكمت له عقودَها وعهودها، وانتهى فيه بل له، بل به وجودُها، بل سجودُها ووعدها ووعيدها؛ فهو يومُ حشرهم المشهود وعرشُ ربهم المعبود له سجد في آدم، منهم: الساجدون، ولمسمَّاه سخَّر حقائقَهم المسخَّرون.

قال تعالى: ﴿**وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالأَنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ**﴾ [النمل:17]، وبما مرَّ على وادي النمل؛ حيث اجتمع منهم الشمل وهو فتح رقيقة من عالم تصويره وحقائق تدوينه وتسطيره؛ فلأنه تتواضع عند تجلِّي الحق صور متكبرة الخلق وليشهد في مرآته الكلية بحكم هذا الحال، يحشر المتكبِّرون كأمثال الذرِّ في صور الرجال يغشاهم الذل، وتطؤهم الأقدار قد أحاط بهم الويل والثبور.

قال تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ**﴾

---

(1) لم أقف عليه.

(2) ذكره العجلوني في كشف الخفا (384/2)، والقاري في المصنوع (198/1).

لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل:18].

واعلم أن الجسد الذي أُلقي على الكرسي لإتمام الحكمة هو البدن الذي نجَّاه الله من غرق اليمّ، وهذه كانت نهاية الجبابرة في عزلهم من مملكة الآخرة.

وقال لسان الامتنان في موضع إجابة السؤال: لأوفينَّ عبدي عهدي؛ حيث قال: **﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾** [ص:35].

وبما كانت مقدِّمات هذا المهاد المُلكي، وفاتحة هذا النظام المَلكي نهاية الخلافة الآدمية الأرضية في نهاية العين الداوودية، ومجمع أسمائه السماوية، وعماله الملكوتية بحيث سُخِّر له ما كان منه بالعينيَّة والمثْلية في التصورات التنزُّيلية لأحكام التقدير والتدبير في تطوير التصوير بالتسخير، ولم يكن إلا هو لا غير.

قال تعالى: **﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾** [الأنبياء:79]، وبما كان **﴿نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾** [ص:21] من سرِّ نهاية الأحقاب وتمام دولة الأرباب، وليتبصر أولو الألباب.

تعبيرٌ وتقريرٌ

وبما كان خصم الملأ الأعلى في الملكوت الأجلي، والجبروت الأعز الأقوى متنزِّلاً في لطائف التصوير وبطائن التدوير والتكوير، منتهيًا في كل زمانٍ بالإعلان في كُمَّل الأعيان كإسحاق وإسماعيل في افتراق الأسماء.

قال تعالى: **﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾** [الاسراء:110]، فكل روح قوي ووليّ ومولى، يتحقَّق بما فيه من أسماءٍ عُلا، وصفاتٍ نُهى، ويتنزل في أسمائه الدُّنا، ويتحجَّب في أكنة الكُنى حتى إلى الخضر وموسى، وإلى ما يَحفظ ويَنسى ويَظهر ويَخفى إلى تسور الخصم المحراب، وتجريد هذين السيفين من هذا القراب، ويظهر الحق بالتحقيق في كل دور مسالكه.

وقد ورد: «**وما منكم من أحدٍ إلا وقد وكِّل به قرينه من الجن والملائكة**»[1]، ولَمَّا كانت الأسماء الجوامع في شموس أفلاكها الطوالع، وأقمارها الكمَّل اللوامع تسعة وتسعين للرحمانيات والإلهيات عددٍ كعدد وواحد كأحد، وما من اسمٍ من هذه الأسماء إلا وله عرش وفرش وحول وقوة وبطش، غير أن الجلالة باطنة بسرٍّ مسرور، والرحمانية معينة في إعلانٍ وظهور.

---

(1) رواه مسلم (2168/4)، وأحمد (385/1).

فهذا واحدٌ في آحاد توحُداته، فالرحمن متبارك في تجلّيه مشهود معبود، وذو الجلالة في غيوب أحدية وحدانيته موجودٌ مفقود، فلا أعلن وأظهر وأبين، ولا أخفى وأسرَّ وأمكن، وكانت النعاج عبارة عن هذا النتاج، وتكثير من هذا السراج الوهَّاج، وكانت النعجة الواحدة في العين مع كثرتها في الغين؛ خارجة عن العدِ والحدِّ، متنزِّهة في باطن وجودها عن قبول القبول والردِ، متقدِّسة في قُدس غيوبها عن تعيين الضد والنِدِ، فلمَّا أراد الواحد الكثير إضافة أحد الوحدانية إلى واحد آحاد، وجَمْعَ حقيقة التكثير في الوحدة بالغيب إلى أعيان أعداده، فأبت بطون الغيرة لا بشهود غيْرَة جمعَ الكثرة في الأحد مع الواحد في الكثرة، فتخاصما إلى الوسط المختار، والقائم بدوائر الأنوار والأسرار، وهو الخليفة الحاكم والعلم العالِم، وكان بالتدرُّج النشئي والحُكم الثقلَي في المهاد الفرشي مندرجًا في الحجاب المحيط العرشي، باطنًا بذاته وصفاته، متنزِّلاً بأسمائه وأفعاله، وكان هذا سببًا في ضعف القوى، ثم تبيَّن نبأ خصم المحراب، فخرَّ كما خرَّ موسى، وتردَّد الحكم وانثنى؛ حيث قال تعالى: ﴿**قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**﴾ [النمل:40].

وكان هذا العرش الذي جاء به العالم وقد أضيف لمستوى التأنيث؛ كالجسد الذي أُلقي على الكرسي، وهي في التي راودت فتاها وسفرت له عن محياها.

وكان في سليمان عزل استواء النفس الأرضية والبسيطة المنعكسة الرضيَّة، فآمنت مع سليمان عند انتهاء هذه القضية، وكان الطير الذي جاء بالنبأ اليقين؛ متعيّنا في موضع، و﴿**أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ**﴾ [آل عمران:49].

وبأي لسان أشار به حيث قال: ﴿**أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ**﴾ [النمل:22]؛ لإنكاره سجود الساجد؛ لأنه من الأقوياء الذين قالوا: ﴿**لا أُحِبُّ الآفِلِينَ**﴾ [الأنعام:76].

ويتبيَّن تحقيق هذا التنظير في موضع: ﴿**يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [البقرة:260].

وقال سليمان وهو في مهاد بساطه ونظام أملاكه وأنماطه: ﴿**وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ**﴾ [النمل:19].

انقضت تلك الدورة في هذا العين، وتَمَّت تلك الكرَّة في الأين، وانتظم ملكه الأقوى في الأرض والسماء، ودخل بنفسه المطمئنة المرضية في جنة الله وعباده، والحمد لله على إسعاده، فما بين آدم إلى نوح النحو المقدَّم المشروح، كان لهم ذلك

زمان دنيا، وعصر أولى وموضع ابتلاءٍ وبلوى، وهذا لهم يوم أخرى ودار قرار في جنة نعيم، أو في الأخرى فانتهت هنا قضاياهم في نظام عالم الخلق.

قال تعالى: ﴿**هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ**﴾ [يونس:30].

إخراجٌ من إيلاجٍ

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله حاشر الأمم، ومُحيي الرمم، وموجد الموجودات بعد العدم، وناصب أعلام العِلم للعَالِم على كل عَلَمٍ، ومُنَوِّر غياهب الظلَم بأشعة شموس الفتح المبين لبصائر أبصار أهل اليقين، مكمِّل الدوائر بالدوائر، ومحقق البواطن بالظواهر ومتمِّم الأوائل بالأواخر، فلكل سابقة لاحقة، ولكل راتقة فاتقة، كما أن لكل فاتقة راتقة فلا بد لكل نبأ من استقرار ودار إليها يُدار، وقرار إليه ينتهي الاستقرار.

وبعد...

فبما انتظم من نظام عِقد ثمين، وتَمَّ من مهادٍ سرير سرٌّ مكين، وانشرح من إيضاح نور فتح مبين، وانطوى في بساط مُلك سليمان من أنبياء وصدِّيقين وشهداء وصالحين وغير ذلك من الخلق أجمعين.

قال تعالى: ﴿**كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللهِ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ**﴾ [النور:41] وإبهامه وتوضيحه من أعلى عليين إلى أسفل سافلين على سنَّة الحشر والنشر والجمع والقصر لا على سنة النسخ والفسخ.

قال تعالى: ﴿**وَاللهِ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ**﴾ [الأحزاب: 4].

وقال: ﴿**وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً**﴾ [الإسراء: 85]، ثم طلعت شمس الإشراق من مشرق حكمة الخلاَّق، وتعيَّنت في عين العين، واتَّحد الواحد بالاثنين بتعيين القرنين في قرني ذي القرنين، وبما كان القرن جامع صُور الصوَر، وكل أنجاش أرواح البشر وغير البشر، وكان النفخ في قرنَي الصور أحدهما للموت والإعدام، والآخر للبعث والنشور، وبما أحكم السد المسدود حتى إلى اليوم الموعود.

قال تعالى: ﴿**يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ**﴾ [هود: 103]، كان الفعل الخارج والحكم الناسخ مثلاً مضروبًا، وعَلَمًا منصوبًا على سرٍّ مكتوم، تحت ختام القوة والحول مطبوع مختوم.

قال تعالى: ﴿**فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً**﴾ [الكهف:98]،

وكما دكَّ جبلة جبل الطور، يدك سدِّ صورة هذا الصُّور ويبرز ﴿**يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ**﴾ [الأنبياء:96]، ويكون ذلك في جمعة جمع الساعات، وصورة فرقان تعيين الآيات.

تلطيف وتشريف

وبما قال يوسف عليه السلام: ﴿**اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾ [يوسف: 55]؛ ولأن القلب بيت الرب، وكانت صورة يوسف خلعة الجمال والتجميل، وحلة البهاء والتكميل؛ أفرغت على كل بيتٍ من البيوت الربَّانية وخزانة من الخزائن الإلهية، ومصداق هذا المقال: «**إن الله جميل يحب الجمال**»[1].

وكان التمكين في الأرض من حيثية هذا الفرض إلى يوم النشور والعرض، وجرت سنَّة القِرآن بالاتحاد والحلول بالموصول والمفصول في المردود والمقبول، وبما كان هذا الثوب هو العين المعبود له وقع الخضوع والسجود.

قال تعالى: ﴿**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ*فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ*إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ**﴾ [ص:72، 73، 74]، فحيث ما تعين في ظهوره بحكم حشره ونشوره، أسجدَ له الساجدين، وسخَّر له مَن في السموات ومَن في الأرض أجمعين، فلمَّا ظهر ذو القرنين بتعيين هذا العين، جُمعت له رؤساء الأرباب، وسُلِّم له زمام الأسباب، ففتح الأسداد والمغالق، واتَّبعَ أسباب المغارب والمشارق؛ وبهذا الكشف المبين اطَّلع على سرِّ ﴿**لا أُحِبُّ الآفِلِينَ**﴾ [الأنعام:76].

وتجنَّدت له جنود الظلَم والأنوار من سرِّ «**يا آدم أخرِجْ بَعْثَ النار**»[2]، فأخرجَ وسدَّ وقبِل وَرَدَّ، فكان تحت هذا الدرج المدروج، أرجو أن يكون واحدًا منكم وتسعة وتسعين من يأجوج ومأجوج، فهم تحت أطباق أفلاك الأرض إلى يوم النشور والعرض؛ ولأن السد من حديدٍ وقطران تحقيق هذا البيان ﴿**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالأَنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلا بِسُلْطَانٍ**﴾ [الرحمن:33].

ثم تنزَّلت له الأرواح السماويَّة بما فيها، والأقوية العلويَّة بما يليها، والذي اتَّبعه موسى ولم يستطع هُوَ له هاهنا متَّبع ومنه مستمعٍ، فكان له في طلب مَعِين العين مُعينًا

---

(1) رواه مسلم (93/1)، وأحمد (399/1).

(2) رواه البخاري (1221/3)، ومسلم (201/1).

وعلى كشفِ غطاء سرِّها أمينًا، ولكن بقاء بقية الأواني يُوجب لِكَليم كَلِم المعاني:

﴿لَنْ تَرَانِي﴾ [الأعراف:143] حتى إلى قاب قوسين، ومحوَ نقطة غين العين، فالسرُّ لا مدروك ولا متروك حتى ينقض جدر جدار الخضر وموسى عن أسرار كنوز اليتيمين بمحمد وعيسى.

تبيين وتعيين

وبما كان فتق الرتق ظاهر سنَّة خلق الخلق؛ وهو في نظام قوة الحيوان بما تَمَّ من تعيين أعيان وتحديد زمان ومكان وجو وهواء وأرض وسماء، وغير ذلك مما لا يُعد ولا يُحصى، كما يشهد النائم في منامه، والمتكلِّم السامع في نظام سماعه وكلامه، وهو ما شهده الشاهد في ذات العود الذي هو في سدٍّ مسدود، ولقد فتقت له الحيوان بالقوى أرضًا وسماءً وجوًّا وهواءً وغُلا وأعيان خلق ملا، ولو لم يكن كذا لما تنسَّمت نسمات الهواء، ولتقطَّعت عنه مادة الحياء، وبما كانت المشاعر الستة أيامها الستة؛ وهي محل تفصيل تجميلها، وموضع تعليلها وتعديدها وتكثيرها وتقليلها، وكان برزخها الدنيوي في ظاهر عينها الحيواني بما تَمَّ من تسبيحات جانيَّات وملكيَّات وشيطانيَّات وإنسانيَّات وتبعيَّات ونُبويَّات إلى غير ذلك من التكثيرات في التصويرات.

وبما قال سليمان: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لأحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [ص:35]؛ وهو مُلك هذا البرزخ الجاني، وبطانة هذا الأرض الجسماني، ولما حشر إليه ﴿جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل:17] من كل بَنَّاءٍ وغواصٍ، ﴿وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ﴾ [ص:38] على نحو ما تجرَّدوا عليه من أجساد سُنَّة كسُنَّة، وحكمة كحكمة، فكل حاكمٍ في هذا البرزخ الدنيا، وذو سطوة أشد وأقوى؛ هو خلعة من خلع سلطانه، وخليفة من خلفاء أعيانه.

واعلم أن السدّ المنصوب لذي القرنين بالصورة والشكل والعين، كان طلسمًا من طلاسم الحكمة، وإحكام وضع لتمام النعمة، ولولاه لأفسد ما في البرزخيات ما هو أعيان هذه الدنياويات الظاهريات من المعدنيات والنباتيات والحيوانيات؛ ولأنه إذا أزال حكمه المضروب وعلمه المنصوب؛ ورثه الموزون إذا: ﴿هُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ [الأنبياء:96].

واعلم أن آدم وإبراهيم أبدًا في طرفي الحلقة عند الدور والانعقاد والنشر والقيام والمعاد، وآدم في السماء الدنيا، وإبراهيم في السابعة من الطباق العلا، وكذلك في كل عودٍ وابتداء، وأوليَّة، وانتهاءٍ فإلى الإبراهيميَّات تنتهي الغايات الآدميات؛ فهو ثمرة

شجرته وقصارى غاية نتيجته؛ وهو سابع سبعته، وجامع جمعته كذلك في جمعة السبعة بحكم الرجعة بعد الرجعة، وفي زمان ذي القرنين حُشرت النُوحيَّات في الإبراهيميَّات كالآدميَّات بالنُوحيَّات في السُليمانيَّات، بما تَمَّ من أسماء سماويات، وأعلام ملكيات عُلويَّات، فمُلك سليمان في بطانة السماء الزرقاء التي هي سماء الأرض السوداء، وذو القرنين ملكه الأقوى وسلطانه الأشد الأحوى في بطانة الأرض الخضراء؛ وهو آدم وقته، وينتهي إلى إبراهيم من حيث هذه الآدمية كالسُليمانيَّات في بطانة سماء الحمراء التي هي سماء الخضراء سُنَّة كسُنَّة وحكمة كحكمة، ففي كل دورٍ آدم بنوح في إبراهيم بداية وتوسط ونهاية، ولما تَمَّت هاتان الدورتان، وكملت هاتان الخلافتان البرزخيَّتان؛ تتنزَّل روح الكلمة بنظام تتمة الحكمة، وكان فتح هذا الختام والسلام.

وما من زمانٍ من هذه الأزمان، وعينٍ من هذه الأعيان إلا وله أسماؤه الحسنى وصفاته العُلا من كل وجه أنزه أضوى من أرسال وأنبياء وعُلماء وأولياء كلُّهم نجوم آفاقه، وشموس مشارق إشراقه، ومعاهد خلاقه بأخلاقه فلكل عِلمٍ أعلام، ولكل يوم جمعة إعلام.

* * *

أنواع في إجماع

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله فاصل الواحد في التربيع، وفاتق التربيع في التسبيع ومُنزل التسبيع في التثليث، ومدور التثليث بالتثليث في التثليث، وناظم التثليث في التفريد بالتثليث، وجامع تثليث الإفراد في الفرد بواحد العدد وعينه من غير والدٍ وولد، وجعله سادس الأيام بحكم الفتق في المشاعر الحسيَّات التمام، وهو مؤلف آلاف الستة بحكم ظواهر السنة، وتاسع أربعين ألف في البرزخ الدنيا وقرارها الأقر الأحوى، وكان ظهارة الأرض البيضاء التي يقال لسمائها الصفراء،وهي الغاية القصوى من سدرة المنتهى ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ [النجم:15]، وكان الذي يغشى السدرة، ثم يغشى النور الأجلى والإحاطة الكبرى والسرَّ الأخفى.

قال تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ [طه:6].

وقال: ﴿الله لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه:8].

وقال: ﴿تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى*الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 4، 5] تبارك ربنا وتعالى.

وبعد....

فإنه لما انتظم زمان القرنين بما انتظم من واحد في اثنين، وقد خَتم فيه على الكذب والمين والفساد العارض في العين، ولم يبقَ إلا المنظور بالوعيد إلى يوم الوعيد، وحُشرت الأشباح في الأشباح، وترقَّت الأرواح إلى الأرواح، وتنزَّلت الكلمة التمام في باطن هذا الختام، وانفهق التجلِّي الحق في مظاهر تخلُّقات الخلق؛ فتبادرت البشائر، وورد كل صادرٍ، وتنبَّه كل دليلٍ حائر، وفُكَّت الختامات عن الذخائر، وحُدِّقت الأحداق، وتطاولت الأعناق إلى ما تَمَّ من آفاقٍ ووفاق.

* * *

رموز ولغز

وبما قالت امرأة عمران: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [آل عمران:35]؛ ولأنه إذا جرى التحقيق بالتطبيق، فُكَّ الختام على ما ثَمَّ من معنى عميق، وذلك أن موسى بن عمران كانت أمه امرأة عمران ممن أُوحي إليها بحكم القرآن في باطن القرآن: ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ [طه:39]، فقذفته في اليمّ إلى تمام النظم، وكان التابوت بالحكمة السفينيَّة بالانتقالات البرزخيَّة نُقلت من الأَبية إلى الأُمية، كما انتقلت من الأُمية إلى الأَبية، فيتأنَّث التذكير ويتذكَّر التأنيث، كما تثلَّث التفريد، وتفرَّد التثليث.

فعلى هذا تكون مريم الكلمة بتحقيق: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾ [النساء: 164] ويكون سرّي هو الروح، وحبة نتاجه على هذا الوضح الموضوح والشرح المشروح، وكما كانت حواء عن آدم كذلك آدم عن حواء، وانختم دور الدنيا، وكان في يحيى الإحياء تربيع المستوى الأسنى، وهو الذي دلَّ على عين الحياء.

والصاحب الذي قال: ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً﴾ [الكهف:67]، وكذلك في الأولى والأخرى، وإنما هي تبديل الأسماء بأسماء أعز وأحمى، وتجلِّي صفات أعلى على سبحات أبسط وأقوى، وكما كان يكون، وكما قال يقول: لا تبديل لكلماته، ولا تغيير لأسمائه ومسمَّياته، واستقرَّ قرار عيسى بالتقدير النبوي، والتطبيق الولائي التَّبعي بالخضر وإدريس، وفي يحيى بالصحابي النبوي، والولي الولائي بالخضر وإلياس.

واعلم أن الأصل في القِرآن بالمعيَّة من حيث العين الكليَّة في الوفاق بالكشف، والبيان في العيان بالأعيان، وبالتلبيس والتدليس فيهما الأول، والثاني بجبريل وإبليس، والقرآن بالتطبيق في التحقيق والتخليق.

قال تعالى: ﴿**وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي**﴾ [ص:72].

وقوله ﷺ: «**خلق الله آدم على صورته**»[1][2].

تحقيق وتنميق

وبما كان روح القُدس الأحمدي آدمُ أرواح الروحُ المحمدي، فما من روح روحاني وكلمة اسم إلهي أو ربَّاني إلا وهو في باطن هذا الروح الروحاني، والكلمة القائمة بجميع المعاني وما ظهر منها، وتعين في عين الغيب، أو غيب العين بالواحد والاثنين؛ فهو نجل لأبيته، أو نسل من صلبيته، أو ثمرة لشجرته، أو نواة من ثمرته، وبما انتهت في هذا الزمان السادس ألف تنزلاته الروحانية في القوالب العينية من الأمية عن الأبية إلى الأبية عن الأمية تنزُّل في شاكلته السويَّة، وصورته الرحمانية، وخطَّته الألفية إلى كلمته البائية المتنزلَّة عن ضلعه، الأقصرية في السابقة الآدمية.

وكانت الاستعاذة بالرحمانية تنبيهًا على موضع الأسرار الخفية، ولتتأنَّس تلك الوحشية العارضة في التطويرات الثقلية، فلمَّا كشف لها عن القناع في موضع حضرة سماع.

قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ**﴾ [مريم:19]، وكان الرسول زيادة في استئناس تحقيق البتول وتحقيق: ﴿**إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ**﴾ [طه:12] فخلعتْ وخلع، ﴿**وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا**﴾ [التحريم:12].

فالتحم الأمر واجتمع، وحنَّ إلى الأصل ما منه تفرع، وهو ما قالوه: إن مريم ابنة عمران تكون زوجًا لمحمد ﷺ في دار القرار والأمان، فمَن فهم الخطاب؛ كان من أولي

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) قال سيدي محمد وفا: صبغة الله هي الجمال الذي يحبه الله، «خلق الله آدم على صورته».

وهي صورة مطابقة لواضعها، وكل موضوعٍ في صبغة واضعه، فمن نفخ فيه الملك كانت صبغته ملكية، من أي فلكٍ كان أو أفق، ومن كانت نفخته ربَّانية كانت صبغته كذلك، من أي حضرةٍ كانت، ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ [الإسراء:84]، وهي الدين الحقيقة، والصبغة الأولى، والتخلق السابق، وصبغة الله للأوراح كالكبريت الأحمر للأجسام المعدنية، الذي أحسن كل شيءٍ خلقه، وبدا خلق الإنسان من طينٍ.

الألباب.

فلمَّا حملت الكلمة بالروح؛ وجدت أعباء الأثقال كما نطق التنزيل، وقال: ﴿**لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ**﴾ [الحشر:21]، وبما أن اندكَّ الجبل، وتقطَّع بما ثم من سرِّ مودع وأمر مخترع مبدع، وبما جاءها المخاض إلى جذع النخلة؛ كانت شجرة الأكل وأعواد المحمول والحامل وتابوت النجاة وشجرة الإيواء، وموضع سماع: ﴿**إِنِّي أَنَا**﴾ [طه:12] وجذوع الصلب، ومقعد مخاض أم الأب، وبحكم هذه المطابقة؛ كان من الجذع الحنين عند المفارقة، وكان السرُّ السرياني في عين الحياة الأعيان والمعاني، وهو مطلوب ذي القرنين لِما طلب العين، وفيه اتخذ حوت موسى، ويوشع سبيله عند صخرته جعل الخضر مقيله.

مقابلة ومماثلة

وبما كان القلم واحد العدد، وحامل كيفيات المدد؛ كان ضلعه الموضوع، وسمع صريفه المسموع قابلاً في أقوية عشرة.

قال تعالى: ﴿**صُحُفاً مُنَشَّرَةً**﴾ [المدثر:52]، وقوله تعالى: ﴿**بِأَيْدِي سَفَرَةٍ*كِرَامٍ بَرَرَةٍ**﴾ [عبس:15، 16]، وكان القلم فيَّاضًا عليه بالقوى والفعل، وهو قابل عنه بالمفعولية والطوع، كانت حكمة هذا التنزيل، وسُنَّة هذا التفصيل محكمة بالتجميل، منفصلة بالتمثيل، متكثِّرة بالتخييل والتعليل، وكانت من سُنَّة الصحابيات، والكرائم الأمهات التبعيات ألواح الفرقان، وصحائف قرآن الأعيان؛ وهي نهاية العدد، وأصل تكثُّر المدد في الأدوار بالتكرار.

واعلم أن هذا القلم المذكور، والعين النيِّر المشهور هو حجاب حضرة البهاء، ونور عين غيب حضرة العلا؛ وهو الوتر والشفع بالنظر إلى التلقِّي من أعلاه، والإفاضة على أدناه؛ وهو الفجر الطالع، والنور اللامع في لياليه العشر المتضمنة في أفق قابلته السميع الطائع المنشرح الواسع، فلا أخفى من تلقيه، ولا أجلى من التقائه في دنوِّه وتدلِّيه، فكواكب يوسف وإخوته وأبواه، وشمسه وقمره، وأسباط موسى، وما تفجَّر به حَجره والحوَّاريون، وأصحاب الشجرة كلها من أسرار الشفع والوتر، والليالي العشر، وبما تمَّ الوحي للحواريين في معرض التبيين بالقرآن في التعيين.

قال تعالى: ﴿**أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي**﴾ [المائدة:111]، ولقد ذمَّ الله الذين فرَّقوا بين الله ورسله ولن تفترق، «لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله» أبدًا، وإنما تظهر في المدد

بالمدد بحكم الواحد في مراتب العدد؛ حتى يرجع الواحد إلى الأحد، وينتظم سلك الفرق ويتَّحد.

واعلم أن هذه المائدة التي سُئلت، وكانت عيدًا حين تنزَّلت كانت النون الذي التقم ذا النون؛ ولأنه أول طعام يطعمونه أهل الجنة زيادة كبد النون؛ ولأنه المداد القلمي في كل تعيين علمي، وبما كان استقرار القلم في هذا العلم، وتجلِّي حكمه الروحاني في هذا الثوب المعلَّم؛ خلقَ وأحيا، وأشفى وأبرأ، وارتفع إلى ملئه الأعلى عند انتهاء القول بالقوي، وسيتبيَّن السرُّ الأخفى، والنور الأجلى عند نزوله في المقدمة الأخرى حين تُنسف الجبال، وتُمدُّ الأرض مدَّ الديم، ويكون من تضاعف البركات والتكليم، وتفضُّ الختامات، وتتعيَّن الكرامات، وتحقُّ الولايات ويكون ثم ما يكون.

قال تعالى: ﴿**إِلَى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأنعام:108]، وهنا انتهت أسفار السفر، وانعقدت دائرة الدور، وتمَّ التأسيس والتأصيل سلك التفصيل بالتجميل، قال تعالى: ﴿**وَعَلَى الله قَصْدُ السَّبِيلِ**﴾ [النحل:9].

شقُّ أسماع آذان عن إسماع الأذان

ولمَّا انتظمت حكمة الأكوان، وانقضت قضية الإمكان، وانشقَّت سموات الإنسان عن وجه الرحمن، وارتفع كمَهُ الكيف والأين عن إنسان بصر العينين، وانفضَّ طابع الطبع عن أسماع السامعين بما انفكَّ عن لسان الإحسان؛ خاتم الإفك والمين، وانكشف غشاء غشاوه الران والرين عن قلب الهْين واللْين لِما تقلَّب بين الإصبعين، وانخلع نعل النعلين عن القدمين، فقالت شجرة المنتهى: مَن نبقه عندها بلسان الألف واللام والهاء: ﴿**أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا**﴾ [النمل:8]، وقد تعيَّن الكُنى ﴿**إِنَّنِي أَنَا**﴾ [طه:14].

وانكشف الغطاء، وزال الخَطأ، وفَتح مفتاح الحمد خزائن العطاء، وقد استتر كل كوكب معبود، وقمر أفق معهود تحت أنوار أشعة شمس الشهود، وخطب الإمام الأكبر الصادق، وقد أشرف من شُرفات مِنبره الناطق، وأعلن بالأذان على صومعة الحقائق؛ فأسمع من غيب خالق الخلائق هلمُّوا على حيطة جامع الجمعة، وسابع السبعة، واحضروا ساعة الإجابة مَن فتح باب الإنابة، فقد فتح الواحد بابه، ورفع الباطن حجابه، وأعربَ الخطيب خطابه، ووضع ميزانه، ونشر كتابه، ونصب في أيام السبعة حجابه، ووفَّى الحسيب كل حاسب حسابه، فأفاض على الحي من روح حياته، وعلى المتكلِّم من مصداق كلماته، وعلى المريد من تخصيصات إرادته، وعلى السميع من تفصيل

أحكام تنزُّلاته، وعلى البصير من انفهاق جمال جلال تجليَّاته، وعلى القادر من عجائب اختراع مبدعاته، وعلى العليم من غوامض دقائق حقائق إحاطاته.

ثم نثر نثار أفعاله على عامة عُماله، ووسَمَ بسيماء أسمائه خواص تخصيصاته في أرضه وسمائه، وتجلَّى على جامع جوامع أعيانه في حيطة عرش إنسانه في رحيمة برحمانه، فقال في جامع جمع الإجماع: الحمد لله جامع جوامع الإجماع، وفاتق كَمه الأبصار والأسماع، ومُطلع شموس نفوس نفائس العرفان من مطالع الإطلاع، وواضع أوضاع أساس الإنسان على أحكام قواعد العرفان، ومحقق حقائق الاستواء عند نهاية النُّهى، جَمعَ في جامع حيطة الإمكان جوامع أعيان الأكوان، ونصب منبر عرش الإنسان على أعلى مشاهد العرفان، وأعلن مؤذِّن الأذان من صميم صمم أسماع الآذان.

فأجاب وجوب الداعي كل روحاني مصيخ وأعمى، وحضر إلى مشهد الإشهاد كل غائب في غيب واحد الآحاد، وتجلَّى كل سميع مجيب في أنزه لباس، وأقدس جمال وطيب، وخلت البيوت من أربابها، وتداعت المنازل بخرابها، وأذَّن مؤذِّن الزوال بمجمع النساء والرجال، وخرج الإمام من حجرة حَجر القلب السليم، وتجلَّى بنظامه القديم في مرآة بسم الله الرحمن الرحيم، واستوى على عرشه المحيط العليم في حجاب سُرداقه الأطلس البهيم، وارتقى في مدارج ذي المعارج من مِنبره الناطق.

قال بلسانه الصادق الفاتق، وقد صغت الأسماع: ﴿وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ [طه:108]: الحمد لله، وله لواء الحمد، حاصر حيطتي القبل والبعد، وحاصر آحاد الجمع والعدِّ، محقق الدهر في الزمن الفرد، وحيطة العين في النقطة الفرد، أقام وجوده عدمه؛ فغاب عن درك إدراك بصيرة البصائر، وتجلَّى في نقطة زمان دهره؛ فتمنَّع عن مدة المدد في مَدد الأول والآخر، فانتقلت إذ ذاك عن وجه وجاهته الجهات، وثبتت بهويته لا ماهية ذات ذاتيته ذوات الصفات، تجلَّى واحده من غيب الأحد؛ فأظهر مراتب العدد؛ فكثَّر وعدَّد، وحجب وأشهد، وقرَّب وأبعد، وأزَّل وفرَّق وأفرد، وعدَّد وكثَّر، وأحيا فأوجد وصوَّر، وأمات فأعدم وأقبر، ثم إذا شاء حشر وأنشر.

والحمد لله قيُّوم حيطة إحاطاته الذاتية التي ما تفصَّلت من كلية، ولا تكثَّرت في كمية، ولا توحَّدت في عددية، وما انحصرت في قبلية ولا بعدية، ولا استولى عليها أزلية ولا أبدية، ولا قيَّدها إطلاق الأحدية والوحدانية، ولا ميَّزها تمييز الواحد بالفردانية، ما تقدَّمت فيعظِّمها القِدم، ولا تأخَّرت فيحقِّرها سابق العدم، ولا تصوَّرت فيكيفها، وهم العقل المتهم؛ الدهر والخلاء، والوجود والعدم، فرض في خيال الوهم

متهم، وحق في حقائق علمه أوضح من نار على علم.

كلمات ذاته الإحاطية كثرة بلا عدد، ومَدد بلا مُدد، ظهرت بالواحد، وبطنت بالأحد، جوهر عين عرشه المحيط فرد لا ينقسم، كائن في كون الماء الدافق بجواذب دوافع قوة الهواء، وبأحكام مُحكمات الحكمة ملتئم، فقام في أعماق أطباق الهواء، وقد أُسلبت عليه سُرادقات غياهب غيبوبية العماء، فأبدع بسرِّ القدرة والقوى فتقًا في رتق الهواء أرضًا وسماءً، وسُفلاً وعُلاً في ستة أيام سواء، ثم أوحى وقدَّر، وخلق وصوَّر، وفلَّك ودوَّر، واخترع وأبدع، ومهَّد ووسَّع؛ فاستوى إلى السماء والعرش الأرفع، وخلع كُلاً وما انخلع، ثم جمع وجمَّع؛ فاستخلف وأودع، وأسجد الأشهاد في مشهد جامعه الأجمع، فله القدرة القائمة، والحياة الدائمة، والرحمة الواسعة، والأقلام الناطقة، والألواح السامعة، والحيطة الجامعة، وتمّت كلماته، وتوحَّدت ذواته، وأحاطت صفاته.

قال تعالى: ﴿**فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**﴾ [الإسراء:110].

وله الحمد والثناء في الآخرة والأولى، ثُم تشَّهدَ ووحَّد، وتنزَّل إلى مهاد الأمهد، وأمَّ بالأشهاد في جامع المشهد، فانصرف الأشهاد من عيده الجمعة بحقائق خلعه السبعة، فكم أودع سرًّا إلهيًّا، وأسبغ فيضًا ربَّانيًّا، وأسبل سترًا رحمانيًّا؟ فحقق الصور والمعاني بالسبع المثاني، وضُربت البشائر والتهاني في مباني الأواني، وأواني المباني من الواحد والثاني إلى ثامن المثاني، فهناك تُرفع ساعة الإجابة، ويُغلق باب الإنابة، وتُلتمس الوقعة من يوم الجمعة، ويتعيَّن عيد السبت والأحد، ويأتي الصادق فيما وعد، وتنفد المُدد بحسم مادة المدد، ويتولَّى كل ولي مَن يليه، ويختم على كل قلب بما فيه.

أصل أصول التأصيل والتحصيل وجملة جمل الإجمال في التوصيل بالتفصيل ورفع علة علل التعليل في التفسير والتأويل

ولمَّا ثبت الخبر بنفي الفكر عمَّا لا تُحصِّله قوة البشر، ولا يتصوَّره تصوُّر صحيح النظر، ولا تتجلَّى حقائق رقائق صور معارفه في مرآة راءٍ مما رآه مما غير خلائفه.

قال خليفة خلفاء مملكة قدرته: ﴿**وَمَا قَدَرُوا الله حَقَّ قَدْرِهِ**﴾ [الأنعام:91].

ومنه: فما خطر بخاطر، فالله ﷻ بخلافه، ثم جعل نهاية أقدام النُّهى إلى غاية درك الأولى؛ فتحقق الولاء، وانبسطت القوى.

وقال لسان حضرة العلا: ﴿**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى**﴾ [الأعلى:1]، فكان ممَن شهد من عُدم، فعلمَ بفرض استدراج الكلم في حيطة نظام القدم، وجود وعدم، ودهر وخلا،

وسر مُكتتم.

فالوجود ذات لا تُجحد ولا تُنفد، والعدم ذات لا تُدرك ولا تُقصد، والدهر زمان أزلي أبدي لا يفرغ ولا ينفد.

والخلاء هَويَّة هواء لا يملأه ملء ولا بفرض تعيين الأعيان في أعماق فضائه يسند حقائقها مفردات كل مدد، كالحق والباطل، والوهم والخيال، والغير والسوى، والسرِّ والجهر، والحقيقة والمجاز، والأُنس والوحشة إلى غير ذلك مما لا يقع عليه الاستقصاء، ولا يحصل منه الغرض الأقصى؛ وهذه الحقائق في التفصيل والتجميل قسمان: فاعلية، ومفعولية في الوجوب والإمكان.

وكانت الكلمات التامات بغير أول يلحظ؛ إلا بوجه توهم يفرض أول مراتب وجوبها وحضرات غيوبها، وإن كاتب إثباتها وسلوبها؛ وهي كلمات تكثَّرت وما تعدَّدت وتوحَّدت وما تحدَّدت، سبقت الزمان والمكان، والشخص والكيف، والعيان، فما حدثت ولا تجدَّدت، فصَّلت وفَتقتْ بالقدرة الذات، والحكمة الصفات، فأَزّلتْ وأَبدت، فكان مما فصَّلت في غيب العدم بالوجود من عالم القدرة المحقق المشهود الذي لا تدركه عين العيان، ولا يكيفه حصر الحدود، موجود حيث هو معدوم، مجهول حيث هو معلوم؛ بحيث كل كلمة على انفرادها، وتحقق أحكام أساس قواعد أوتادها أربعُ كلمات تامات، ذوات لأسماء وصفات وأرواح وتجليَّات.

فالكلمة الأولى: جلالة غيب في روح علمي ظاهرها نور تجلَّى صورة عالِمٍ كلى؛ فهذه الكلمة وروحها، وصورتها ذاتية ثابتة في نفي محض لا يكثره معلومة بالمعيَّة، ولا يعدده موجود بالكمية، ولا يُفقد ما وجدَه باستيلاء العدمية.

والكلمة الثانية: جلالة علم في روح حياة ظاهرها نور تجلَّى صورة حيٍ كلى؛ وهذه الكلمة وروحها وتجليها ذات صفات منفية في إثبات محض لا زوال لِما أُوجدت، ولا انتقال لِما أُثبتت، وجودها لا يُغايرها غيرها، ولا يشهدها إلا عينها ونورها.

والكلمة الثالثة: جلالة أسماء في روح عالِم نور، تُجليه صورة علم معلومه متغاير في كل متميّزٍ في أجزاء ماهيته لا هويته، تفصيلاً معنويًّا لا عينيًّا.

والكلمة الرابعة: جلالة أفعال في روح حي، نورٌ تُجليه نور حياة خلا عنه أمثالها بالمغايرة في اتِّحاد لا وحدة، فلمَّا تَمَّ تفصيل هذه الكلمة بالأسماء والأرواح والتجليَّات، وكانت الروح بيتًا لِما بطن بالجلالة، عرشًا لما ظهر بالتجلِّي حيث تعيَّن الإله؛ وهي منظومة بالأفعال والأسماء والصفات والذات.

وكل كلمة في تفصيل تثليثها بسبع صفات ذاتيات؛ فهي للجلالة بالذات لا بزيادة، وللروح بالزيادة، وفي التجلِّي بزيادة مثلية معينة؛ كنحو المثل المعلَّقة في حضرة ذات التجلِّي محققة، وهي في الأربع كلمات على نحو هذه الأحكام المحققات.

فهذه الكلمات وصفاتها وأسماؤها وتجليَّاتها؛ ألسنة أقلام وحروف؛ وهي كلام أم الكتاب المكنون في دقائق حقائق الألباب، المجعول فوق العرش المحيط عند ربِّ الأرباب.

وهي مفاتيح غيب الغيب التي لا يعلمها إلا هو، وهي الحياة والعلم والقدرة والإدارة والسمع والبصر والكلام، وهذه مفاتيح غيب اللاهوت، وآلاء أسرار الجبروت، ونظام عالم القدرة، وبها يحكم الحاكم أمره، وهي السبع المثاني تنثني بتكرار بسم الله الرحمن الرحيم في فواتح سور القرآن العظيم، وهي تتنوع بالبطون والظهور في فاتحة كل دور يدور، فتظهر تعيينًا مع سور أمهات الآيات المحكمات، وتبطن تضمَّنا في سور الآيات المتشابهات، فلا أنور من ظهورها، ولا أسر من بطونها.

فلما كَمل هذا النظم المنظوم؛ تنزَّل السرُّ المكتوم؛ وهو الهَويَّة السارية بالموجود والمعدوم، والمجهول والمعلوم، والخفي والمفهوم؛ فجمعت واتَّسعت، ووسِعت ووسَّعت، وأحاطت وأجمعت، وبرزت بأسرارها عالم القدرة في عمق الهواء في عين درة كالدرة؛ فاجتمع إليها بالخاصية في دون الزمن الفرد من لطائف الهواء تلطيف نطفة الماء، فلمَّا قامت به الدُّرة، واستوى عرشًا محيطًا على الماء، وربًّا حيًّا قيُّومًا.

وقد وُرد في الخبر: «**كان ربُّنا في عماءٍ ما فوقه هواء، وما تحته هواء**»[1][2].

وقد اجتمعت له بأسرار القدرة أحكام مناط أسباب القوى، فكتب مقادير الأشياء قبل أن يخلق بخمسين ألف سنة: ﴿**وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**﴾ [هود:7] [3].

---

(1) رواه الترمذي (288/5)، وأحمد (11/4)، وابن ماجه (64/1).

(2) قال سيدي علي وفا: هذا العماء هو صورة كون الإنسان التي بالتعلق العقلي تعين فيها الرب الرحمن، وغاب في ذلك التعين بالتنزيه الفرقاني عن أعين عقول الفرقان، وتلك الصورة الآدمية هي عرشه الكائن على ماء النطفة المنوية، وهذا العماء في شخصيته المفارقة الخيالية ما فوقه هواء وما تحته هواء: أي ليس تحته شيءٌ، ولا فوقه شيءٌ، فلا فوقه ولا تحته، وفي شخصيته الإحساسية هو كما ترى، ف(ما) بالمعنى الأول نافية، ونافية أيضًا إذا كان (هوى) بمعنى: سقط، وبالثاني موصولة، وهواء بمعنى: فراغ، أو جوهر هباء، وكلٌّ صحيحٌ في حكم عالمه ودائرة حاكمه.

(3) قال سيدنا المصنف في الشعائر: فكان هذا الكتاب تأسيس ما يكون من المجمل في المفصل، =

=

ومن المعلوم في المؤول، وكما كانت الأشياء تقديرات كان الزمان كذلك، والعرش الذي كان على الماء هو جامع الأسماء، ومشرق شموس الآلاء، وموضع تنزل الاستواء، عليه وقع الخطاب، وفيه رقم الكتاب، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ الله إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الشورى:51].

وأما الماء فهو نور العين العرشية، الممتد بنهاية الظلية من رأس السمت الأول إلى منتهى المركز الأسفل، كل ذلك وستر العين سيل، والأمر مفصل والخلق مجمل، وبما كان الحاكم الأول والذات الأكرم الأفضل، والذوات السبعة الذين بهم أحكم أصله وفرعه، وحقق فرقه وجمعه، مفاتيح كنوز أزله ومقاليد آفاق أبده، الحياة وعنها مصادر الأمهات، والعلم وعنه مصادر الآيات، والقدرة وعنها مصادر الأقوية الفاعلة، والسمع وعنه مصادر التصورات، والكلام وعنه مصادر المصورات، والبصر وعنه مصادر العينيات والمشكلات، والإرادة وعنها مصادر الترتيب والتقديرات، كل هذه أقوية فعَّالة، وأرواح قدوسيات، وأسرار لاهوتيات، فلما نفدت الإرادة بتحقيق هذه السيادة أوجدت القدرة وما أحدثت، وتكلَّمت القوة وما حدَّثت، وتجلَّت الذوات المطلقة فأظهرت وما كونت، وخلقت وما خلقت، فبرز الموجب عن الواجب، وتجلَّى الحاضر في الغائب، وظهرت الأرواح في الأشباح، وانتشر الرفرف وخفق الجناح، وجرت الأقلام فكتبت، وقابلتها الألواح فحفظت، وركبت الألوف الحروف، وتربعت الطباع بالأوضاع، وأبرز الهوي الهباء، وتكاثف عنه الماء ثم صار أرضًا صمًّا، وتصادمت الأركان والأكوان فكان الأثير عن هذا التأثير، وتمَّ النظام بالتقدير، واستوى المهاد بالتدبير، وعظم التسبيح بالحمد، وتزايد الناتج في العد، فلما اعتدلت الحركة، وتمهَّدت المملكة.

قال صاحب القدرة المنيفة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:30]، فقالت ألسنة الغيرة بما تقدَّم لها من وقار الحضرة: نحن نقدر الحمد قدره، ونوفي المذكور ذكره، فأجاب اللسان المكنون: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:30].

وهنا سريرة إلهية، وذخيرة رحمانية، تندرج في الخلعة الخلافية حتى الظهيرة الوفائية، حيث الختم والانتهاء، والفتح والابتداء، سنة كسنة، وحكمة كحكمة، سنةٌ لا تتبدل، وحكمةٌ لا تتحول، تُنفد ولا تَنفد، وأتقن إحكام الأوضاع برفع القبضة من التراب إلى بطانتها الخضراء، والدمنة الزهراء، نفر الأشباح، وانفهاق الأرواح، وكما نزل الأمر من المحدَّب إلى القعرة، رقا الخليفة من القعرة إلى الحضرة، فكان الخلق من التراب لإحكام هذه الأسباب.

واعلم أن هذا كله من سنة فتق الرتق، وتحقق وحي الأمر في الخلق، والذي كان وما زال والحال عند نفي الإشكال ما حال.

واعلم أن ما تراه من آفاق وأفلاك وأشباح وأملاك وألواح وسطور وأعيان ونذور وظواهر وبواطن، كل ذلك فتق رتق، وتنزل أمر في خلقٍ، وبحسب ما يكون الأمر يكون تصور الروح، يكون مخيل الملك، يكون تعين الفلك.

ومن هنا فاعلم أن لكل فلكٍ ملك، ولكل ملكٍ تأثير وتدبير، وفعل وتقدير، وعلم واستيلاء، وله أرضٌ وسماءٌ، وأفقٌ وأفلاكٌ وهواء، ثم يتنوع في نفسه إلى آفاق وأفلاك، كذلك ثم كذلك، وهذا

=

وهذا الكتب والتقدير، والخلق والتسطير في الزمن الواسع الكبير؛ هو وضع في عالم الأمر والجعل، وهو تصحيح خلق الخلق الأول بالوضع والحمل؛ ففتق الأرض في نارية التربيع اختراعًا عظمة منه، واتساعًا بقوة ترابية، وقوة مائية، وقوة نارية، وقوة هوائية، وقدَّر في التقدير بالاسم الخلاَّق العليم، القدير مقادير الخلق والأخلاق، والأعمار والأرزاق؛ فاستكمل في قوة الأركان إحكام أحكام المعدن، والنبات والحيوان، وذلك في أربعة أيام كوامل تمام الأيام الستة؛ وهى الحواس الخمس والحس والمشترك، وهذه أيام الربِّ المقدَّرة بألف سنة من هذا العدد الجزئي؛ وهى الأيام الستة التي خلق الله فيها السماوات والأرض، ومقاليدها وأسباب إمساكاتها وعواميدها.

قال تعالى: ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ**﴾ [فصلت:11]، فقال لها وللأرض: ﴿**ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**﴾ [فصلت:11].

وجئنا لقهر عظمتك خاضعين وسامعين؛ ففتق السموات في التسبيع، كما فتق الأرض في التربيع، وكان تربيع الأرض بالطبع وتسبيعها في جبلة الوضع.

وأمَّا الهواء: فهو عمود الاستواء، وحامل مناط القوى، وتحقيق الاستواء من أرض وسماء، ومن سماء إلى سماء؛ كما تنفلق الحبة عن نبتها، وتستوي إلى أبِّها، ثم تقوم على ساقها، ثم تخرج شطأها، كذلك إلى أن تبرز ورقها وثمرها، وتنتهي إلى نهايتها من موضعِ بدايتها، فلمَّا استوى إلى السماء وفتقها إلى سبع وقدَّرها: ﴿**وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا**﴾ [فصلت:12]، وأودع في أمرها سرَّها؛ فكان التربيع من أسرار الكلمات، والتسبيح من أسرار الصفات الذات.

=

من سر التبارك، وإبراز ما لم يكن هنالك، ﴿كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ [النور:41]، وكان الارتقاء والتنزيل بحكم التفصيل والتجميل، وما هو إلا روحٌ تلبس روح، أو كيفية تنفهق على ماهية، وقد انقلب العين والأين، وتبدَّل الأفق واللون، وخيل له الحكم الغالب أنه ترقَّى ونزل، وحكم وعزل، وأجمل وفصَّل، وابتدأ وانتهى، وغاب وحضر، وعلم وجهل، وعلى ما يكون من أحكام المتصل والمنفصل، والمتحول والمنتقل، وكل ذلك كائن ولم يكن، فلما خلعت على القبضة الأرضية، والمؤتلفة الجسمية أشرف مياة روحانية ملكية، انفهقت عليها الماهية الإنسانية، فاستوت عند ذلك الهوية الرحمانية، فما وسع الجنود غير السجود، وأقرت الشهود للمشهود بأنه الرب المعبود، وبما أعرضت القوة الغضبية عن السجدة الملكية بما كان، ثم من سترٍ حصين على سرٍّ مصون، وعقدٍ ثمينٍ، فاحتجب الاجتهاد في الجحود، واستتر القريب في المبعود، وانقلب الفاقد بالموجود، إنما هي أحكامٌ تظهر، وحكمٌ تُصان وتُستر. الشعائر (ص101).

فلمَّا أحكم هذا النظام بنحو ما مشى من هذا الكلام؛ فكانت هذه الأيام الستة كل يوم بألف سنة؛ وهي أيام الربِ، وكان جامعها الحسَّ المشترك؛ وهو العرش المجيد بحكم ظاهره، والكرسي العزيز بحكم باطنه؛ وهو موضع الفرق والتنويع، والحفظ والترتيب، والانقسام في المعنى والعين؛ ولذلك جُعل محلُّ القدمين: ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ**﴾ [لأعراف:54]؛ وهو اليوم المقدَّر بخمسين ألف، ففتقه فتقًا روحانيًا، وجعله مستوى رحمانياته.

وهو في نفسه مفصَّل في أربع فيما هو أجمل وأبدع، وأشرح وأوسع، وأعلى وأنزه وأجمع، ثم فتق كل واحد من هذه الأربعة، والعين النزيهة المبدعة إلى أرض وسماء، وأفق وهواء، وحول وقوى، وخلاء وملاء، كل ذلك في الملكوت الملكي الروحاني، والجبروت النوراني الرحماني، ثم خلع كل روح من هذه الأرواح العرشية خلعةً ربَّانيةً، وصورة رحمانية، وجعلهم خلفاء العُلا، وأرباب آفاق المستوى، ثم أحاط بحيطته الجامعة، ونظم الكل في حياته الواسعة؛ فهو صاحب الإرادة المحكمة، والإحاطة الجامعة المعظَّمة.

واعلم أن هذه الخمسين ألف سنة؛ وهي أيام الله ذي المعارج، تنقسم أيضا إلى ستة أيام تمام في أحكام النظام، كما تقرر في تنزيل الذكر إلى خيال ووهم، وحفظ وذِكر، وفكر، وسابع اليومين، وناظم كلاّ الحيطتين؛ هو سابع سبعته، ويوم جمعتهم، وإليه ينتهي القول بحمد ذي القوة والطول.

وكانت هذه الأحكام في الأوضاع، وتكثير هذا الإيجاد في الاتِّساع بقوة الخلع لا يحكم الانخلاع؛ كما يشعل المصباح من المصباح، والإيضاح من الإيضاح: ﴿**وَلله الْمَثَلُ الأَعْلَى**﴾ [النحل:60]، أو فقل: كخلع صورة الناظر في مرآته، أو كما يخطر الخاطر للعالِم العاقل في باطن روحانية حياته، كل ذلك والعالم ساكن بالحركات، منطوٍ في ملاك الملكات.

فلمَّا تنزَّلت الإرادة المحكمة في إحاطة الملكية بتصحيح: «**فأحببت أن أُعرف**»[1]؛ تحرَّكت الملكات في الأملاك، ودُوِّرت الأملاك في الأفلاك؛ فأخرج كل قوي ما في قوته لفعله، وخلق كل خالق مخلوقة مَن خلق جعله، وكان هذا الأمر المحكم الإذن الواقع للقلم المعلم؛ وهو القول الحاصل للقلم: اكتب علمي في خلقي، ولا تكُ أنت

(1) ذكره العجلوني في كشف الخفا (173/2)، والقاري في المصنوع (141/1).

صورة حقِّي، فاستمرت الدورة الدائرة إلى أن يتجلَّى في صور الدنيا بصور صورة الآخرة.

عطفٌ وبيانٌ

كل موضوع لمحمول إمَّا مفصول عن عين تجلِّيه، أو مخلوع عن عين تنزُّله وتدلِّيه الأول بالقوة، والثاني بالفعل، وهو عرشٌ لاستواءاته، وفُلك لوسع حمل صور موضوعاته بحيث جعله، وكتاب مكنون كلماتِ قلم نثره ونظمه، وحجابٌ لغيب بطونه عن مشابهة مِثله، وعين حق لتجلِّي قوَّته بفعله، وكرسي لموضع قدمي مفصولة بتخصيص رحمته وعدله، وحفظ ترتيبه في موضوع تعاقب موضوعاته في تولِّي بعدِه وقبله، ولوح لتعيين مولِّدات كون تكوين قلم تسطيره وتصويره، فالكرسي فصل عن وصل، والعرش فصل في وصل.

فجبروتٌ ملكوت وملكوت مُلك، وكل مجعولٍ في حضرة عرشيه جنة فردوس لا يقابلها جحيم، ولا عذاب أليم، ولا غير أليم، وكل مخلوقٍ تحت كرسي؛ إمَّا في مادة قدم صدق؛ فجنة نعيم، وإمَّا تحت حصر قدم الجبار؛ فجحيم وعذاب أليم.

وهذه من حقائق القدمين والقبضتين، والحشر مع القرينين، والحافظين الكاتبين، وهو بحسب ما يعطي الأخلاق والتخلُّقات من لباس تلبيس الصور بالتصوُّرات، وبها يكون تفاوت الدرجات والدركات؛ وهو الكتاب المرقوم في علِّيين، والكتاب المرقوم في قعرة سجين.

واعلم أن حَمَله الموضوع أنوار المحمول؛ وهي السبع المثاني، وكيفية حملها؛ كحمل المادة بالهيولي للصورة، والحروف بالمنطوق للمفهوم، فهم صفاتٌ عظام أزلاً، وحملة كرام أبدًا، فالمحمول حقيقة الموضوع وباطنه، والموضوع حق المحمول وظاهره.

فالعرش جبروتي؛ وهو كتاب للأسماء الإلهية، مرآة للتجليَّات الرحمانية.

والكرسي وهو مرآة للتمثُّلات الروحانية، والتنزُّلات بالأسماء الربَّانية.

واللوح ملكي وهو محلُّ التعينات الكونية، والتشكلات الخلقية.

فالعرش بموضوعه ومحموله وحملته محمول في الكرسي على حُكمه وحِكمته، والكرسي بموضوعه ومحموله، وحملته محمول في اللوح على سنَّته ونسبته.

فالأول: روح القدس أصل الأرواح المحمَّديَّات.

والثاني: روح القدس أرواح المليكات.

والثالث: روح القدس أصل الأشباح البرزخيات.

فمحمد وجبريل وميكائيل بالأول والثاني، والثالث في التفصيل والتحميل، ويُقال لهم في جمع جمع الفرق، وعين نسخة موضوع الحق: وهو آدم القدم الصدق، ومنارة الفصل في الوصل والفتق في الرتق، قلبٌ وروح وسرٌّ في المحمَّديَّة الجبروتية، وعقلٌ ونفسٌ وتصوُّر في الملكوتية الجبريلية، وإدراكٌ وحسٌّ وتخيُّل في ملك الميكائيلية.

وبما كانت النقطة المائية المجتمعة بالقوة من اللطائف الهوائية الحاملة للدرة التي هي قائمة بعالم القدرة، قد فرضت من الدهر الزمان، ومن الهواء المكان، وبقوة التجلِّي الأشكال والأعيان، وكانت بأسرار السبعة الأنوار المثانى في أوضاع الأعيان والمعاني؛ قامت كل صفة منها بمائة من الأسماء الحسنى، وكل اسمٍ بألفٍ من التجليَّات العُلا، وتمثُّلات روح قدس الحياة، فكان منها سبعمائة ألف رقيقة، ولكل زمان ومكان وشكل واسم؛ وهي حكمة الدقائق والحقائق؛ فالرقائق ملكية، والأسماء ربَّانية، والدقائق كلية: أي كل دقيقة منها جامعة على انفرادها؛ لمجموع الدقائق والرقائق والحقائق بكمالها؛ وهي من نمط انحصار الأنواع في الأشخاص؛ وهو ما قاله ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسمًا**»[1]، وقال ﷺ: «**إن لله مائة رحمة**»[2]، وقال: «**إن في الجنة مائة درجة**»[3].

وهذا بالدقائق والرقائق والحقائق[4].

واعلم أن قيام هذه السبعمائة ألف بالزمان والمكان، والدقيقة والرقيقة والحقيقة؛

---

(1) رواه البخاري (981/2)، ومسلم (2063/4).

(2) رواه أحمد (434/2)، وابن ماجه (1435/2).

(3) رواه البخاري (1028/3)، والترمذي (674/4)، والنسائي (14/3).

(4) قال سيدي محمد وفا في النفائس: حبة الإنسان خلاصة الأكوان، وعين جمع مفترقات عالم الإمكان، وهي حبة أنبتت سبع سنابل، نحو: الجسم، والحس، والنفس، والعقل، والقلب، والروح، والسر، في كل سنبلةٍ مائة حبة، وهذا الحَب هو اللب الكائن في السنبلة، فكل عالمٍ من عوالم الإنسان فيه المائة لبنة، وهي ثلاث حقائق: الأولى: مائة رحمة، والثاني: مائة اسم، والثالث: مائة درجة، قلب الإنسان إذا تخلص من القشر والأب، وتنصل من القش والشوك، كان خُبزةً يتلقاها الرحمن بيمينه، وهو غذاء الحضرة الإلهيَّة، وما تنصل عنه وتخلص منه كان غذاء الأرواح الأكوان كالملائكة والجان والمعدن والنبات والحيوان، كما أن سائر الأكوان الواقعة بالإمكان من حضرة الرحمن عند تكاملها في المعدن والنبات والحيوان، خلاصة لبابها غذاء حضرة الإنسان، وما تخلص عنها من قشرٍ وشوكٍ وجلدٍ وعصبٍ وعظمٍ وآبٍ غذاء للمعدن والنبات والحيوان، ذلك كله فيما استقام واعتدل على صراط القوام، وانتهى إلى نهاية التمام، ومن عرضه عارض الفساد رجع مع النزول إلى المعدن والنبات والحيوان، وكذلك في الإنسان.

كان في دفعة واحدة لا متعاقبة ولا متفاوتة، وهذه الكثرة في الوحدة، فإذا قدرت بروز هذا المجموع بالتعاقب في الوضع، والتلاحق في النسل بالبعد، والقيل؛ فقدِّر بالحيثية الزمانية سبعمائة ألف سنة، وتكون دقائقها التي ائتلفت منها ساعاتها وأيامها، وجمعها وشهورها، وسنينها في تقدير تكثيرها، وتعددها نهاية في العدد، وغاية في تكثير المدد: ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَداً * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً﴾ [مريم:94، 95].

فإذا انتهى هذا العدد، ونفد هذا المدَد؛ عاد الأمر، وتجدَّد حتى تَكمُل أحكام أيام السبع المثاني، والقرآن العظيم، ويُختم الأمر عند تجلِّي إحاطة بسم الله الرحمن الرحيم، يكون ذلك وقت الفراغ والانصرام، والقيام الأكبر في يوم الملِك الحي القيُّوم العُلا، وهذا من سرِّ الوحدة في الكثرة، وقد تقدَّم أن الأيام الستة التي كل يوم منها بألف سنة؛ هي أعمار الأجسام، ودور ما دار في ترتيب النظام، وإن الستة الحواس العقلية التي كل يوم منها بثمانية آلاف سنة؛ وهو نظم اليوم الكلي الذي هو خمسون ألف سنة، فتكون هذه العقلية برازخ لتلك الحسِّية، وأعمار أشباحها، كما تلك أعمار أجسامها.

واعلم أن الزمن الفرد؛ كالنقطة الفرد لا يحتمل الفوق ولا التحت، ولا القبل ولا البعد، ولا ظرف زمان ولا ظرف مكان، وثم تتحقق حقائق العارفين، وترسخ أقدام الواصلين؛ وهو اليوم الربَّاني الإلهي، ومرآة التجلِّي الرحماني العياني، وإنما التنزيل بالتبارك حيث تبارك ستر ما هنالك: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:78].

تلخيصٌ وتخليصٌ

وبما كان العرش الأُفق الأعلى، والمستوى الأسنى؛ كان فِطرة الله التي فطرها، وحق حقيقة التي أوجدها وأمرها، وبما كان الكرسي العزيز الأفق المبين، وموضع رسوخ القدم المكين من الروح الأمين؛ كان صيغة الله التي أحسن بها كل شئ خلقه وأثبته وحققه.

فالفطرة باطنها وحقيقتها؛ الحيُّ القيُّوم، الواسع العليم، الذي لا يدركه نظر، ولا يتخيَّله بصر، ولا يصدق عليه أكياف الصور؛ وإنما هو إذا شاء جلَّ جلاله، وتقدَّست صفاته تجلَّى من غيب هذه الفطرة إلى ظاهرها بتجلِّي القدرة؛ فقلبت ذلك التجلِّي حقًا، وأثبتته نورًا قيُّومًا صدقًا، فيخلع هذا النور الحق صورة تجلِّيه في تنزُّله وتدلِّيه في الصبغة القابلة بالوضع لِما يصدر عليها من الحق بالخلع؛ فتقلبه خلقًا حقًّا، وموجودًا ثابتًا صدقًا، ثم ينخلع بعد ذلك إلى الأفق الأدنى؛ فيُعيِّن المعنى، ويقسم الواحد للمثنى.

فهذا هو لوح المحو والإثبات، ومنصَّة المحيا والممات، والنسخ والتبديل، والشرط ثابت، والكون إكسير تكوين معدوم زائل، ولأنه بالتركيب موجود، وبالتحليل مفقود، فالصبغة عالم سِدرة المنتهى، وأفق حضرة النُّهى، ومقام الروح الأمين، وفلكه النيّر المبين، وبما وصفها ﷺ فوصف أوراقها وطباقها، وأفنانها وثمرها، وألوان فرشها، وعظَّم في كل ذلك أمرها وقدرها، وكان النور الذي غشاها، والأمر الذي نشاها ووشاها؛ هو ما يخلع عليها من صور تجليّات الأفق الأعلى، وأنوار سبحات وجهه الأبقى على نحو ما تقدَّم وانقضى، وعندها رأى البصرُ الذي ما زاغ وما طغى؛ بل فيها تجلِّي الآية الكبرى، فأبصر نورًا نورانيًّا، وعاين عينًا مثليًّا، وروحًا محيطًا روحانيًّا، فكلم كفاحًا، وشاهد عيانًا، وكانت الرؤيةُ في الأفق الأعلى بالحقيقة والمعنى؛ رؤية فطرة فؤادية، وبصيرة علمية وحدانية.

تنبيه: واعلم أن هذه الفطرة والصبغة متى تجرَّدا عن التصوِّرات الخارجية، وسلما من العوارض الكونية، وتخلَّصا من الموانع الطبيعية، وانسلخا من الانطباعات العادية؛ فلم يبقَ إلا التجليّات الرحمانية، والتنزُّلات الفرقانية، والاتصافات الربَّانيَّة، والتمثُّلات الروحانية؛ ولذلك أُمر الكليم بخلع النعلين، والتخلُّص من معارضات عوارض الكيف والأين.

قال ﷺ: «**وما من مولود إلا ويُولد على الفطرة ولكن أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه**»[1]، وهذا من أحكام الانطباع بالطباع بالرؤية، والقول والسماع، فمَن تحقق بالتجريد والانخلاع؛ وجب له التجديد عند رفع القناع.

توصيلٌ وتحصيلٌ

واعلم أن الحضرة الجبروتية كلها على الصورة الإنسانية، والتمثُّلات الروحانية بالتجليّات والرحمانية.

والحضرة الملكوتية كلها على صورة الرفرف الأخضر، والنور الأنزه الأزهر؛ وهي نور بصيص تلون الجناح، وبرق بريقة اللامع الوضَّاح.

والحضرة كلها على صورة البراق في اختلاف تشكُّلاته بالاجتماع والافتراق.

فما كان براقيًّا؛ كان ميكائيليًّا؛ وهو صورة المعراج المنصوب في اليوم المقدَّر بألف سنة.

---

(1) رواه البخاري (1792/4)، ومسلم (2047/4).

وما كان على صورة الرفرف الأخضر؛ كان جبرائيليًا ذي الأجنحة المثنى والثلاث والرباع إلى الستمائة.

فما أُعطت حكمة الإبداع من الستة الأيام الملكوتية؛ وهي المشاعر العقلية، وهذا الرفرف الأخضر والجناح هو روح المعراج المنصوب في اليوم المقدَّر بخمسين ألف سنة سُنة كسنة وحكمة كحكمة.

واعلم أن الحضرة الجبروتية في الغيب والعين؛ هي الوسط المختار بين الملك والملكوت عينًا، وبين اللاهوت والناسوت بالمعنى؛ فهي كالمصباح مثلاً إذا أُشعل ونوِّر، وظهر وأظهر، فعنه ظهر نوره، وملأ فوقه وتحته، والحذا والجنبات، وسائر الوجوه والجهات؛ فهو مفيض الأنوار في الأقطار على كل دار ومقام وقرار، وهو نقطة دائرة كل مدار، فما علا عنه؛ كان سماويًا جناحيًا، وما انحطَّ منه؛ كان أرضيًا براقيًا.

واعلم أن هذا الكلام الذي مشى في هذا التنزيل، والقول الذي قيل في هذا التجميل والتفصيل؛ كله في بطانة صور إسرافيل، منحصر بأنواعه الكلية في أشخاص جزئية؛ وهي ظواهر الغيوب اللاهوتية، وتقرير حقائق الأزلية في دقائق الأبديَّة.

واعلم أن صورة صور إسرافيل؛ هو السدُّ المسدود، والبرزخ المضروب المحدود؛ وهو الذي نزل آدم إلى ظاهره بعد أكلة الشجرة؛ وهو ظاهر القعرة القعرة، والوعرة الحرجة، الوعرة، دار الأدواء والآفات، ومساكن الأفاعي والحيَّات.

قال ﷺ: «**الدنيا سجن المؤمن**»[1]، وسِنته إذا فارقها؛ فارق السجن والسِّنة، وبما قال تعالى: ﴿**فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ**﴾ [الحديد:13].

واعلم أنه لمَّا نزل آدم إلى هذه الظهرة، واستقرَّ في هذه القعرة نزل ميكائيل معه، وهو أول كلمة تلقيت وأُلقيت، ورحمة أُنزلت ونُزّلت، فينزل إلى مقام ميكائيل، فينزل محمد صلى الله عليه وسلم عليهم أجمعين بروح القدس إلى مقام جبريل، فتنزَّل الرحمانية بالنزول الموقَّر العزيز، والتجلِّي المقدَّس النزيه إلى مقام المحمَّديَّة؛ فيستأنس الغريب، ويتسلَّى الكئيب بتعطفات الحبيب.

قال تعالى: ﴿**فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ [البقرة: 37].

(1) رواه مسلم (2272/4)، والترمذي (562/4)، وأحمد (197/2).

كما إن ميكائيل جزئي حاصرٌ لكل جبرائيل، كذلك عزرائيل جزئي حاصر إسرافيل، وانحصار الأنواع في الأشخاص لا يحققه كشفًا إلا الأفراد من الخواص، وكذلك انحصار الكليَّات في الجزئيات لا يحققها إلا مَن تحقق بتجليَّات الرحمانيات، وقليل ما هم.

قال تعالى: ﴿**مَنْ كَانَ عَدُوّاً لله وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ الله عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ**﴾ [البقرة:98].

جمع فرق الخلق في تعيين عين نسخة الحق

ولمَّا تَمَّ هذا النظام واستوى، وخلعت حقائقُ القوى؛ صوَّر الملأ في أفق أعلى ومبين وأدنى، وفتقت أرضًا وسماءً وجوًّا وهواءً وكرسيًّا وعرشًا أعلى، ثم استوت الدقيقة بالمثل الأعلى، والحجاب الأنزه الأقدس الأبهى الذي كان وحده في العماء من عمق الهواء إلى رأس السمت من نقطة خط الاستواء، جمع بحكمة الجمع بعد الفرق رقيقة جامعة لِما جمعت منه، وسُميَّت نسخة الحق؛ وهي على أعدل بنية، وأقوم صورة في مثل صورة الذرة القائمة بعالم القدرة.

ومن هنا تفهَّم حقائق المطابقة، والمقابلة والموافقة؛ وهو ما نبَّه عليه لسان الإحسان: «**خلق الله آدم على مثل صورة الرحمن**»[1]، لا كقوله في الحديث الآخر:

---

(1) **حديثٌ رجاله ثقاتٌ:** رواه الطبراني في الكبير (430/2)، (13580)، والدارقطني في جزء الصفات (45)، (48)، (49)، بتحقيقنا، وابن خزيمة في التوحيد (ص38)، وابن أبي عاصم في السنة (517)، والحارث في مسنده كما في زوائد الهيثمي (831/2)، عن ابن عمر، وأبي هريرة مرفوعًا.

قلت: أما حديث ابن عمر فرجاله رجال البخاري، وقد ضعَّفه بعضهم لعلة عنعة حبيب بن أبي ثابت وتدليسه، وكذلك الأعمش.

وأما حديث أبي هريرة فرجاله ثقاتٌ غير ابن لهيعة؛ فإنه سيء الحفظ.

وبالجملة: فهو صحيحٌ عند أهل الكشف رضي الله عنهم.

وقال سيدي علي وفا في المسامع: اسمع: «خلق الله آدم على صورته»، بما نفخ فيه منه بلا واسطةٍ، وقال السيد الكامل عن جرير بن عبد الله البجلي ﷺ: «إن في وجهه مسحة مَلَك»: أي شبه ملك بما النافخ فيه ملك.

اسمع: المَسحة: الشبه، ومن ثمَّ يُسمَّى المسيح مَسيحًا لروح القدس النافخ لَه في مريم، فافهم.

اسمع: ليكن خبر ربك الحق أحق عندك مما خالفه، ولو أنه محسوس فقد علمك السيد الكامل ذلك بقوله عمن سقاه العسل فتوهم أخوه؛ لكثرة ما كان به عند شربه أنه ضره: «صدق الله وكذب بطن أخيك».

اسمع: لما كان يوم تجرد السيد الكامل عن لباس بشريته سأل عنه صديقه الأكبر عليًّا، فقال:
=

«**خلق الله آدم على صورته**»[1]، وسيأتي معناه في موضعه.

وهذه الرقيقة المجموعة، والجوهرة الفردة المبدوعة؛ هي التي سمَّاها ﷺ **عجب الذنب** التي منها خلق الله آدم، وفيها يُعيده، ومنها يُخرجه تارة أخرى، وهكذا قال ﷺ، أو بلفظ الجمعية بعد التسوية والاستواء، وإحكام البنية بالقوى، فهذه حقيقة الأصلاب؛ وهي صبغة الله، وتلك حقيقة الألباب؛ وهي فطرة الله.

فما وجب السجود إلا لسرِ حقيقة المعبود، ولهذه النكتة المعظَّمة المنفية، واللطيفة النزيهة الشريفة.

قال ﷻ: ﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾ [البقرة:30،]، وبما كان السرُّ مكتوم مَصون في باطن خزانة غيب الغيب، مخزون مصون لا تنظره العيون، ولا تتطرق إليه لواحظ الظنون.

قال الذين قالوا: ﴿**وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ*وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ**﴾ [الصافات:165، 166]، وبحمدك قائمون، وبأمرك فاعلون.

قال تعالى: ﴿**قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة:30]؛ ولذلك أوجب إحكام عقود العهود، ونصب أحكام الحدود، وبيعة أعيان الجنود، إذا انتهى الأمر، ثم يعود

=

كيف أصبح؟ قال: أصبح بحمد الله بارئًا، فشهده حقًّا بارئًا؛ لتجرده عن الخلق المبروء، وأيضًا شهده بارئًا كما يفهمه الجمهور؛ لأن الحق سبوح عن أعراض خلقه.

اسمع: لما كانت بيعة الرضوان كان عثمان قد أرسله السيد الكامل إلى مكة إشارة إلى أنه يريد بهم الحلم، ولو أراد بهم الانتقام لأرسل إليهم عمر، فلما بايع الناس بسط السيد الكامل يمناه الأولى وقال: «اللهم هذه يدك»، ثم بسط الأخرى وقال: «هذه يد عثمان»، ثم وضع هذه في هذه وقال: «اللهم هذه بيعة عثمان».

فإن قيل: كيف صرَّح لك بأنه يظهر بالحق وبالخلق، فلكل مقامٍ منه مقال، ولكل مجالٍ منه رجال، فافهم.

اسمع: لا يملك المخلوقات ملكًا حقيقيًا أصليًا غير خلاقها، فتصرفاته فيها باختياره كلها حق وعدل حسن جميل، وهو العليم الحكيم، وتصرفات غيره باختياره تصرف فيما لا يملك فهو ظلمٌ قبيحٌ

إلا أنه لا غير لَه بالحقيقة، وإن ثبت مجازًا فلا تصرف لَه دونه، ﴿إِنِ الحُكْمُ إِلاَّ للهِ﴾ [الأنعام: 57]، ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: 7]، فافهم.

(1) رواه البخاري (5873)، ومسلم (2612)، وأحمد في المسند (244/2)، والحميدي (476/2)، من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

وتظهر حكمته المحكمة، وقضيته العلمية المعلمة.

واعلم أنه لمَّا مسح الربُّ على الصلب، واستخرج من ذرة ذريته على اختلاف صور ما أعطى تصوُّر صورته، وتشكُّلِ شاكلته، وتخلُّق أخلاق خلقه بتنوع صبغ صبغة حقَّه؛ فكانت سبعمائة ألف رقيقة في سبعمائة ألف دقيقة نحو ما تقدَّم من التنزيل، وتبيَّن من التفصيل، ثم تجلَّى حجابه المحيط في الصورة الإنسانية، والمثلية الروحانية بالتجليَّات والرحمانية؛ فشهدت كل دقيقة برقيقتها في هذه الحقيقة حقيقتها، وهي شاكلتها التي تُشاكلها وتمثلُّها الذي يمثلها، ووصْفُها الذي تجازى به، ونفسها التي تطالبها، وربها الذي يحاسبها: ﴿**قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ**﴾ [الاسراء:84]، فأخذَ العهود في عهد واحد كان كل مشهود في عين الشاهد، ثم ردَّهم بحكم الحشر بعد النشر في درَّة الصلب، وجمعهم بحكم يوم الجمع في عين الأب.

واعلم أن المَسحة التي مُسحت؛ هي إسباغ الثوب الربَّاني، ووضع كنف الستر الرحماني، ولمَّا استخرج ذر الذرية؛ كان المتجلَّى لهم؛ هو الحجاب المسبول بالمسحة العليَّة على عينهم الجامعة الكلية التي استخرجوا منها بالجزئية.

واعلم أن الخواص بالاختصاص من ولد آدم لم يقبضوا في هذه الأخذة الذرية، ولم يخرجوا بالجزئية من العين الكلية؛ بل كانوا فيها بحكمة التفضيل الإداري في الوصل الوحداني؛ فكانوا وجوه تجلِّي هذا الحجاب الرحماني، والستر الربَّاني، والمثل الروحاني، والتصوُّر الإنساني، فلمَّا أشهد الذر على أنفسهم: ﴿**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى**﴾ [الأعراف:173].

فشهد كل شاهد لمشهوده، وأقرَّ كل عابد لمعبوده، وهذه الوجوه الكرام، والشموس الأعلام، والبدور التمام؛ هم الذين قال فيهم ﷺ:

«**سبعون ألفًا من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب؛ منهم على صورة البدر، ومنهم على صورة الشمس، ومع كل واحد منهم سبعون ألفًا**»[1]؛ ولأنه مع كل تابع متبوعه، ومع كل مطاع مطيعه؛ وهم الحجب الأرباب الذين يرونهم أهل الجنة في دار الثواب، وبما قال ﷺ لمَّا سُئل: «**هل نرى ربنا؟ قال: أتضامون في رؤية الشمس ضحوًا؟ أتضامون في رؤية القمر ليلة البدر، وهم في كل ذلك يقولون: لا، قال: كذلك ترون**

(1) لم أقف عليه.

ربكم»[1].

وبما قال: «**فيضع لهم منابر من نور؛ فيجلسون عليها، فيجعل وجوههم نورًا، وثيابهم نورًا**»[2]؛ ولذلك يضع كل ذلك أمام العرش، فكل كرسي فرشي لقمري، وكل منبر عرشي لشمسي، وهذه من سنة الاستواء، وحقيقة العُلو الأعلى في الآخرة والأولى؛ وهي الصورة التي فيها يأتي فيها يقول: «**أنا ربكم فيقولون: إنا نعوذ بالله منك لست ربنا، عرفناه فيتجلَّى لهم جلَّ جلاله**»[3]؛ وهو حقيقة الإتيان، والتحوُّل في صورة مشهود هم بشاكلة معبودهم على سنة التجلِّي والتنزيل كما تقدَّم في سابق التفصيل، فيقول: «**أنا ربكم، فيقولوا: أنت ربنا**»[4]، وهذا فعله مع كل أمة سنَّة كسنَّة، وحكمة كحكمة.

وهذه من حقائق كشف الساق يوم التلاق، فمَن أطاع حجاب المعبود؛ أمكنه السجود، ومَن استولى عليه الجحود؛ صار ظهره طبقة كالجامد، ويا أولي البصائر والألباب افهموا سرَّ الخطاب من نص الكتاب: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ**﴾ [الشورى:51]، ولمَّا رفع لرسول الله ﷺ السواد الذي سدَّ الأفق؛ وهي أمة موسى، وكذلك السواد الذي هو أكثر منه؛ وهي أمة عيسى، ثم رفع له السواد الأكبر، والملأ الأزهر.

وقيل له: «**هذه أمتك قيل له: أرضيت، قال: رضيت، قال: ومع هؤلاء سبعون ألفًا**

---

(1) رواه البخاري (7434)، (7435)، (7436)، (554)، (573)، ومسلم (439/1)، وأبو داود في السنن (4729)، والترمذي (2551)، والنسائي في الكبرى (176/1)، وأحمد في المسند (360/4، 362، 365)، وفي السنة (37، 38، 183)، وابن ماجه (177)، والحميدي في مسنده (799)، وابن أبي عاصم في السنة (446-450)، والطبري في تفسيره (233/16)، وابن خزيمة في التوحيد (ص167، 169)، والآجري في كتابي الشريعة (258، 259)، والبيهقي في الاعتقاد (50)، وذكره المصنف في مختصره لاعتقاد البيهقي-بتحقيقنا- والسنن الكبرى (464/1)، والخطيب في تاريخ بغداد (11/ 466)، والبغوي في معالم التنزيل (232/4)، والطبراني في المعجم الكبير (296/2-297)، والمعجم الأوسط (194/2)، (90/8)، والدارقطني في الرؤية (106)، وكذلك (137)، (149)، (155)، (163)، (165)، بتحقيقنا. قلت: وألفاظ هذا الحديث وطرقه كثيرةٌ.

(2) رواه أحمد (343/5).

(3) رواه البخاري (2403/5)، ومسلم (164/1)، بنحوه.

(4) رواه البخاري (2706/6)، ومسلم (169/1).

يدخلون الجنة بغير حساب»[1].

فكان الإخبار بهم؛ لعدم التعيين في السواد، والإخراج من جملة العباد؛ فكانوا تحت ستر صورته المحمَّديَّة، ووراء شاكلته الأحمدية؛ كالبنين في صلب الأب، والجنين في بطن الأم، فهم أعيان في عين واحدة لا ينقسمون ولا يتبغضون؛ وإنما هم أسماء في السبع المثاني، ومثل في روح المعاني، يظهرون بسنة ظهورهم، ويبطنون بحكمة بطونهم؛: أعني بذلك: السبع المثاني[2].

واعلم أن الكرسي العزيز الذي هو محلُّ القدمين، وانقسام الواحد فيه للاثنين مميز الشمال واليمين، بالتقبيح والتحسين، فكان منه قدم الجبَّار حيطة النفس الغضبية، وصبغة الصور اللهبية من حيث الملكوتية، وكانت العين الإبليسية، والنكتة الشيطانية جزؤه الحاصر لكله من حيث عالم الملك على نسبة ما تقدَّم أنه موضوع بالجزئية حاصر للكلية.

كما إن القدم الصدق؛ هو حيطة النفس الرضوانية الجامعة للصور النعيمية، وكانت الميكائيلة جزؤه الحاصر لكله بالحكمة الجزئية نسبة كنسبة، وحكمة كحكمة، فكما تلك روح خِلافية هذه روح طواعية، وكانت القبضتين بحكم هذه اليدين من القدمين، وبما كانت الآدمية عين جمعهم، وموضع طاعتهم وسمعهم؛ فإن أخذت في الاتصافات بالشيطانية؛ حُشرت فيها، وإن أخذت في الاتصافات بالملكية؛ حُشرت معها، وإن اتصفت بالإنسانية، كانت بها؛ لأنها لها وُضعت، ومن أجلها نشأت.

فالإنسانية: عقل إلهي لا تعرف إلا الله، ولا تتحقق بشيء إلا إيَّاه؛ فهي مرآة التقديس والتنزيه والتوحيد الموقَّر النزيه.

والملكية: عقل روحاني عبداني طاعة في غير لا تعبد إلا الله، ولا تسجد لشيء سواه؛ وهو الخير بالذات.

والإبليسية: عقل عبداني خلاف في غير لا تطيع إلا إيَّاه، ولا تحب شيئًا سواه؛ وهو الشرير بالذات.

ومن هنا يُفهم سرُّ اسم جبريل؛ ولأنه مركب من جبر؛ وهو قدم الجبَّار؛ وهو

---

(1) رواه مسلم (199/1)، وأحمد (271/1).

(2) وقال سيدي محمد وف في النفائس: وبما هم السبعون ألف وجه انتظامهم في السبع المثاني نهاية أقدام الأماني، فمع كل واحدٍ من السبعة عشرة آلاف وهي نهاية العدد، وهم وما انتظم منهم في عين جمع القرآن العظيم المبسمل: بسم الله الرحمن الرحيم.

حجاب الغضب الربَّاني، والاقتصاص الحسباني، وإيل؛ وهو آل للتأهيل والولاء.

ويُقال: إنه اسم من أسماء ذي العُلا؛ وهو حجاب الرحمة الربَّاني، والمزيد الرحيمي الرحماني، فهذه النفس التي كتب الله عليها الرحمة.

قال تعالى: ﴿**كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾ [الأنعام:54]، وتلك النفس التي حذَّر الله منها النقمة.

قال تعالى: ﴿**وَيُحَذِّرُكُمُ الله نَفْسَهُ**﴾ [آل عمران: 28]، فذاك كتاب الأبرار، وهذا كتاب الفجَّار.

واعلم أنه لمَّا كان إبليس مقدَّمًا في الوضع على الآدمية بنسبة الجزئية؛ وهو عقل اختياري، وجزء ملكي، نظر فلم يرَ أنزه من الصورة الروحانية، والعاقلة الطواعية؛ فتصوَّر له أن يتصور فيها، فيعظَّم بسببها، ويُكرَّم من أجلها، فتسبب في حصولها حتى حصلت وأستر لها حتى نزلت، فلمَّا صار بها روحانيًا ملكيًا وقيُّوميًا ربَّانيًا؛ دسَّت له النفس الدنسة، والقوة المظلمة الموسومة إنه صار عظيم المملكة، ومالك حكمتها المحكمة.

وتصور له أنه قد مَلك عصمة المَلكة، فجرَّ ثوب الخيلاء في التواضع، وتردَّى رداء الكبرياء في صورة المتواضع، فلمَّا جمع الله آدم وسواه وعلمه الأسماء ونبَّأه، ونفخ فيه الروح من حقيقة إيَّاه، وأسجَد له الملأ الكريم لما تجلَّى في مرآة مجلاه باسم الله الرحمن الرحيم، ظهرت دسائس الوساوس وخبائث الهواجس، فأبى من السجود مع الجنود.

قال تعالى: ﴿**قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ**﴾ [الحجر:32]، أبرز رداء كبرياء التعيين.

قال: ﴿**أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ**﴾ [ص:76]، فنُزعت عنه حلة الروحانية، وسُلب عنه ثوب الطواعية، ورجعا إلى مصاف الملكية، وحقَّت عليه كلمة الصغار، وصدقت عليه ملكة الحقار؛ فهي كلمة سوء المآل وملكة العذاب والنكال، وهذه الملكة والكلمة حقيقتا كائنة مالك الغضبان وخازن النيران، ومفيض أحكام الهوان في دار الهون، فلبس سربان هذه الملكة بدلاً من حُلة تلك المكلة، وخلعت عليه نفس العزة لما انخلعت عنه خلعة روح الرحمة وهى العزة التي أقسم بها الرب العالمين ليغوينهم أجمعين، واستثنى منهم المخلصين بعد ما أنظره إلى يوم الدين، فهذه القوة الإبليسية والعاقلة التدليسية؛ هي الهيئة التي يلبسها الكافر قرينًا، ويأكل منها

زقومًا، ويشرب منها غسلينا وعلى كل صورة إبليسية ورقيقة تدليسية رقيقة مالكة وكلمة جارية حاكمة، فطَبَقٌ راكب على طبق، وغلقٌ محكم على غلق وكذلك يكون القرين في دار النعيم للمؤمنين الطيبين سنَّة كسنَّة وحكمة كحكمة، غير أنه لا طبق ولا غلق وإنما هي حلة منها على أي صورة شاء، وأحب وفاقًا بحكم ما أطاع وتقرَّب فلا ينزع من الحلل شيئًا مولاها ولا يستر آخرها أولاها.

واعلم أنه لما طُرد الطريد وأُبعد البعيد كان يوم فرح وسرور وعيد، قبض الله نور الروح المنفوخ بالبطون، وكتمه في كتابه المكنون ولولا ذلك ما رفع الساجدون رءوسهم ولا علم الغائبون تحت حضور التجلِّي نفوسهم، فلمَّا بطن نور الأنوار في بطائن أنواره رجع كل غائب إلى داره، واستقر ما مأخوذ عن نفسه في مقر قراره، وأدخل الله آدم إلى الجنة الملكية ونعَّمه بالتصورات الروحانية والانخلاعات المثلية من تصورات كائنية الجمعية فعمَّر آفاق باختلاف تصورات أشكاله وتنزُّلات أمثال تمثاله، وبما كان خليفة المملكة جعل بيده عصمة الملكة، لبطانه ذرة القدرة التي أسَرَّها الرحمنُ سره، كانت عيون الملك والملكوت إليه ناظرة بحيث تتجلى في الصورة الناعمة الناضرة، فلمَّا تشوق إلى رؤياه وأحبَّ النظر في وجه محياه، نظر في ملكه وملكوته فلم يرَ شيئًا على صورة ناسوته؛ ولأن الربوبية أبدًا تستدعي لمحمولها موضوعًا ولإحاطة استوائها عرشًا رفيعًا، ولا بد أن يكون على صورته وشاكلته وعين نسخته، فخلع السر الأقوى عن صور صورته صورة حواء كخلع القبس عن القبس، أو الشرر عن الزِند المقتبس، والأول أعز وأنفس وأظهر في البيان وأقيس، فتملَّى برؤياه في مرآها لما تجلَّى بشاكلة شكله في شكل محياها، فحنَّ إليها حنين النفس للنفس، وائتلف بها ائتلاف الجنس بالجنس؛ فهي عرش لاستوائه ومرآه لرؤياه وخزانة لودائع إيَّاه.

واعلم أن الشجرة التي نهى عن أكلها، وعُيِّنت له بشكلها وعيَّنها كانت في أنزه المرائي من حيث ظهرها، وأزهى نبات الجنة بحلل رونق ورقها، وزُهُو زهرها وهي في باطنها رقيقة الحية السوداء والداهية الدهياء نفسُ هذه الأرض التي نحن اليوم بها؛ وهي الظلمة الحجابية ونكتة الطباع الظلمانية صورة سجن سجين وقعرة أسفل سافلين وطابع التحجير وضغطة مضايق درك السعير، ادَّخرها الله تعالى في هذه الصورة النزيهة المزينة، والحُلة المرقومة المبهجة فتنة للناظرين، وابتلاءً لأبصار بصائر المستبصرين؛ وليتميز بمحك التميز البهرج الزيْف من الذهب الإبريز، فيميز الله الخبيث الخسيس من

الطيب الثمين، ويفرِّق بالتعيين بصائر المستبصرين من أوهام القوم العمين.

واعلم أن الناهي هو: الماسح على العين الآدمية والمفيض عليها الخلعة والرحمانية الربانية.

والمنهي هم: الصورة الذرية من القبضة الجنوية والقبضة النارية، ونسب الحكم في الخطاب لآدم بالتعيين؛ لأنه حضرة جمعتهم أجمعين وهو في الحقيقة عرش الآمر الناهي وكرسي الحاكم القاضي، فاحذر أن يزلَّ بك قدم الرسوخ عن صراط العرفان، ويكبو بك جواد الفهم في ميدان البيان.

واسمع من معلم القرآن: ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ**﴾ [الحجر:42].

وكان النهي بالوحي الملكي في تنزل الجبريليَّات الحكميات المتنزِّلة عن الحضرات المحمديَّة بالتجليات والرحمانيات إلى المشاهد الآدميات الربَّانيات، والمشارق الشمسيات القمريات بالإخبارات النبويَّات إلى عموم التبعيَّات، وهذا أول الحدود التشريعيَّة والإلزامات التبعية في النهى والأمر والقسر والجبر.

وأما عهد: ﴿**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ**﴾ [الأعراف:172] فإنه عقدٌ إيماني، وشهودٌ عرفاني وحداني؛ فهذا أصلٌ لذاك.

ولما كانت الآدمية في نفسها وحكم جنسها موضوعة بالاختيار للمختار، كانت دقائقها ورقائقها ربَّانية، وحقائقها ولطائفها رحمانية بحيث تكون مستودع سرَّ الأسرار قدِّر لها هذا المقدار، كان التحكُّم عارضًا عليها، مِباينًا للسرِّ الذي يليها ويسرى بهويَّة سرِّه فيها، فامتثلت الأمر المأمور لما تم من بطون وظهور، ولتنفذ حكمة القدر المقدور، وكانت هذه الرقيقة الباطنة في الشجرة وهي النفس المقعرة القعرة على صورتها الخاصة لها والحاصرة لماهيتها، والمنحصرة في جزئها بكليتها؛ وهي صورة حيَّة رقطاء بهمَّةٍ دهماء وداهيةٍ دهياء سوداء، فخرجت من جُحر شكل الشجرة وقد استعارت حُلَّتها المرقمة النضرة، وخرجت إلى ظاهر الصور، وأدخلت الطريد المهجور وذلك أنه لما خرج الحاسد والطريد المعاند؛ وهو أحد العقول المطلقة العارفة بذخائر الملك المحققة؛ وهو العقل الذي أضلَّه الله على علمٍ فأعمل الفكرة والنظر في استخراج وسيلة إخراج البشر من دار الصفاء إلى دار الكدر حتى يتمكن من غوايته، ويُظلم عليه مرآة هدايته، فلم يرَ غير هذه النفس القعرة والذخيرة النارية في باطنه شكل الشجرة، فاستنزلها بحكمه الاستنزال، والتبتل في التوجُّه الفعذَال كما تقدَّم له في

استنزال الروحانية الملكية المنخلعة عنه عند المعصية بالكليَّة، فلما تنزَّلت له هذه النفس الدنسة في شاكلتها، التبس بها، واتَّحد في صورتها وجاز فيها إلى المحل الذي منه نزلت لما استنزلت، والشكل الذي دُسَّت فيه وادَّخرت، ثم خرج في صورة هذه الحية إلى مقر الجنة، فلمَّا رآه أدم يسبح ويرعى ويسيم ذلك المرعى وقد خُيِّل إليه مِن سحرِهِ أنها فلما انطبع بها هذا الانطباع، واتَّحد بها هذا الاتحاد فكانت له لباس تلبيس وطابع تأكيدٍ وتدليس؛ فهي برزخة في البرازخ الدنيويَّات قعرته في القرارات الأخرويات؛ وهي صورة الجحيم كيانه دار الغسلين والحميم.

فلما دخلت به إلى الجنة الآدمية، وتراءت له في تلك الهيئة المرئية أمرت المطيع والمجيب السميع في معرض النصيحة والتبيين: ﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ [الأعراف:21] بالله ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف:21].

فاتَّبعت القبضة اليمينية بالعصبة الإيمانية حقيقة المذكور لما أقسم، وإبرازًا للقسم ونسيت العهد المبرم ذهولاً عند سماع المذكور عن المنهي والمأمور، وبادرت قبضة الشمال بمَا ثَمَّ من عللٍ واعتلالٍ تشوقًا لصفة الملكية والخلود، ولما شاب هذه الفرقة من لباس رداء الكبر عند السجود، فلمَّا مُدَّت يد الآكل اتَّحد بأكلته الآمر، فلمَّا تناولها وازدردها وهشَّمها وحللها، اتَّحد به مَن حل بها، وشابكه ومازجه مَن انحلَّ عنها، فانخلع اللباس وظهر المستتر من الجنة والناس، وكان هذا الانحلال لموضع: ﴿اخْرُجْ مِنْهَا﴾ [الأعراف:18]؛ وهى الطردة الأولى؛ ولأن الله تعالى قد حجَّرها عليه وحرمها، فما كان له أن يستقر بها، فهبط آدم مع هذه النفس إلى الأرض، وتَمَّت حكمة هذا الفرض.

كيفيَّة النـــزول إلى ظاهر هذا الكون المفصول

واعلم أنه لما تحرَّكت هذه الأفلاكُ الطباعُ الأربعة كليات الأجزاء الجسمانية المنطبعة من المعدن والنبات والحيوان وصورة ظهارة جسم الإنسان، كان أول متولِّد ولدت وصورة أظهرت وعينت ببطن نعمان صورة الإنسان، وبما اجتمعت أقوية الطباع بما فيها من مولِّدات أوضاع وتصورات طباع في انطباع بالقبض العزريلي، وإذن الوحي الجبريلي فأنبتت ببطن نعمان فخارة صورة الإنسان على هذه الصورة التي نحن اليوم بها، والفخارة التي نحن الآن فيها، كما نبتت الحبة في حميل السيل.

قال تعالى: ﴿وَاللهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتاً﴾ [نوح:17]، وقد اجتمعت جوامع الطباع بالأوضاع في حجابه الكائن على صورته؛ وهو معنى صورة آدم التي كان بها آدم في

جنته ودار كرامته، فلمَّا كملت صورة جامعة أوضاعًا وطباعًا كاملة ستين ذراعًا وتفخَّرت، وأتقنت، واستعدت بما أحكمت؛ فهي باب في الصور البرزخي، يخرج منها من الدار إلى هذه الدار، ويدخل منها من هذه الدار تلك الدار؛ وهذا هو الباب الذي باطنه فيه الرحمة وظاهره من قلبه العذاب.

فلما قيل لآدم: ﴿**اهْبِطُوا**﴾ [البقرة:36] وليس الهبوط كالخروج، كما أنه ليس الدخول كالولوج، فهبط آدم إلى هذه الصورة المصوِّرة، والفخارة المفخَّرة ونتيجة هذه القعرة المقعرة، فكانت له وقاية وجلبابًا وقرابًا وجرابًا، فاستتر العلا، وذهل النهي، بطنت عصمة الولاء لما وهنت القوى، واجتمع هذا القرار الواحد آدم وحواء، فلمَّا استقر في هذا القرار، ونظر في هذه الدار وجدها أرضًا وهْداءً، ووهدة جرداء ليس فيها شئ إلا الأودية والجبال والجو المتجرِّد في صور التمثال، فقرع سن الندم، وأجرى دمَع الحزن، وجلس جلسة من طرقته طوارق المحن، واستغرق في سكرات الفكر، وغاب في دهشته من حيث حضر، فانخلعت عنه في تلك الغيبة والسكرة إلى ظاهر هذه الدار القعرة صُور مجرَّدة من صور تلك الدار، ورقائق مشكلة من أشكال ذلك القرار، وهي التي تسمَّى في عالمنا هذا أعني: عالم الأكوان صور الجان؛ وهي غائبة في تعيين الأعيان وكونها غائبة عن عين العيان بكون غيبة خالعها عن صور الجسمان، وفي هذه الغيبة انخلع إبليس بما كان مازجه من تلك الأكلة.

وعن هذه الخَلعة الإبليسية الشيطانية تتخلع الشياطين أولاد إبليس اللعين، وبما مازج الآدمية، وانخلع عنها تمكن هذا التمكين في التلبيس والتزيين، وحكاية الحق بالتلبيس في صورة الإفك، وبذلك جعل له عرشًا ومستوى ومُلكًا وحفدة وولاة، ونصبه على البحر الملح الأجاج، والفج الواسع العجاج؛ ولأنه له مقرًّا وقرار إذا صار جحيمًا ونارًا.

ولذلك قال ﷺ للبحر: «**متى تعود يا بحر نارًا**»[1]، فلمَّا انخلعت هذه النفس الإبليسية بقيت النفس التي كانت في باطن الشجرة؛ ولأنها أرضية طبيعية جحيمية والطينة أيضًا كذلك، فتشابكت الطباع بالطباع، والتحمت الأوضاع فصارت هذه النفس مدسوسة في اللحم ممتزجة بالدم؛ وهي التي كتب عليها الموت، وتذوَّق غصص الفوت.

(1) لم أقف عليه هكذا.

واعلم أنها لا تخالف نزاعًا، وإنما تخالف طباعًا بخلاف النفس الإبليسيَّة، فإنها تخالف عنادًا وفجورًا، وتأمر تلبيسًا وغرورًا، وتعِدُّ إيهامًا وتخيُّلاً وزورًا.

واعلم أن الشيطان صار لهذه النفس قرينًا، وبها على إغواء الإنسان مستعينًا، ومحلها من هذه الصورة الطينية في العلقة الكائنة في القلب الذي هو المضغة اللحمية الصنوبرية، فما من رقيقة من هذه النفس الطبيعية إلا ولها رقيقة من النفس الشيطانية الإبليسية؛ وهي التي قال فيها ﷺ: «**أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك**»[1].

وليست هذه النفس التي قال ﷺ: «**مَن عرف نفسه عرف ربَّه**»[2].

واعلم أن هذه القبضة العزرائيلية التي قبضها من الأرض، وجمعها من الطول والعمق والعرض؛ هي قبضة قهرٍ واستيلاءٍ وحُكم حكمة سطوه بقوى، فما من ذرة من هذه القبضة الأرضية إلا وعليها رقيقة عزرائيلية، وهذه القبضة في نفسها وإحاطة قدسها؛ هي كرسي مَلك الموت؛ وهو جزءٌ من العرش الإسرافيلي الذي هو موضع اسم الله المميت ومستوى استيلائه المحيط، والكلي العرشي أبدًا مُتجلٍّ في جزئية أجزاء كرسيه.

ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**مَن مات فقد قامت قيامته**»[3]، وكان هذا العرش بباطنه وظاهره، فظاهره للإماتة وهي النفخة الأولى الكلية المحللة للنظام الطبيعي، وطفي سراج الروح العرضي الأرضي.

وباطنه وصل الحياة المتَّصلة بالبقاء الأبدي والدوام المستمر الأمدي، وهذان سرُّ النفختين؛ نفخة الصعق وحل النظام، ونفخة الإعادة والقيام لجميع الأنام، وبما كان عزرائيل كرسي كلية العرشي، كان متنزِّلا به في صورة جزئيته، فيقبض بالتبعيض والتعاقب بحكم ما يعطي الآجال والأعمار في الأحقاب والأدوار، وبما انحصر بكلِّه في هذا الجزء، وكان له أيضا ظاهرًا وباطنًا على سنَّة الإماتة والإحياء، وكان هذا الكرسي العزيز العزرائيلي مرآة تجلِّي الأعمار والآجال، وحصر دقائق الأوقات والأحيان، ولوحٌ من ألواح المحو والإثبات في المحيا والممات، يجد ذلك بالقوة

---

(1) رواه البيهقي في الزهد (157/2).

(2) ذكره العجلوني في كشف الخفا (1225/2).

وذكر قول الشيخ الأكبر بأنه وإن لم يصح من طريق الرواية لكنه صح عندنا من طريق الكشف، وقد صححه السيوطي وشرحه برسالته: «القول الأشبه».

(3) رواه أبو نعيم في الحلية (268/6)، والديلمي في الفردوس (285/1).

وجدانًا، ويعلمه بالروحانية فرقانًا لا تختلف عليه سنَّة، ولا تتبدَّل عليه في ذلك حكمة، وله التمثُّل والتشكُّل والتصوُّر بالتجلِّي في التنزُّل، فرقائقه تتجلَّى لكل رقيقة نفسانيَّة على شاكلة العِلمية، فإن كانت إيمانيَّة روحانية ألبستها من شاكلة حيَّاتها، ونقلتها إلى دار جناتها وخُلْدِها وبقائها، وإن كانت الأخرى ألبستها من شاكلة الممات، وغصص الفوات في نزاع الأدواء والآفات، وأدخلتها في النفس الغضبية الطبيعية الأرضية؛ وهي الحية الرقطاء والداهية السوداء، فتكون عُنقًا من جهنم بعد أن لبسها القرين الشيطان الذي هو مَددهَا في دار الهوان، وهذا القرين هو المنحصر تحت تطبيق ملكه طابق مالك الغضبان، فَلك كلمة الصغار والهوان.

وهو قوله تبارك وتعالى له عند الإباء والعصيان: ﴿**قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ**﴾ [الحجر:34]، وقوله: ﴿**وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ**﴾ [ص:78].

وهذا هو معنى إطباق الطبق والقرين الخاسئ اللعين، رقائق مَلك الموت وسهام غصص الفوت في صور الأعمال الشنيعة، وأشكال الأحوال المستبشعة وهم أيضا بالتقرين وهم النازعات غرقا، ثم الحية وهي النفس الطبيعية والرقيقة الجهنمية، وهي أيضا بالقرآن والتطبيق: ﴿**لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ* فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ* وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ**﴾ [الانشقاق: 19،20، 21].

وهذه الأطباق والقرانات لها تنزُّلات في الدركات؛ وهي السلاسل والأغلال والزقوم والغسلين والحميم واليحموم والمقامع والثياب المقتطعة من النار، إلى ما ثَمَّ من حيَّات وأفاعي وعقارب كالبغال، وتهويل عذاب ونكال، وتغليظ أضراس الكافر حتى تكون كالجبال كل ذلك من سنَّة التنزيل في التفصيل، وتكثير التقليل بالتشكيل، والتمثيل.

وبما قال تعالى: ﴿**لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ [ص:85].

واعلم أن غصص الموت تصعب بكثافة الطبع، وتسهل بسهولة المطبوع في الوضع فالمؤمن الهين الليّن له الهين واللين والأمان والتأمين، والكافر له الحرج والضيق والتسعير للخصم الألد الأبلد العسير.

قال ﷺ: «**فمَن وجد خيرًا فليحمد الله، ومَن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه**»[1].

(1) رواه مسلم (1994/4).

هيئة وماهيَّة وتصوُّر وكيفيَّة

وبما كانت الأرض الأولى؛ أول خلعه خلعها، وبدعة أبدعها، وخلقة خلقها، وفتقة فتقها، ربَّعها وسبَّعها، وقدَّر فيها أقواتها وأوقاتها، وفجَّر خلالها أنهارها، وبارك فيها، ونوَّر أنوراها، كانت هي الأرض المقدَّسة القدسية، والنفس المذلَّلة الرضيَّة، وهي التي يرثها عباد الله الصالحون الأولياء.

قال تعالى: ﴿**وَقَالُوا الْحَمْدُ لله الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**﴾ [الزمر:74].

ولما أراد الله تعالى طهارتها وتقديسها ونزاهتها، جرَّد عن نورها لهبَ نارها، وعن لطفِ نسْمةِ نسيمها هيئة هوائها، وعن صفاء ماء حياتها جرم مائيَّة مائها، وعن تروحن شبح أرضها كثافة طينها، ثم جمعها وألَّفها وصوَّرها ورسبها، فكانت نفسًا طبيعية وجوهرة وضعية، فرسبت أسفل سافلين، وانحطَّت انحطاط الطين، فلمَّا فارقت أرواح السكينة وأسرارها الثابتة المكينة، اختلط أخلاط مزاجها، وعظمت حركة اضطرابها وانزعاجها، فسألت بحرًا ملحًا أُجاجًا أسودًا نتنًا عجاجًا محمولاً بماسك القوى على ظهر الهوى، فكانت ذا منظر شنيع، ونبت شوك وضريع.

قال تعالى: ﴿**طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ**﴾ [الصافات:65].

وقال: ﴿**لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ**﴾ [الغاشية:7]، وبما كانت هذه النفس الطبيعية ذات أربعة أمزجة: البرودة، واليبوسة، والحرارة، والرطوبة ولما اختلطت ذلك الاختلاط، واضطربت ذلك الاضطراب، ائتلفت قواعد الأركان بحكمة مكون الأكوان ومالك المدبرات بالأمر الحكيم العظيم السلطان؛ وهي المدبرات أمرًا كما قال تعالى ﴿**فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْراً**﴾ [النازعات:5].

فانتظمت اليبوسة والبرودة، فكان منها قوة الجمود وانعقاد الجسم الجلمود، وانتظمت اليبوسة والحرارة، فكان منها قوة الإحراق والجسم ذو إشعال والإبراق، وانتظمت الحرارة مع الرطوبة، فكانت منها قوة الهواء السموم والجسم اليحموم، وانتظمت الرطوبة والبرودة فكانت منها قوة الماء الحميم.

كقوله تعالى: ﴿**لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ**﴾ [الواقعة:44]، فارتفع الأثير كالسماء تحمله قوة الهواء، وانحطَّت الأرض الصماء، وعلاها جوهر الماء، وهذه الأركان الأربعة والهيئة المربعة كلها في صُور صورة القَرن أسفلها أضيق من أعلاها، وآخرها أحصر من أُولاها، وبما وصف ﷺ صُور إسرافيل وشبَّهة بالقرن.

أو قال: «**هو قرن**»(1).

ووصف أنجاشه، فقال: «**بعدد الأرواح**»(2)، وهذه الأنجاش أعيان الصوَر.

وكان انعقاد هذه الأرض في وسط البحر المحيط المقدم ذكره كالبيضة القائمة على عقبها في وسط ماء، وقد ظهرت من الماء بنصف دائرتها، وركن الماء جسمٌ لطيفٌ سائل وركن الهواء هَبَابٌ مرتفعٌ حامل، والأثير ركنٌ ذو أقوية وتأثير وتغيظ وزفير، وفلك دولابي دائر مستدير، ثم فتقته القوى بسنَّة التسبيع بعد التربيع، فلمَّا كثر الانزعاج والاضطراب أبراز فيها المكون بالتكوين بقوة بنية الجماد أعيان الجبال الأوتاد كالأطواد كالنتوء الكائن في الأبدان، ثم تعيَّنت نتائج مُولداتها أعيانًا لا أشباحًا، وأجسامًا لا أرواحًا بعد تعيين عين فخارة آدم من الحمأ المسنون بحكمة الوزن الموزون.

وهذا تكوين أعيان المعدن والنبات والحيوان، وكان هذا بحكمه فتق الأثير وسنَّة تأثيره في التدوير والتدبير والتقدير؛ ولأنه تعيَّنت فيه أعيانٌ بالقوى، ونفوس لهبيَّة برزت بحكمة بروز الأرض على السواء، فتعيَّنت فيه أعيان الكواكب ذوات المشارق والمغارب، فكان منها ثابتًا كالجبال، ونابتًا كالأشجار، ومتحرِّكًا كالحيوان، سيَّار حكمة كحكمة، وسنَّة كسنَّة، فكان من الكواكب سبعة سيارة؛ قد أسرَّ فيها مُدبِّر هذا الكون أسراره، وجعلها في السبع الطباق المفتوقة من الأثير لما يكون من حكمة تدبيرٍ وتأثيرٍ وتصريفٍ وتدبيرٍ بقدرة العليم القدير.

واعلم أن ما في الأرض من صورة نبات على أي شكلٍ كان، وكذلك معدنٍ وحيوانٍ إلا وفي هذه النفوس السماوية والأعيان الأثيرية ما يكون على شكله وصورته وخاصيته وطبيعته ومقابلته وموازنته حكمة حكيم، وقدرة قدير، وما من كونٍ من هذه الأكوان وعينٍ من هذه الأعيان، وفلكٍ من هذه الأفلاك إلا وله قوة وأقوية، ومَلكة ومُلك وأملاك كما أنه في كل فَلك أفلاك، وفي كل عينٍ أعيان كل هذا وهي مجرَّدة عن الرحمة والأنوار والنعيم والقرار والاستقرار، وبما كانت الأرض التي تخلَّصت منها، وانفصلت عنها دار نعيمٍ وتنعيم، وقدس موقَّر كريم، وفضلٍ مستمرٍ مقيم؛ وهي أُفق ميكائيل، وفلك مرآة التمثيل في التنزيل، كانت ذات أنوارٍ، وقرار، ونبت، وأشجار،

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك (473/2).

(2) ذكره المناوي في فيض القدير (242/4).

وأنهار، وحور، وولدان وقصور، وأبنية، وألوان وفيها من كل شيء زوجان غير أنها كلها مَلكيَّة ملكوتيَّة شبحيَّة روحانيَّة جبروتيَّة نورانيَّة ربانيَّة رحمانيَّة غِراسها: «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

وهي الباقيات الصالحات، وأبوابها الصوم والصلاة والجهاد والزكاة إلى غير ذلك من أنواع الديانات.

وإذا قال العبد: «**لا إله إلا الله**»؛ تخرُج من فِيه طائرة؛ وهي ملكٌ عظيم، وروحٌ كريم يقول: لا إله إلا الله، فيكون عنه مثله.

وكذلك إذا قال العبد: «**سبحان الله وبحمده**»؛ تكون عنه نخلة، وهي ملكٌ كريم يقول: سبحان الله وبحمده، فيكون عنه مثله وهي التاليات ذكرا.

وكذلك جميع حركات العبد المؤمن في الأقوال والأفعال إلى ما لا نهاية لها، ولا انتهاء ولا انفصال، ولا زوال، ولا انقضاء؛ وهي كلها له مرائي تجلِّيات، وخلع تنزُّلات وتروحنات، وتنعمات، وتلذُّذات، وتمتُّعات وبما يكون القصر من لؤلؤة وياقوتة مجوَّفة أو ذهب من لبنة، وأخرى من ذهب بغير عمدٍ ولا علاقة، ويكون فيه من الاتِّساعات والانشراحات ما وصفه ﷺ من تكثيرات السرر والفُرش والأنهار التي تجري بينهنَّ غير مؤثِّرة فيهن بللا.

وما وصف من تكثير الحور والولدان والموائد والصحاف من الذهب والفضة، وما فيها من الأطعمة والألوان، وما ذكر من الزين والجمال والطيب.

ثم قال ﷺ: «**ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر**»[1].

بما عظَّم الله أمر هذه الدار التي قدَّرها تقديرا بقوله: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً**﴾ [الانسان:20].

كل هذا من أسرار التنزُّلات والتمثُّلات والتصوُّرات المتخلِّعات بالتنزُّلات في التجلِّيات، ولما يتخلَّق به المؤمن من أخلاق الله العلي، ويحصي من أسمائه الحسنى؛ يكون بها فعَّالاً لما يريد، قادرًا على ما يشاء.

قال تعالى: ﴿**لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ**﴾ [قّ:35]، وبما يأتيه الكتاب من الحي الذي لا يموت إلا الحي الذي لا يموت فيكون: ﴿**دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللهمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [يونس:10].

---

(1) رواه البخاري (1185/3)، ومسلم (2175/4)، والترمذي (346/5).

وهذا القصر القائم الكائن في جو الهواء بغير علاقةٍ ولا عمدٍ ولا أساسٍ ولا متعمدٍ؛ هو من سرِّ الجناح والبراق وبصيص برق وميضهِ البرَّاق.

ولأنه قال ﷺ: «**أرواح الشهداء في حواصل طيور خُضرٍ يَرتعن بهم من الجنة**»[1].

وقال ﷺ: «**إنما نسمة المؤمن طائر تعلَّق في شجرة الجنة**»[2]، وهذا الطائر صورة من صور تمثُّلاته، وخلعة من خلع تنزُّلانه يكون في بطانته الروحانية، وسريرته السِّريانيَّة من التجلِّيات والرحمانية، والتنزُّلات الربانية، والتمثُّلات الروحانية، والتكونات الإدارية الاختيارية.

من قوله ﷺ: «**ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر**»[3].

وبهذا السر العظيم، والأمر الحكيم، والاتِّصافات بسرِّ التخلُّق بالأسماءِ والصفات تسجد له سجداته، وتصلَّى له صلواته، وكذا يسبِّحه تسبيحه، ويحمده تحميده، ويمجِّده تمجيده إلى غير ذلك مما سمع فيه وأطاع وأحسن بعلم صدِّيقيَّته فيه الاتِّباع، ومَن أحبَّ شيئًا عبده، فعبادته ثمرة محبَّته، وثمرة عبادته انخلاع تجلِّي صورة معبوده عليه، وانخلاع صورة معبوده عليه ثمرة محبة المعبود لعبده.

ورد: «**فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، بصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي عليها**»[4]، إلى غير ذلك من الأعضاء التي هو بها.

وهذه الصورة الرحمانية التي خلقه الله على مثلها، كما جاء:

«**خُلق آدم على مثل صورة الرحمن**»[5]؛ وهذه صورة علمية قادرة قدوسيَّة منزَّهة علوية، لا تماثلها الأمثال ولا تشاكلها الأشكال؛ وإنما هي تجلِّيات أنوار وتنزُّلات قدس ووقار.

والجليل جلَّ جلاله، وتقدَّست ذاته لا تخيله الأوهام، ولا تكيِّفه الأفكار، و﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ [الأنعام:103].

وما يكون ثَمَّ من مقابلةٍ وإقبالٍ وتقابلٍ وأُخوةٍ على أَسرَّة سُرور ومحبَّة مع حكم التفاضل؛ هو ما يكون عليه الإنسان في هذه الدار من التصورات السمعية في التمثُّلات

---

(1) رواه الديلمي في الفردوس (238/1)، بنحوه.
(2) رواه النسائي (665/1)، وأحمد (455/3).
(3) تقدم تخريجه.
(4) رواه البخاري (2384/5).
(5) تقدم تخريجه.

الخبرية والنظرية، كما تُنقل له أخبار الصالحين والعلماء العاملين والأنبياء والمرسلين والملائكة المقرَّبين، وتنعت له منهم هيئات وصفات وكيفيات جميلة وسمات، فتتشكل في داخل ذهنه منهم تشكُّلات؛ وهي صور مجرَّدة قدوسيات على قبولِ وصفٍ عظيم، ووسمٍ كريم بحسب ما يكون التوقير والتعظيم.

قال تعالى: ﴿**وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**﴾ [يوسف: 76]، وكذلك يتصور بالضدِّ صورَ أهل الضدِّ؛ وهو الغلّ الكائن في الصدور، فإذا كان يوم القيامة في دار القدس والكرامة والتسليم والسلامة، نُزع هذا الغل من الصدور، فتنسخ منها أشكال أهل الكفر والفجور والإلحاد والعناد والثبور، وتبقى الأشكال النورانية والأعيان الإحسانية والصور الروحانية صورًا حقًّا ووجودًا صدقًا.

كما قال ﷺ: «**مَن رآني فقد رآني حقًّا**»[1]، وفي الطريق الآخر: «**سيراني حقًّا**».

وهذه الصور المجرَّدة القائمة المحقِّقة المفصِّلة الموحِّدة هم إخوان سرره وسروره، وإقبال تقابله في تحبيره وحبوره، ومرائي تجلِّياته في حظيرة حضرة حضوره.

وبما قال ﷺ: «**المؤمن مرآة أخيه المؤمن**»[2]، فلذلك مع كل مؤمن وليٍّ بقدر ما بلغه وعلمه وتصوَّره، بحكم ما فهم من الأنبياء والرسل والشهداء والصالحين والعلماء الأعلام والملائكة الصافين، والحافين والمقرَّبين أهل القدس والإكرام وعمرة دار السلام.

قال تعالى: ﴿**فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً**﴾ [النساء:69].

ومن ثَمَّ تلوح لك بارقة من بوارق أسرار الأسرار، وحقائق رؤية النزلة الأخرى، ويتنزَّل لك علمٌ من علم فتح أبواب السماء، ورؤية أشباح الأنبياء وعظيم هيئات صور الملأ الأعلى، وما وصف ﷺ فيما رأى من عظيم خلق ملائكة ملكوت النُّهى وما غشي سدرة المنتهى من الآية الكبرى، فوصف ديك العرش وعظم خلقه، وصورة مَلك الموت وإسرافيل إلى غير ذلك مما يقصر عنه التطويل.

وكما نُقل عن علي وابن عباس رضوان الله عليهما: «**إن الروح ملك من الملائكة العظام له سبعون ألف رأس في كل رأسٍ سبعون ألف وجه، في كل وجهٍ سبعون ألف**

---

(1) رواه البخاري (52/1)، ومسلم (1774/4)، والترمذي (535/4).

(2) رواه أبو داود (280/4)، والبيهقي في الكبرى (167/8).

فم، في كل فمٍ سبعون ألف لسان، كل لسانٍ يسبِّح الله سبعون ألف لغة، يخلق الله من كل تسبيحة ملكًا يطير في الملائكة إلى يوم القيامة»[1].

وهذا مما نُقل عنه ﷺ، فمَن أَشعلَ من نوره مصباحَه، وأطلع في أفلاك صدِّيقيته صباحه، وأوضح ببيان هدايته إيضاحه، فتح له باب إلى هذا الملكوت الروحاني، وانشرح له سرٌّ من هذا المقدس السرياني، فليرجع البصر لسرِّ هذا التَّحاب والإخاء الذي يكون في دار البقاء والرفعة والارتقاء، وذلك بما يكون من إسقاط حكم الغير والسوى.

وبما قال ﷺ: «**المؤمنون كرجلٍ واحدٍ**»[2].

وجاء: «**كجسدٍ واحدٍ**»[3].

وكما قال ﷺ: «**الأرواحُ جنودٌ مجنَّدة**»[4][5].

---

(1) رواه الطبري في التفسير (156/15).

(2) رواه مسلم (2000/4)، وأحمد (271/4).

(3) رواه مسلم (205/4).

(4) رواه البخاري (1213/3)، ومسلم (2031/4).

(5) قال سيدي محمد وفا في المعاريج: وأما الأرواح فإنها مخلوقة من النور الإفاضي العرشي، ولها التقدُّم في الخلق على الأجساد بألفي عام بما شهد به الخبر النبوي، وأما الأرواح النورانية السعيدة فإنها تعرج إلى مقامها العلي، ومحلها البهي، ضمنها لطيف الجسم النوراني، والهيكل الإنساني، فأرواح السعداء ظاهرة أنوارها، باطنة نفوسها، مستهلكة الأجسام ضمن الأرواح، فالأجسام باطن الأرواح في دار البرزخ، ودار المحشر، وفي دار الدنيا جسم ظاهر، والروح باطن، فالأرواح النورانية في داري الدنيا والبرزخ، يكشف بعضها بعضًا، ويشهد بعضها لبعضٍ لما بينهن من المناسبة والتعارف، وقد نبَّه رسول الله ﷺ على ذلك بقوله: «خلق الله الأرواح أجنادًا مجندةً، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف».

وكذلك النفوس في مجانستها ومناسبتها، فالأرواح أنوارٌ للسعداء، وظلمٌ للأشقياء، وأجسام السعداء منعمة بتنعيم نفوسها، وأجسام الأشقياء والعذاب مشترك بين النفوس والأجسام، وهذا ظهر لهذا، وهذا بطن لهذا، فانتشار البشرية ظهور صفات النفس الطبيعية، التي لا انفكاك للصفة الآدمية الإنسانية منها، ولا خروج لها عنها، ولهذا أمر الله تبارك وتعالى نبيه محمدًا ﷺ أن يقول: قل: إنما أنا بشر مثلكم فامتثل أمر ربه ﷻ وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ [فصلت: 6] كما أمر، قال ﷺ ولم يقل: (إنما أنا بشرٌ مثلكم)، فهو مأمور ببلاغ ما ينزل إليه من ربِّه كما أُنزل، من غير زيادةٍ ولا نقصانٍ، قال الله تبارك وتعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: 67].

=

أو كما قال ﷺ: «**القلوب ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف**»[1].

وكما قال ﷺ: «**المؤمن أخو المؤمن**»[2] من أمه وأبيه مغايرة ولا أغيار، ولا مناكرة ولا إنكار في دار القرار والاستقرار؛ وإنما هي تجلِّيات أنوار، وسريان أسرار في بواطن الأحرار، وهذه الأرض السيَّارة التي كان بها آدم عليه السلام قبل النزول إلى هذه الدار، فلمَّا نزل، وفي هذه القعرة حصل على النحو الذي تقدَّم والإحكام الذي أحكم؛ كانت الرحمة التي يتنزَّل بها ميكائيل إليه هي رحمة من مائة رحمة من الدار العلي والمقر الأقدس الأحيا التي كان بها، فلمَّا اتَّحدت الكلمة الميكائيلية بهذه الرحمة مع آدم في الصورة الطينية الحمئيَّة والفخارة الأرضية السفلية؛ وهي في تلك الغيبة النوميَّة، والأخذة الوحشيَّة، وخُلع عنه الصور الجنيَّة من المعدنيَّة والنباتية والحيوانية، اتَّحدت هذه الخُلع المخلوعة بالأعيان الكائنة قبل نزوله، كما اتَّحد هو بهذه العين، وبتلك الغيبة جرت سنَّة النوم في الخلق حتى اليوم وتفاوتت هذه الصورة المخلوعة في هذا المنام كما تفاوتت صور الرؤيا، وتشكَّلت أضغاث الأحلام، فكان منها وحشيًّا وأُنسيًّا مُشتهى مرضيًا ومستجنًّا شبحيًّا جنيًّا.

واعلم أن هذا الجبل قاف صورة مَلك الجبال والأحقاف، والحية الخضراء صورة مَلك الأرض السفلي، والقعرة القعرى هي في مصوِّر الجن ومخيِّلهم المستجن، وهذا يعرفه أهل الرياضات ويَشهده أرباب الكرامات إذا تلطَّفت كثافة تصور صورتهم، وتشبَّحت جسمانية جسم طينتهم.

وفي هذا البرزخ المستور المصوَّر معنا في هذا الصور؛ تكون مشاهدات عجائب وكائنات غرائب.

=

فأجسام الأصفياء والمرسلين والأنبياء والصديقين والصالحين نورانية، ونفوس الأشقياء وأرواحهم وأجسامهم مظلمة، فإنها هابطة في الدركات إلى أسفل سافلين، عكس نفوس السعداء؛ فإنها عارجة إلى عليين، فالطبيعة أثر الترابية، والبشرية أثر الطبيعة، فهي سماء الطبيعة، ولها النشور من الحشر بالخروج إلى فضاء البسط، فالحشر صفة قبض، والنشر صفة بسط، والله يقبض ويبسط، فالنفوس بالتزكية تخرج من حشرها إلى نشرها البسطي النوري، والنفس الشقية ترد على عقبها، فتدس من نشرها، وتحشر في عوالم طبيعتها. قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ [الشمس: 9، 10].

(1) رواه ابن عبد البر في التمهيد (240/21).

(2) رواه مسلم (1034/2).

واعلم أنه إذا كان القرن الثامن من الزمن المحمَّدي والوقت الأحمدي، وارتفع باطن القرآن من ظاهره، وغاب سرُّ الأسرار في غيب غيبة حاضره، وبقي ظاهر الأحكام لإمساك ما بقي من النظام، وخرج المهدي الإمام بعد هذا القرن الثامن، والدجال مَجمع الكفر والعناد، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام، وصحَّ الخبر التمام يكون بقيام هذا الإمام تلطيف صور الأجسام، ورقة تصور نفوس الأنام، وتنكشف الجان الذي هو معنا في هذه الأكوان بتجلِّي كائنة الأكوان، فيكون ما يكون من ظهور أشراط وآيات وعجائب وواقعات، كحديث الدجال وسنينه الغوال، وجنَّته وناره وإماتته وإحيائه، وخروج يأجوج ومأجوج وشربهم ماء أنهارها وبحارها، وتسللهم من أوهادها وأوعارها، ومن أحجارها وأشجارها، ونزول عيسى بن مريم عليهما السلام وقَتلهِ الدجال؛ وهو فلك إبليس الرجيم، وهو طافي العين كالعنبة.

وبما فقأ عمر عين إبليس لَمَّا اعترض له في الطريق، وهمَّ أن يعوقه ذلك التعويق، وكما اتَّحد إبليس في صورة ابن صيَّاد الدجال، اتَّحد عرشه الذي كان على البحر في صورة حماره الذي حافره منتهى طرفه، فإذا قتله عيسى عليه السلام مات جمع الكفر والإغواء، وانتُسخت نسخة فساد الآراء والأهواء، هذا بعد قتله هو للكبير الكهفي.

أو كما جاء، ودعا عيسى عليه السلام على يأجوج ومأجوج، وموتهم بدعوته، وموت جميع الكفار بريحه، وتطهير الأرض بالمطر، وإخراج الأرض بركاتها من أفلاذ كبدها، وتعظيم ثمرها، وأمان أهلها فيها، ورفع كل ذلك بانتقال عيسى، ثم يرتفع ظاهر القرآن، كما ارتفع باطنه قبل، فتبقى الخلق حثالة كحثالة الثمر، يتهارجون تهارج البهائم لا يعرفون كفرًا ولا إيمانًا ولا دينًا ولا ديانًا، وهذه الأشراط وأمثالها وما جاء فيها كلها واقعة عند تلطُّف الأجسام والأبدان، وتعيين هذا البرزخ الجان، وفي هذا البرزخ تقع الواقعة.

وهذا كله ملتمس في الصورة التعسة، وهذا من تأصيل ما حصل ذلك التفصيل المنامي والتنزيل في الغيبة عن الحس الجسماني؛ ولأنه ما من نبيٍّ إلا وقد أنذر قومه الدجال وأعلمهم بما سيكون من الأشراط الواقعات والعلامات والأهوال، وكلُّهم كانوا أهل مكاشفات ومطالعات وإخبارات على مشاهدات ومعاينات، وتكون في هذا العصر وقد حُشر الكل لحكمة الحشر والنشر، وكُشِفَ غطاء الستر بنفي كثافة الجسم عمَّا في البرزخ المشهود من تعيين أعيان الوعد الموعود، وبنزول الروح عيسى الذي ترك له إبراهيم وموسى علم الساعة، تتعيَّن هذه الأعيان الموعودة والأحوال المشهودة، وبما

يكون من مدِّ الأرض، مدِّ الأديم ونسف الجبال.

فلا بد للبشر من زيادة قوة في كيفية الحال التي يباشر بها هذه الأحوال، وتحقق حقائق الأقوال التي لا يتطرَّق إليها المحال بحال، وتكون هذه الكيفية الزائدة من مبادئ السَكرة التي تكون بها للناس عند الواقعة وقرع القارعة؛ ولأن هذه الأحوال من أشراط إتيانها ومبادئ زمانها، وتجلِّي أحكام أوانها وإبانها.

وكيف لا وهو ﷺ يقول وهو نبيُّ الساعة: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**»[1].

وقال تعالى: ﴿**أَزِفَتِ الآزِفَةُ*لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ الله كَاشِفَةٌ**﴾ [النجم: 57، 58] وبما ثقلت في السموات والأرض ذات الطول والعرض، سرى سرُّ أحكامها في الأسرار، وغشي غشيانُ سكرها إدراكَ العقول والأبصار.

قال تعالى: ﴿**يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ الله شَدِيدٌ**﴾ [الحج:2].

فإذا انتهى القول، فلنرجع إلى المقول الأول، ونفى شبهة قول من تقول، فلمَّا رجع من غيبته إلى حسِّه، ذكر الله وحمد، فبرزت أنوار أذكاره وأسرار أقواله وأفعاله، فسرت أرواح الحياة في الأرض والماء والنار والهواء، فعَذُبت الأنهار، وأثمرت الأشجار، وكفَّ لهب النار بالأنوار، وطاب نسيم الهواء بنسمات تلك الدار.

وهو من سر قوله ﷺ: «**في الأرض نهران من الجنة**»، أو «**أربعة أنهار**»[2] على الحديث الثاني؛ «**وهي النيل والفرات**»[3]، أو كما قال ﷺ فأشار إشارة معزَّزة موقَّرة مقدَّسة مطهَّرة تشير إلى حقائق وأسرار وتجلِّيات وأنوار.

وبما كانت هذه الصورة الآدمية هي باب صور الصورة الإسرافيلية، وهو الباب الذي ﴿**بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ**﴾ [الحديد:13]، فما يبرز إلى هذه الدار من روح نعيم وريِّ ماء، وبَرْدِ نسيم، وطيب ثمرة، ونبات أصل، وشجرة، وحفظ نسمة وبشرى، فمن هذا الباب بروزه وعلى هذه الطريق خروجه.

ولذلك قال نوح عليه السلام: ﴿**وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ**﴾ [هود:52]؛ وهي السماء الدنيا التي ينزل إليها ربنا كل ليلة فيقول:

---

(1) رواه البخاري (1881/4)، ومسلم (592/2).

(2) رواه أحمد (260/2)، والبخاري (1173/3)، ومسلم (149/1).

(3) رواه البخاري (1173/3)، ومسلم (149/1).

«**هل من تائبٍ فأتوب عليه، هل من مستغفرٍ فأغفر له**»[1]، إلى غير ذلك؛ ولأن القلب بيت الرب، فلا منزل له سواه ولا بيت له إلا إيَّاه.

وبما قال تعالى: «**لن تسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني قلب عبدي المؤمن**»[2]، فانتفى النزول عن غيره وفي غيره بما وجب به من القول الفصل والخبر الصدق بالنبأ الحق، فلا تبديل ولا تغيير، وإن اشتبه ذلك في أذهان القاصرين مفهومه على عقول الحائرين.

قال تعالى: ﴿**فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ الله تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ الله تَحْوِيلاً**﴾ [فاطر: 43].

واعلم أنه إذا تَمَّت القضية، وانتهت هذه النزلة السفليَّة، وارتفعت هذه الرحمة بالكليَّة، ونفخ إسرافيل في صُور الصورة، وانحلَّ نظم ترتيب طباع الكُوَر، وانتثرت الكواكب والشمس والقمر وانطبق الأثير على قعرة القعَر، كانت السبعة كواكب السيَّارة التي تكون في الجحيم وأعلاها وأكبرها الشمس والقمر، ولهذا عبَّر بهما، وسكت عن الأصغر؛ لاندراجه في الأكبر ربما يكون مِن فتْقِ جهنم في سبع طبقات سجينيات

---

(1) رواه مسلم (523/1)، وأحمد (34/3)، بنحوه.

(2) ذكره العجلوني في كشف الخفا (129/2)، والقاري في المصنوع (164/1).

لطيفة: فذلك عبد الله الذي منه كل شيءٍ، وهو من ولي كل شيءٍ، ووليُّ كل شيءٍ، والله وليه ومولاه، وهو العبد الذي يذهبه الله عنه فيجري عليه أمره كما فعل لعبد الله حبيبه حيث أجرى عليه اسمه العظيم في كتابه المبين فيما لا يكاد يُحصى ولا يُهتدى إليه إلا بعناية إفهامٍ من الله إلا ما هو بادٍ نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إنما يُبَايِعُونَ الله﴾ [الفتح:10]، حتى يجري ذلك على حواسه، كما قال في قوله: «فأكون سمعه وبصره» الحديث.

فذلك عبد الله إذا ذكرت اسمه لم يبق من ورائه ذكرٌ، فكان مضمنًا لكل حمدٍ، هو لعبد الله بما هو لله بما العبد من طينة سيده، والله الوليُّ الحميد.

وقال الشيخ العطار في شرح الصلاة للشيخ الأكبر: (الجامع بين العبودية والربوبية): فمظهره ﷺ وسع الحق بجميع أسمائه وصفاته، وكل من هو كذلك كان مظهره جامعًا لكل مظهرٍ من مظاهر الحق تعالى، حيث أن كل واحدٍ منها مظهر اسم من الأسماء، وكل الأسماء كانت بمظهره ﷺ، فكان جامعًا بين العبودية، أعني من حيث أن مظهره جمع كل مظهر؛ إذ المظهر خاضع لمن ظهر به عبد له.

والربوبية من حيث أن اسمه الظاهر به جمع كل الأسماء، وهو الاسم (الله) رب الأرباب، فعبوديته أحاطت بكل عبودية، وربوبيته أحاطت بكل ربٍّ.

فقد جمع ﷺ بحقيقته الظاهرة بين العبودية والربوبية، كما جمع ذلك بباطنه وقد تقدَّم ذلك، ولم تكن هذه الجمعية لغيره أبدًا؛ لعدم الحيطة التامة في غيره.

فهو العبد حقيقة، من أجل هذا ذكر في القرآن بلفظ العبد.

قعرات تكون لكل طبقة منها طبق من الأثير ذي اللهب والزفير والسموم والزمهرير، فتكون هذه الكواكب حجب تجلّيات عذاب وانفهاقات نكال، ومرائي تجلّيات أسماء أرباب من أسماء الغضب والإعراض، وبما كانوا في الدار شهودًا على الفاعلين، كانوا أنوارًا في عيون الناظرين، فلا وزر منهم ولا مستتر ولا مهرب ولا مفر.

وبما قال ﷺ: «**لا تُبدوا عوراتكم للشمس ولا للقمر**»[1]؛ لأنهما مَلكان من ملائكة الله ﷻ.

أو كما قال الطَّيِّلا، وهذا معنى الخبر فتكون هذه السبعة في دار الجحيم كالسبع المثاني في دار النعيم.

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ*فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ**﴾ [الواقعة: 95، 96].

تنكيتٌ وتتميمٌ

فلمَّا استأنست صورته بصورته، ورجع من غيبة سكرته إلى حسّ حضرته فاستوحش في حسّه، وتشوَّق إلى جليسه وأنيسه، فانخلعت عنه حواء بالصورة كانخلاعها أول مرة، واستمرت دورة الأفلاك وحركها، ونتاج الأركان ومولداتها، وتولُّد المعدن والنبات والحيوان، وكان ما كان في كائنة الأكوان، واستمر الأمر في دوره وكوره وحشره ونشره يسير بالسريرة، وينتقل بالذخيرة الكرَّة بعد الكرَّة وهي الدار القائمة بعالم القدرة حتى ينتهي التمام، وينحل ظاهر هذا النظام، ويرجع الأنام إلى يوم القيام، ويستقر في الجنة والنار، ويستمد كل أمدٍ من مَدده في دار أبده، وتنصب الأعراف في ألف الآلاف بين يدي المثل الأعلى والحجاب الأنزه الأقدس الأبهى، الذي ترقَّى بالسريرة السريَّة، ونفخها في الذرة الآدمية، وأودعها فإذا كان كذلك ولا انفكاك؛ لذلك برزت الذرة بعالم القدرة وكررت الكرَّة كأول مرة، فلا تضايق ولا تحاصر ولا توقف ولا تعاسر، فالأمر واسع والسرُّ قادر، والحي قائم، والفعل دائم فكما كان يكون وكما قال يقول، وإن ذُهلت العقول واعترضت اعتراض الفضول فيما عرض لها من تلك الأكلة، وشابها من شوائب النزلة.

قال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلاً لا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُوراً**﴾ [الإسراء:99].

---

(1) لم أقف عليه هكذا.

تصور وتصديق

قد تقدَّم فيما مضى وانطوى وذُكر وتكرَّر وانثنى أن الإحاطات العليَّات الكليَّات الوجود والعدم والدهر والخلا.

فإنْ قيل: ما الوجود؟

قلنا: امتناع النفي.

وإن قيل: ما العدم؟

قلنا: امتناع الثبوت.

وإن قيل: ما الدهر؟

قلنا: امتناع القبل والبعد والآن؛ وهي الأزمنة الثلاثة.

وإن قيل: ما الخلا؟

قلنا: الأين، فلولا امتناع النفي لانقلبت الحقائق وتنافت لوازمها، ولما تحصَّلنا على شيء من معارف الوجوب والإمكان في المعاني والأعيان.

ولولا نفي الإثبات؛ لوجبت الإحاطة بالذات والصفات الواجبات من حيث هي معلومة من جملة المعلومات؛ ولأنه لا بد في ذلك من التصور حتى يُتمكن من التصديق؛ وهي لا متصورة ولا جائزة التصور ولكان يلزم زيادة كيفيات عند وقوع المحدثات، ولصَدَقت كل المخيَّلات في شُبهة التشبيه في القياسات، ولولا امتناع الأزمنة الثلاث؛ للزم التقدُّم بالحين والوقت، ولكانت نهاية من وجهٍ تُوجب الحصر في النعت، ولولا امتناع الأين لوجبت الجهة والملأ بالجسم، وتعيَّن الكم بالقدْر، ولتعين المكان بالشخص، ولولا هذه الامتناعات ما تميزت الحقائق الواجبات من الحقائق المحدثات؛ فإذًا كل إثبات بالنظر إلى النفي وهمٌ وخيال، هذا من حيث هي امتناعات وسلوب عن إمكانات ووجوب، وبما كان من الكلمة والسرِّ المكتوم المنتظمان في السلك المنظوم، فالسر ذات الكلمة الجامعة المحكمة وهي تقوم هذا المقام بسرِّ النظام في الوجود والانعدام، فالكلمة مربَّعة تربيع صفات الموصوف، لا تربيع الاستقبال فحقيقة كشف وحقيقة انكشاف، وحقيقة علم وحقيقة معلوم.

أمَّا حقيقة الكشف والانكشاف، فكالتصور والتصديق المطلوبين، ثم تفصيلها في نفسها أربع كلمات؛ من حيث تجلِّيات الذات، وحقيقة تجلِّيات الذات تعيينات علميات في الاتصالات؛ لتعيين الموج في البحر مثلا كقوله تعالى: ﴿**وَلله الْمَثَلُ الْأَعْلَى**﴾ [النحل:60].

والتمثُّلات بالذات تفصيلاً علميات معنويات؛ كانعقاد الثلج من البحر في نفسه، وهذا كله في غيب علمي، والتجلّيات بالصفات هي كهي، غير أن هذه في المشاهدات المرئيات فما كان منها متَّصلا كان بالرحمانيات، وما كان منها منفصلا كان بالتنزُّلات والتمثُّلات والروحانيات، فكل تجلٍّ تنزيل مُتصل، وكل تمثُّلٍ تنزيل مُنفصل، وكل تجلٍّ وتمثُّلٍ بالذات غيب وبالصفات عين.

قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيّاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء:110]، فالتجلِّي والتمثُّل بالذات عالم القدرة، والتجلِّي والتمثُّل بالصفات عالم الحكمة.

الأول: في امتناع نفي وامتناع إثبات، **والثاني:** في امتناع آن وقبل وبعد، وامتناع أين ومكان وشخص.

وأمَّا تربيع العروش؛ فهو لتعيين عين في زمن فرد وهو أول فرض حدد ووحَّد وعدَّد بالزمان والشخص والمكان، وفُصِّل بالأزل والأبد والقبل والبَعد والأمد، ولكنه لقرب مرتبته من الدهر والخلا، يقع فعله كثرةً في فردانية دفعة واحدة، ولحركته بالسريع البديع لا تتصوَّره الأفكار، ولا تصوِّره الأبصار فيكون العرش الثاني يُفرض في زمنين، ويكثر في فردين، وينقسم في كلمتين فيستقر القرار للأفكار بالإشعار لا للأبصار، ويكون العرش الثالث في أزمنة ثلاثة، فيثبت التصور الروحاني، ويتجلَّى بالتحكُّم الفرقاني، ويَلحظُ الإدراك جُملا مما هناك، والعرش الرابع في أربع كذلك ثم كذلك، فيستقر قرار القرار للأبصار والأفكار.

فيقال في الزمان الفكري: خمسين ألف سنة لما فيه من تحصُّلات روحانية وانفعالات لطيفة كثيرة في أزمنة عقلية فِمهية ربَّانية إحاطية، فالذي يتصوره الإدراك في الزمن الفرد بالفهم لا يتصوره الإدراك بالفكر إلا في خمسين ألف سنة، وكذلك الإدراك بالفكر الذي يتصوره في زمنين لا يتصوره الحس بالإحساس إلا في ألف سنة، والذي يتصوره الحس بالإدراك في ثلاثة أزمنة لا يتصوره الحساس بالمحسوس إلا في سبعة آلاف سنة، والذي يتصوَّره الحساس بالحس في أربعة أزمنة لا تفي به الأفعال الجسمانية بتشخصاتها العينيَّة إلا في أزمنة متفاوتة في الطول والقصر بحسب ما يكون اللطف في الطباع والوزن في الأوضاع.

فالعرش الأول المفروض في الزمن الفرد هو: الجعل لا يتعين فيه قبل ولا بَعد ولا أين ولا شخص ولا غير ذلك مما هو موجود ومعلوم، وكذلك لا أزل ولا أبد.

والثاني: بالتنزيل أبين وأقرب، والثالث: أدنى وأظهر، والرابع: أظهر وأحصل وأقر وأمكن.

تحقيق الصفات: الصفات حقائق في انكشاف معللة بموصوف في كشف بتعلُّقه في الإحاطة بمتعلقات معلولات لمتعلقاتها، والعلل مشروطه في تعيينها بانحصار أنواعها في أشخاصها، فإذا تعيَّنت الحياة بطن فيها العلم والقدرة والكلام والإرادة والسمع والبصر، وشرط هذا البطون؛ بقاء تعيين ما بطن بحكم الانحصار، فكل صفةٍ فيها كل صفةٍ باطنة مع تعيين كل صفةٍ، والمعلولات موجِد لا موجبِة أمثالَها في مادة هيولانيَّة قابلة للنفي والإثبات بالتحليل والتركيب، وهذه حقائق الأقلام والألواح في الأرواح والأشباح أعني بها: المعلولات لا العلل[1].

(1) قال سيدي علي وفا في المسامع: الحقائق المُسمَّاة بالصفات الثبوتية وهي الحياة، وهي مبدأ الإدراك والفعل الحكيم المرتبي، والعلم وهو مبدأ الكشف والتمييز المرتبي الحكيم، والإرادة وهي مبدأ تخصيص معلوم بمعلوم تخصيصًا تمييزيًّا، والكلام وهو مبدأ تخصيص معلوم بمعلوم تخصيصًا كشفيًّا، والقدرة وهي مبدأ تخصيص مراد بمراد في الكشف الإدراكي تخصيصًا فعليًّا، والبصر وهو مبدأ تخصيص متميز إدراكي بمتميز إدراكي إرادي في الكشف الفعلي، فإذا كان كذلك تخصيصًا كلاميًّا هذه الحقائق الوجود المتعين بها في المرتبة الناطقة المُسمَّى وجودها بالحق المبين، تعينًا حكيمًا عقليًّا روحانيًّا، بحكم الوجوب يُسمَّى الرحمن، وتعينًا حكيمًا نفسانيًّا طبيعيًّا، يُسمَّى الرحيم، والمتعين فيها بها كذلك مطلقًا، بحكم الوجوب هو مُسمَّى الله الإله، والمتعين فيها بها كذلك بحكم الإمكان يُسمَّى الإنسان الكامل المطلق، وهو الإنسان الإلهي، والعين الإلهي، الذي الإله منه كالروح من البدن، بل من المثال الذي هو متمثل به، والإنسان الرحماني هو الوجود المتعين بها تعينًا عقليًّا وحكمًا وروحًا بحكم الإمكان، والرحيمي وهو المتعين بها تعينًا نفسانيًّا طبيعيًّا، ومن سر هذا التسبيع واقتضاءاته تسبعت المسبعات كالسموات، وتربعت بمراتبها الإدراكية إلى سموات عُلا، وطباق وطرائق دُنى، وفي أولي العزم السبعة ظهرت بحكمها الفرقاني الدياني تشريعًا، وبسر التربيع تم ظهورها في رابع الأربع منها ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾ [الشورى: 13]، فالذي جاء به محمد هو الكل بجمعيته المحمدية، وهو رابعهم باستوائيته الإبراهيمية، كما قال إبراهيم: ﴿أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِياًّ﴾ [مريم: 43]، ولما ظهر هذا الظهور الرابع كان زمانه من القرب إلى زمان الختم الأعظم الذي به يظهر حكم الانقراض الدوري كله ظهورًا شاملاً، يُسمَّى الساعة لقرب انشقاق القمر نصفين نصفًا منمحقًا، ونصفًا ممتلئًا في ليلة إحدى وعشرين من محاقه كله في ليلة الثامن والعشرين الموفية له أربع أسابيع، ومن ثَمَّ قال: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: 1]، وعدد (انشق القمر) بالجمل الكبير (822)، فعند ذلك يأتي الانقراض الكوني من عالم الكون القمري، وهو عالم الاستحالات المادية، والظهور الفرقاني قمري من الظهور القرآني فهذا شمسه، ومراتب سلطنة الأول ليال، والثاني أيام، والخاتم لما ابتدأ خَتْم الأول وفتْح الثاني قال لسان جمعه: ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ =

والصفات إمَّا أن تكون غير زائدة على موصوفها في عالم القدرة أو زائدة عليه في عالم الحكمة والزيادة من سرّ التجلِّي لا غير، وكونها معينة في حيطةٍ واحدة، وهي الحيطة الثامنة رحمانية، وكونها معينة على انفراد في التنزيل المثلي ربوبية، فجامعها: ﴿الرَّحْمَنُ*عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن:1، 2].

وعلى الانفراد كالمُثل المعلَّقة وهذا من حيث القلميذَة واللوحية:

﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ*عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن:3، 4].

وكونهم مثاني لتحقيق تعيين أمثال المعلولات بعللها، فلا بد لكل حيطة على انفرادها من دورة ودائرة حتى إلى جامعها وهو سابع سبعتها، وكونها تُثنى فيه أيضا ليتعين ما بطن في كل متعين من السبعة، فتكون كل دورة من آدم إلى عيسى دورات ستة، باطنٌ في كل دورة منها سبع دورات، وفي زمان محمد ﷺ وهو سابعهم باطنٌ فيه أيضا، كذلك من حيث هو سابعهم، ومن حيث تعيين ما بطن في كل دورة سبع دورات هو ثامنهم فيتعين في زمانه سبع دورات، في كل دورة منها سبع دورات، فمن حيث هو سابع ألف سنة على نحو ما تقدَّم أن اليوم الربَّاني بألف سنة، وكذلك كل دور منهم.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج:47]، ومن حيث هو جامعهم بحكم هذا التعيين المذكور فتسعة وأربعون ألف سنة إذا ضربت كل واحد من السبعة آلاف في سبعة آلاف؛ فهذه السبع المثاني، والقرآنُ العظيم هو الحيطة الثامنة، وهو جامع إجماعهم ومرآة كشف أعيانهم، وهى الحيطة التي فيها تتعين أعيانهم كما تقدَّم أعيان في عين واحدة، وهذا يوم جمع الجمع وجامع الإجماع، فيكون تتمة الخمسين ألف سنة بالنظر إلى الواحد، وبالنظر إلى ما فيه من الجمع فهو الخمسون ألف سنة.

قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ*فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً*إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً*وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾ [المعارج: 4، 5، 6، 7].

وهذه الحقائق هي المعبَّر عنها بالقلوب الإلهية التي وسعت التجلِّيات الإلهية، ومعلولاتها هي الأقلام المعبَّر عنها بالعقول الربَّانية التي وسعت التنزلات الفرقانيَّة.

وقد ورد: «**لم يسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن**»[1].

=

وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: 12].

(1) تقدم تخريجه.

وأيضًا: «ينزل ربنا إلى سماء الدنيا في كل ليلة»[1].

فالقلب عرش رحماني إلهي؛ لأن القلب بيت الرب، والعقل كرسي ربَّاني فرقاني.

قال تعالى: ﴿**كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾ [هود:1]، وثامن الأيام المحمَّدية، وهو ثامن مائة، هو منارة الأنوار، ومنار سريرة الأسرار، وحضرة حضرات البهاء والوقار، وإليه تنتهي الحضرات المحمَّدية والإحاطات الأحمدية بما فيها من إحاطات ربانيَّة وحضرات رحموتية بتجلِّيات رحمانية بأسماء ومسمَّيات وصفات وموصوفات، فيكون هذا اليوم سبعمائة ألف سنة بما تَمَّ من مائة اسم من الأسماء الحسنى للمسمَّيات السبعة الحقائق الصفات العُلا على انفرادها بالدقائق والرقائق والحقائق، وتكون على هذا التكثير الحياتي والتدقيق الزماني بغاية التفصيل الفرقاني، أعيانُهم المتعيّنة فيه على الجملة والتفصيل بهذا التقرير والتنزيل والتوصيل والتفصيل، أعيان موجودات وتصورات مفردات في صور قائمات.

قال تعالى: ﴿**إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً*لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً* وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً**﴾ [مريم:93، 94، 95].

نظم النظام القديم في سلك مسلك:

بسم الله الرحمن الرحيم

وبما اتَّسع الأمر اتّساعًا، وتربَّع العرش أرباعًا كما تقدَّم في النظام المعْلَم والإحكام المحكم، فملك وملكوت وجبروت ورحموت، وكل عرش في نفسه وحضرات قدسه وأُنسه يفيد قسمة ما في جملة مقسومه، فلكل عرشٍ رحموت استواءٌ وكرسيٌّ وأرضٌ وسماءٌ فكل واحدٍ منهم في نفسه ملك وملكوت وجبروت ورحموت، وتكون الحقائق لكل منهم صفات رحموت استواء، وحملة عرش مستوى محمولةٌ في كرسي البهاء، فاتقة في الأرض والسماء، وهي الدقائقُ والحقائق والحيطات اللواحق في الإحاطات السوابق، فبفتقها في السموات تكون سبعويات وهي الأوامر الموحاة في كل سماءٍ وهذا وحي من الله، ووحيٌ بما أوحي: ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ [يس:82].

فالأمر هو مريد الكون ومكونُه بالتكوين، وهذا هو وحي الأمر أعني: التكوين، وهو نفسه وحي الله وعلى هؤلاء يقع المحو والإثبات، أو النسخ في تبديل الآيات بالآيات،

---

(1) تقدم تخريجه.

وهم من حيث هم لا تبديل ولا تحويل.

قال تعالى: ﴿**لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ الله ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [يونس:64].

فعلى هذا الأمرُ وحي الله وكلمته، والكون وحيُ الأمر وكلمته.

واعلم أن الجنَّات ثمانية في أربعة، أمَّا كونها فبوجه ما قال ﷺ:

«**جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما**»[1].

وقال تعالى: ﴿**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ**﴾ [الرحمن:46].

وقال: ﴿**وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ**﴾ [الرحمن:62]، وعدَّد في الحديث الآخر الجنَّات إلى ثمانِ جنات، فوجب أن تكون ثمانية في أربعة، فكل سماءٍ وأرضٍ في باطن كرسي سبع جنَّات، وما بين الكرسي إلى العرش فردوسها الأعلى وثامنها الأزهى الأنزه الأرقى، وهذه أوسط الجنة وأعلاها، وهي التي سقفها عرش الرحمن كما جاء.

وكذلك في كل جنة مائة رحمة ومائة درجة، ولله تسعة وتسعون اسمًا كما ثبت في الأخبار الصحاح والتفهمات البيِّنات الفصاح، فإذا تبيَّن هذا؛ فاعلم أن نزول آدم عليه السلام كان لتحقيق إخراج ما في القوة إلى الفعل وهو اتِّحاد كل واحدٍ في آحاده التي كانت متَّحدة فيه، فيتبين بالتفصيل الفراقاني في التصديق الإيماني، والحكم المحكم الإنساني أن النزول كان بالسماويات والأرضيات والكرسيات والاستواءات العليَّات والمستويات.

فأمَّا بالتربيع فآدم وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام؛ فهذه كرسيَّات وسماويَّات هي أقمار مقاماتها، وشموس حضراتها، ونجوم دراجاتها وهي متبيِّنة في الصحابيات والتبعيات والورثة النبويَّات، كما هي في زمن آدم يافث وشيث وإدريس ونوح، ونحو ذلك مما هم له أسماء عظام، ووجوه كرام، وبُدوُر أفلاك تمام، فبهم تظهر أنوار تجلِّيه وأحكم دنوِّه وتدلِّيه، وكذلك من إبراهيم إلى موسى، ومن موسى إلى عيسى على السُّنَّة المسنونة، والحكمة الموزونة.

واعلم أنه كل ما كان في الإسرائيليات من الآدميات والإبراهيميات والموسويات والعيسويات كرسيًّا؛ هو في المحمَّديات عرش، وما كان فيهم جنة هو في المحمَّديات فردوس؛ فهي في المحمَّديات فردوسيات صحابيات، وعروش صدِّيقيَّات لمستويات رحموتيات، وحضرات قدوسيَّات لتجلِّيات رحمانيات في بواطن غيوب لاهوتيَّات.

---

(1) رواه البخاري (1848/4)، ومسلم (163/1).

فأبو بكر وعمر وعثمان وعلي هذه الأربعة الصحابيات، والخلفاء الإماميَّات أوَّلهم بآدم، وثانيهم بإبراهيم، وثالثهم بموسى، ورابعهم بعيسى.

واعلم أن القِرانات بالميكائيليَّات التي تنزَّلت مع الآدميات بالكلمات التَّامات الرحموتيات.

قال تعالى: ﴿**فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**﴾ [البقرة: 37]، وهذه القِرانات لِما تَمَّ من حكمة ملكيَّة في بطانة فلكيَّة كما تقدَّم هي من أحكام التشكيلات بالتمثلات في التنزُّلات الروحانيات، فما كان منها باطنيات كان بالانفهاقات الجبريليَّات التي كان يأتي بها جبريل لمحمد ﷺ في مثل صلصلة الجرس، وهذا النوع هو الأشق والأثقل والأشد الأبهر الأهول؛ ولأنه تنزيل القرآن على القلب الكريم بالنبأ العظيم.

قال تعالى: ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ*عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ**﴾ [الشعراء:193، 194].

وقال تعالى: ﴿**لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الحشر:21].

وما كان منها ظاهرت فيما كان يأتيه جبريل في الصورة الإنسانية والمثالية الدحية كما قال ﷺ: «**وأحيانًا يتمثَّل لي الملك رجلاً**»[1] وهذا النوع أخف وأهون وآنس وألين وأقرب وأبين، وهذا بما يكون من تشريعات فرقانيات، وأحكام عمليَّات، وآيات بيِّنات **فالأول:** باطن وهو محكم القرآن؛ وهو الذي يكون برفع القرآن.

والثاني: رفع القرآن الظاهر وهو تنزيله بالفرقان، وهو الذي يرفع آخرًا عند تناهي الأزمان، وهذا التمثل الظاهر؛ هو التنزل الذي يتنزَّل به جبريل في عموم النبيين وكافة المرسلين، والتنزيل الباطن خاص بمحمد سيد المرسلين وإمام المتَّقين.

واعلم أنه ما كان في حقِّ الأنبياء بالتنزيل الجبريلي بالوحي الفرقاني في التمثُّل الإنساني خاصًا في مشاهد النبيين والمرسلين بالوجه الذي هو به جبريل، ولخواص الأولياء تمثُّلا ميكائيليًا بشريًا ولائيًا؛ فإذا تبين هذا؛ فاعلم أن إدريس وإلياس والخضر ويحيى هم بالقرآن الملكي الميكائيلي في التشكُّل البشري الولائي وغير الولائي فإدريس في الآدميات وإلياس في الإبراهيميات، والخضر في الموسويات، ويحيى في

(1) رواه البخاري (4/1)، والترمذي (597/5)، والنسائي (324/1).

العيسويات.

فكما أن أبا بكر بخاصية آدم كذلك إدريس بخاصية أبي بكر، وكما أن عمر بخاصية إبراهيم كذلك إلياس بخاصية عمر، وكما أن عثمان بخاصية موسى كذلك الخضر بخاصية عثمان، وكما أن عليًّا بخاصية عيسى كذلك يحيى بخاصية علي.

واعلم أنه ما من عرشٍ من هذه العروش الخلافيات الإماميات إلا وله كرسي من بقية العشرة الصحابيات؛ هو موضع فرقانه وتنزُّل بيانه وتبيانه على نحو ما أحكم من النظام وتقدَّم من الأحكام، وبما هي سنَّة التربيع محكمة الإبداع متحكِّمة في الأوضاع، فيكون كل عرش من هذه العروش أيضًا منقسمًا إلى أربعة، وكذلك المنقسمات، تنقسم بالتربيع إلى تقسيمات.

قال تعالى: ﴿**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً**﴾ [الكهف:109].

وكل عرشٍ في نفسه وبساطه وأُنسه وحضرة قدسه ينقسم بالسنَّة المسنونة، والحكمة الموزونة؛ ولأن كل انقسامٍ عرشي يفيد قسمة جملة ما في مقسومه، وهذا من حقائق التمثُّلات الروحانية والتجلِّيات الرحمانية، فما من عرشٍ كان أو يكون في المحمَّديات إلا وله ملك وملكوت وجبروت ورحموت، فمن شَهِد ورأى وكاشف وطالع بالنُّهى في أفق سدرة المنتهى، واستوى إلى المستوى الأقدس الأعلى؛ إنما هو في كلمته الخاصة له وقسمه المربع به في حقِّه، فلا يرى في غير مَرآه، ولا يشهد شيئًا سواه، ومِن ثَمَّ تلوح لك بارقة التحقيق في مرآة التصديق بما يخبر به المكاشفون من الملكوتيات، ويتحدَّثون به من العجائب الغيبيات، وتعلم من أين رؤية الولي الخضر وإلياس وإدريس، وكذلك رؤية الملائكة والنبيين ومشاهدة محمد سيد الخلق أجمعين.

كل هذا بما يشهده الولي والمقرَّب الصفي بحقيقة المصطفِي، وبما تَمَّ له من تنزيلٍ جلي، وترقٍّ لطيفٍ خفي، وبتخصيص في خاصة نفسه وبما تنخلع له من رقائق نفسه في بطانة قدسه، ويتمثَّل له من تجلِّيات لطائف أُنسه في مرآة حسِّه؛ فيشهده بفرض الغيبة الآدمية بالخضرية والإلياسية، وغيرها من النبويَّة والملكيَّة والولائيَّة التبعيَّة وبفرض السَكرة الأُخرويَّة التي تكون في هذه الأمة الأمية؛ ولأنه كما تقدَّم نبي الساعة وبما ﴿**أَزِفَتِ الآزِفَةُ**﴾ [النجم:57]؛ فتكون بحكم هذه السَكرة مشاهدات ربانيَّات، ومطالعات ملكوتيات، وتكون بحكم حكمة شق الصدر المحمَّدي، وإخراج القلب المطهر العلي، ونزع ما فيه من العلقة السوداء والنكتة الوهداء غيبة حضورية ونومة

حفظية، وهو تجريد القلب السليم عن العوائق البشريَّة، وبما هو حضرة مَن ﴿**لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ**﴾ [البقرة:255]، فلا تأخذه سِنةٌ ولا نوم.

وبما قال: «**تنام عيناي ولا ينام قلبي**»[1].

فبهذا السرُّ الربَّاني تكون إسراءات روحانية، وتدانيات قلبية، وتجلّيات فؤادية لانفهاقات رحمانية، فكل مُظهر له منه إمَّا فيه وإمَّا عنه بحكمة الخلع والتجلّي في الباطنيات والظاهريات والمعاني والعينيات، فكل عرش محمَّدي، وكل كرسي إسرائيلي على نحو ما تقدم الأول بالجمع، والثاني بالفرق؛ ولأن الكل في الزمن المحمدي على مراتبهم ومقاماتهم وإحكام أحكام تحكماتهم، وإنما هو كنفُ المحمَّدية قد وضع ستره، ومقدس عرفانه قد أسرى سرَّه، فكلهم تحت ظل لوائه ألوية منصوبة، وتحت فسطاط ستر كنف ولايته أخبية مضروبَة، فإذا ارتفع اللواء إلى المنصب الأعلى، وشمَّر الستر ذيله الأحوى عن ساقه الأقوى؛ علم كل عالمٍ قدر ما علم، وجُوزئ كل عامل بقسط ما عمل، وشهد كل عابد معبوده، وحقق كل شاهد مشهوده.

قال تعالى: ﴿**يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَأُونَ كِتَابَهُمْ وَلا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً**﴾ [الإسراء:71].

وبما هي: «**العلماء ورثة الأنبياء**»[2]، كذلك أتباعهم ورثة أتباعهم وأشياعهم في نظام أشياعهم، وكُفَّارهم بخاصية كفَّارهم، وطُغاتهم بخاصية طغاتهم.

قال تعالى: ﴿**فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ**﴾ [يونس:74].

وبما قال ﷺ: «**ستتبعون سُنن مَن كان قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه**»[3]، هذا فرقان وبالخاصية المحمَّدية والكلمة الأحمدية.

قال تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾ [آل عمران:110]، وبما حقَّت شهادة خواص الأمة المحمدية على الأمم، وكانت وسطًا أوضح من نارٍ على علم.

---

(1) رواه أبو داود (52/1)، والترمذي (518/4)، وأحمد (40/5).

(2) رواه البخاري (37/1)، وأبو داود (317/3)، والترمذي (48/5).

قلت: فهو نائمٌ حسًّا ليس نائمًا معنىً كما أن موته كذلك، وهذا مقام ما ناله بشرٌ سواه، مع أنه ببشريته قد وقع له تخلل بهذا المقام دون روحانيته ﷺ.

(3) رواه البخاري (1274/3)، ومسلم (2054/4).

وبما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ [البقرة:143].

فمَن تحقَّق بحقائق التجريد[1]، وحقَّت له كلمة التوحيد[2]؛ استخلاصًا واستحقاقًا واستهلاكًا واستغراقًا، كان محمَّدي الأمة أحمدي النسبة والعصمة، ومَن تحقَّق بحقائق الإيمان، وشهد مشاهد العرفان في شواهد الإحسان من وراء حجاب كرسي الفرقان؛ كان إسرائيلي النسبة في نظام الأمة؛ وهذه أحكامُ سنَّة الحكمة في الحشر والنشر، ومَن استولى عليه عارض الغير والسوى؛ نزل عن قُدس الاستواء، ودخل بالغير في حكم الغيرة والاستيلاء، ومَن جهل نفسه؛ فقد جهل ربَّه.

فهذا متى تمسَّك بعصمة التبعية في التشريع والتجريد والعقد في التوحيد بالتقليد؛ كانت له نسبة بحكم الشفاعة، وجزء فيما أحسن فيه اتِّباعه على حكم غيرة المغايرة، وألفة نسبية تشوبها منافرة.

وبما يقول الله تعالى لنبيِّه ﷺ: «**أُخرج من النار مَن كان في قلبه مثقال ذرةٍ من لا إله**

---

(1) قال أبو المواهب الشاذلي الوفائي: التجريد على قسمين: قسم يظهره أصحابه للأبصار، وقسم يكتمه أهل البصائر الكبار.

وقال سيدي محمد وفا في النفائس: من صدق الله صدق الله عليه، وصدق الله في التجريد، والتجريد نفي قضية الإضافة، والمجرد هو الذي لا يُضاف ولا يُضاف إليه.

وتجريد الظاهر هو الخروج عن كل صورةٍ يدل عليها غير المقصود، وقطع كل علاقةٍ تمنع دون المطلوب، وتجريد الباطن نفي الخواطر الواردة على القلوب، ورفع الأوهام الساترة للأبصار عن مطالعة الغيوب.

والتجريد هو انخلاع العوالم الإنسانية عن لباس تلبيس العوارض الزائدة على الحقائق الذاتية لها؛ لتحقق خلوص الخلاصة الإنسانية المعدومة بالحقيقة، والموجودة في المجاز، وهي القابل المشترك مطلقًا، حيث لا يتعيَّن مع مقبولها، ولا تحدث كيفية زائدة في متحد تحقيقها إن وضعت فكانت عين المحمول، وإن أخبرت فكانت عين الخبر في صدق المقول إن وقعت في الجعل، فلا يتميز مع الجاعل والمجعول فهي الفطرة الإلهيَّة، والصيغة الربَّانية، وإليها يقع الالتفات بالأسماء والصفات والذات، فهي ضرورة إيجاب الوجوب، وتمكين الإمكان، كما أن العقل ضرورة العلم فيما يعطيه ترتيب الوضع.

وقال في الشعائر: التجريد: الخروج من حضرة إلى حضرةٍ.

(2) قال سيدنا في النفائس: اجلس مع الله على بساط التوحيد، وتأدَّب بآداب التوحيد، وانظر إليه بنظر التوحيد، وخاطبه بلسان التوحيد، فإن أمرك الرجوع إلى عالم الفرق، وكلفك هداية الخلق إلى معارف الحق، فقل: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَاناً نَّصِيراً﴾ [الإسراء:80].

إلا الله»[1]، فما صيَّر الإيمان إلى هذه الوزنة الذرية إلا لَمَّا عرض عليه من عارضة الغيرية وكثافة حجاب الثنوية.

ورد: «**وإن في الجنة لحسرات، قيل: وما هي؟ قال: تفاوت الدرجات**»[2].

أو كيف قال ﷺ وهو ما هذا معناه، ويكون القرب والبعد بحسب المعرفة والجهل بالنفس والرب.

واعلم أن هذا التقسيم بالتخصيص والتعميم هو في عموم الأمة لا في الخاصة من الأمة الأمية الأئمة، فإنهم عينُ الأعيان وجوامعُ إجماع الإيمان والإحساس وإحاطاتُ حيْطات العرفان ووجوهُ الوجه المقدَّس الكريم مشرق ﴿**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾ [الفاتحة:1] يتعيَّنون بتعينه حيث ما تعيَّن، ويتبيَّنون ببيانه حيث ما تبيَّن فهو عينُ أعيانهم، والمتجلِّي في حضرة مرآة معارف عرفانهم.

---

(1) رواه أحمد (295/1).

(2) لم أقف عليه هكذا.

تحقيق السبع المثاني[1] وأرواح الأواني والمعاني

(1) قال سيدي علي وفا في المسامع: اسمع: وانظر كيف يكون ولدك أول ولادته مستعدًّا بالوضع؛ لأن تناغيه بالمناغات وبالمناغاة يستعد؛ لأن تخاطبه مخاطبة الأطفال، وبذلك يستعد لمخاطبة الصبيان، وبذلك يستعد لمخاطبة الرجال، وقسْ على هذا.
وأنت جامع لكمالاته كلها، لكنك لا تعامله في كل مرتبةٍ إلا بحسب استعداده، فمعاملتك لَه في كل مرتبةٍ جامعة لكمال معاملتك في المرتبة التي قبلها هكذا، فاعلم أن الحق المبين هو الوجود المتعين بالنواطق الإلهية، فأعيانها عروشه الكريمة التي يستوي عليها بإفادات كمالات العوالم الزمانية، ولما كانت معانيه التي هي مبادئ الكمالات كلها سبعًا: العلم، والحياة، والإرادة، والكلام، والقدرة، والسمع، والبصر، كل منها في دائرة كل منها لكن بحكمة الوحدة، وجودها وعينها الجمعية المُسمَّى وجودها باعتبارها الرحمن، اقتضى ذلك تسبيع تجلياته الحقية الناطقية الإفادية، وتسبيع الدوائر الزمانية لذلك، ولما كان استعداد الزمن الآدمي لإفادات الربَّانية كالاستعداد الوضعي للوليد تعين الحق المبين فيه بالناطق الآدمي، واستوى على عرشه الكريم آدم بإفادات كمال ذلك الاستعداد، واستعد الزمن الثاني بذلك المستفاد استعدادًا أتم من الأول، فتعيَّن الحق فيه بناطقه النوحي، واستوى على عرشه الكريم نوح، بإفادات كمال ذلك الاستعداد، وكان هذا التعين والاستواء محيطًا جامعًا للأول، وقسْ على هذا زمن العرش الكريم، إبراهيم بعد نوح، وزمن العرش الكريم موسى بعد إبراهيم، وزمن العرش الكريم داوود بعد موسى، وزمن العرش الكريم سليمان بعد داوود، وزمن العرش الكريم عيسى بعد سليمان، وزمن العرش المحيط بهذه العروش كلها للتعين الجامع لهذه التعينات كلها بالحقيقة الجامعة لهذه الحقائق كلها محمد.
وانختم أمر التجلِّي الفرقاني الذي افتتح به هذه التنزلات الرسالية، وانفتح الأمر القرآني في تنزلات ولاية بهذه الأعيان الأُول بظاهر الحقائق المعنوية وفرقها، والثاني بباطنها وجمعها، وانقسم زمان الأُول ألوفًا، فانقسم زمان الثاني مئينًا، فلبث نوح في قومه ألفًا، وقال محمد: «يبعث الله على رأس كل مائةٍ رجلاً يحيي به هذا الأمر ويجدده»، وكان ذلك من يوم قوله: «إنَّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض».
وقال: «لا يبقى بعد مائة ممن هو على الأرض أحدٌ».
فالأول زمن ولاية آدم، والثاني لولاية نوح القائل: ﴿لاَ تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾ [نوح: 26]، وإنما عني بقوله: «بعد مائة لا يبقى ممن هو على الأرض أحدٌ»: إن بعد مائة يكون الزمن النوحي، وقسْ على هذا.
فإذا كان المائة الثامنة كان وليها بالولاية المحمدية المتنزل فيها الرحمن بباطنه وجمعه وقرآنه، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: 18]، **فالسبع المثاني هي المعاني**، وتثنيها تنزلها بما يناسب الاستعدادات، والقرآن العظيم جامعها، ﴿الرَّحْمَنُ ﴾ [الرحمن: 1] الذي ﴿عَلَّمَ القُرْآنَ﴾ [الرحمن: 2]، ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: 29]، ولما جعل السنة الأخروية الجمعية الولائية ثلاثمائة وستين يومًا حيث يقول: «مَن صام رمضان وأتبعه ستًّا من شوال فكأنما صَامَ
=

اعلم أن هذه الأرواح والحقائق والدقائق، كانت للإسرائيليات بالإرساليَّات والنبويَّات وهي في المحمَّديات بالقطبيات والولايات، وبما كان عصره ﷺ كله جمعيات، فكل مائة في زمانه جمعة من جمعه وعصر من عصوره مطلعه.

وبما قال ﷺ: «**استدار الزمان كهيئة يوم خلقه الله**»[1]، فكانت كل جمعه من هذه الجُمع الجامعة سبعة أيام كل يوم مشرق شمس من شموسه الطالعة؛ وهى سبع جُمع في كل أفق ومطلع، والجمعة الثامنة مصلاها جامع إجماع جوامع جمعاتها، ومنارة منارات منابر عروش إحاطات رحموتيات رحمانياتها، وهذا هو العصر المقْسَم به في نص الذكر.

حيث قال الله تعالى: ﴿**وَالْعَصْرِ*إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ**﴾ [العصر:1، 2]؛ ولأنه يومٌ

=

الدَّهر كله»، «الحسنة بعشر أمثالها»، الشهر ثلاثون بثلاثمائة، وستة بستين، والسنة ثلاثمائة وستون يومًا، والثواب إنما هو أخروي، والآخرة يوم الجمع، ﴿هُنَالِكَ الوَلايَةُ لله الحَقِّ﴾ [الكهف: 44].

وجب أن تحسب كل مائة سنة بهذا الاعتبار، فلا ينقضي الزمن الثامن إلا بعد أن يمضي من القرن التاسع الهلالي مقدار تفاوت السنة الهلالية، عن سنة من ثلاثمائة وستين في مدة الثمانمائة.

واعلم أن الزمان مثل ما انتقل في القسمة في الختم النبوي من رتبة الألوف إلى رتبة المئين، كذلك الثامن ينتقل في الختم الولائي من المئين إلى العشرات، فتكون المائة الثامنة ثمانية أزمنة، ويكون القسم الآخر منها في مرتبة الآحاد، فكل سنةٍ يحصل ظهور خاص بحكم جمع الجمع، وقد أشار المحمَّدي إلى هذه العروش إجمالاً بقوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ إلى قوله: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء: 70، 71]، وبقوله: ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: 26]، وتفصيلاً بقوله: «الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم»، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً﴾ إلى قوله: ﴿فَتَعَالَى الله المَلِكُ الحَقُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: 115، 116].

وقال حارثة في تحقيق إيمانه الحقي: «رأيت عرش ربي بارزًا»، يعني الصورة المحمَّدية، وقال هو: «إنَّ الله كتب كتابًا فهو عنده على عرشه، إن رحمتي تغلب غضبي»، وعنى ما تأصَّل عنده من غلبة رحمته على غضبه في صورته المحمدية، فكان لو أغضبه أحد ما عسى أن يغضبه، ثم أراه بعض انكسار رحمه رحمة عزيزية، ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: 28]، ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ [الدخان: 17] بيانه نور مرسله، ﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ [الزمر: 69].

(1) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (187/2).

فيه يُختم على كل قلبٍ بما فيه، فإن كان حقًّا ختم عليه بحق، وإن كان شكا ختم عليه بشك.

قال تعالى: ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: 139].

ولذلك قال: ﴿إلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر:3].

وهذا هو اليوم الذي يرفع فيه ظاهر القرآن لَمَّا رُفع باطن القرآن أولاً؛ ولأن الربح والخسران متعلِّقات فيه بالإنسان لا بآدم الأعيان؛ ولأن في عيسى ختمت الدورة آدمية والأزمان الدنيوية وفي الزمن المحمَّدي؛ تجلَّت الأزمان الأخروية والدورات الإنسانية، ولذلك أخَّر نزول عيسى عليه السلام إلى آخر الزمان حتى يرتفع الإنسان بحضرة الرحمن، ويكون القيام على الآدمية والأبدان، وتحقُّق الأديان بين يدي الديَّان وهذا يوم الفرقان وهو ظاهر القرآن.

وبما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ [القصص:85].

وحقيقة المعاد تكرار منارة الأنوار على كل دائرة دار، فلما انقضت جمعة الخلافة الأولى التي كانت بجَمعه الأبهى وصدره الأزهر الأزهى.

وبما قال ﷺ: «**لا يبقى في المائة الثانية ممن على وجه الأرض اليومَ أحد**»[1].

فبيَّن ﷺ انقضاء كل عصرٍ من عصوره بما فيه من حكم وأحكام وعلماء أئمة أعلام؛ ولأن الزمان الثاني يأتي بحكم المثاني، ولكن في خِلع علوم معارف وأحوال، ومظاهر أحكام وحِكمٍ وأقوال، وظواهر رسوم وأفعال وأعمال.

وبما قيل: لكل زمانٍ دولة ورجال، وهذا من حكم النسخ والتبديل بالتخفيف والتثقيل.

قال تعالى: ﴿وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: 4].

وقال: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [البقرة:106].

وهذا النسخ نسخ بطون، وجَمْع لا نسخ إعدام ورفع، فلا يزال ذلك العين العلم المعْلم والمعنى العالم المعَلِّم المحْكم، يتطلَّع في مطالع كل جمعةٍ من جمعه بعين أعيان مطالع طلعته في خلعة من تكوينات خِلع خلعته، حتى ينتهي إلى ثامنه، وجامع

(1) لم أقف عليه هكذا.

سبعته فتكون هذه العين الطالعةُ بالطلعة، وجامعُ سبعة الجمعة هو الرجل الذي يبعثه الله على رأس كل مائة يجدد لهذه الأمة دينهم، وهو تجديد في بطانيات الحياة وإمساكات القوى، وهذا هو الجامع الربَّاني والعين المحمَّدي الرحموتي الرحماني، وله في وقته سبع من المثاني وهم أيام الجمعة، وحقائق البطانات السبعة فأُسَّهم وأساساهم ورئيسهم ورأسهم؛ هو القطب الأسنى والسرُّ الأخفى والنور الأجلى والولي الأوْلى في الآخرة والأولى؛ وهو القائم بين يدي العين المحمَّدية والطلعة الأحمدية.

وهو الذي قال ﷺ: «**ورجلٌ من أمتي على قلبي**»[1].

فهو القائم تجاه الوجه الأعلى بحكم المسامتة على خط الاستواء، وهذه حقيقة المرافقة والمطابقة كالبدر المستفيد من نور الشمس إذا كان معها على خط الاستواء، وإنما هذا لا ينحرف أبدًا، شديد القوى لا يضلُّ ولا ينسى، وهذا هو الواحد الغريب والمقرَّب الحبيب وسيد الغرباء ونائب حضرة البهاء محمد المصطفى إذا ترقَّى إلى غيب بطانة بطانيته، وتجلَّى في حجاب رحمانيته، فيكون هذا بين يديه في مقام نيابته بتحقيق محمَّدية سيادته؛ وهو بخاصية المثالية الجبريليَّة الدحيَّة التي كان فيها الملك رجلاً يكلِّمه كفاحًا وعن شماله الفرد والمحقق والعارف، فالفرد له العلم الخاص في الزمان الذي لم يعلمه قبله عقل، ولا خطر في جنانٍ، ولا فاهٍ به فم، ولا نطق به لسان، وهذا وهو الهويَّة المرسلة مع الهويَّة السارية، والمحقق هو المستهلك في التوحيد بالكليَّة والفاني في الوحدة الإلهية؛ وهذه درجة الجلالة.

والعارف هو القدم المكين والروح الحافظ الأمين وهو درجة الرحمانية، وبما قلنا في العروش الأربعة الذين هم مستويات المحمَّدية ولا يزالون معه بالمعيَّة وبما ذكرنا من الخاصيات الثلاثة في العُلوية، وهم على عيسى ويحيى، وكلُّ تثليث عرشى الأول بالخاصيَّة والثاني بالخاصة والثالث بالخصوصية ففي هذه الحيطة العرشية علي بخاصية الفرد وعيسى بخاصية المحقق والعارف بخصوصية يحيى.

وبما قال ﷺ: «**ورجلٌ من أمتي على قلب عيسى**»[2].

وهؤلاء عن يسار القطب وعن يمينه الغوث والخليفة والإمام[3].

---

(1) لم أقف عليه هكذا.

(2) لم أقف عليه هكذا.

(3) قال سيدي محمد وفا في النفائس: القطب هو الواحد الموجود المعجوز عنه.

والفرد هو المفرد بالاطلاع على مراتب القطب، على شهود من لا تدركه الأبصار.

=

فالغوث: هو موضع الصدِّيقية وحامل التجلِّيات الربانية والمختطف عن العوارض البشرية بالكلية، وهو السميع المطيع بالذات لِمَا يتجلَّى عليه من انفهاقات الأسماء والصفات وهذه حقيقة الغوثيَّة؛ إذ لولا حقائق الصدِّيقية وقوابلها الراضية المرضية، ما تفتَّحت الأبواب الغيبية، وتنزَّلت الإخبارات الصادقية بالعلوم اللدنيَّة.

والخليفة: هو خزانة الأمانة وحرز الوفاء والصيانة، والحكم بالعدل والعدالة؛ فهو مصرف القسم العرفانيَّة في البواطن الإيمانية، والمشاهدات الإحسانية، والشواهد الإسلامية.

والإمام: هو وجه مواجهة القلوب بمطالبها، والعقول بمذاهبها، والإدراكات بتصوراتها فهو حضرة قُرب القربين، وإليه تنتهى أقدام السابقين.

وهذا هو العرش الأبي بكري فالغوث بالخاصية الأبي بكرية، والخليفة بالخاصية الآدمية، والإمام بالخصوصية الإدريسية، وهذه السبعة وجوهٌ كرام وبدورٌ تمام وحضرات سلام بين يدي العين المحمَّدية والحضرات الوحدانية الأحمدية، ولكل واحد من هذه السبعة العلا مائة من الأسماء الحسنى، فهي حضرات تجلِّيه، وقُدس تدلِّيه وتدنِّيه، ولكل اسمٍ من المائة اسم مائة اسم هي له تسمية كُنى، بحيث يتحقق الهو والأنت والأنا؛ وهي درجات نزوله في تمثُّلاته وعيون ظهوره في تطلُّعاته، فمجموع هذا الجمع الأوفى، والنور الأظهر الأخفى سبعون ألفًا.

وبما قال ﷺ: «**سبعون ألفًا من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب**»(1).

ثم وصفهم فقال: «**هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربِّهم يتوكَّلون**»(2)، ثم وصفهم في دخول الجنة، وقد شبَّه وجوههم بالبدر نورًا ونوعًا.

ثم سُئل في الحديث الآخر: «**هل نرى ربَّنا، فقال: أتُضَامون في رؤية الشمس،**

=

والغوث هو قابلة تنزلات الإفاضات القطبانية بإمداد الأمر، والخلق من حضرة الملك الحق.

والخليفة هو بدل الغوث في مقام الفرق.

والإمام هو بدل الفرد في مقام الجمع.

والمحقق هو رابطة الجمع في عين جمع الجمع.

وقطبية الأوتاد وما يتعلق بها أبدال أبدال القطب الغوث الفرد الجامع.

قال تعالى: ﴿وَاللهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ*بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾ [البروج:20، 21].

(1) تقدم تخريجه.

(2) رواه مسلم (199/1).

أتضامون في رؤية البدر»[1].

فأشار ﷺ إشارة موقَّرة مقدَّسة مطهَّرة إلى هذه الحُجب الوجهية القمرية الشمسية؛ وهم حُجب ربانية وتجلِّيات رحمانية، كما تقرر في التمثُّلات الجبريلية في الصورة الدحيَّة وهو أنه إذا انكشف غطاء البشرية، وانفك طابع طباع الفخارة الطينية، ظهرت أسرار هذه الحقائق القدسية؛ ولأنها كلها أسرار إلهية وأرواح رحمانية وأفئدة ربانية وقلوب أحمدية، وعقول محمَّدية، وأنفس ملكية جبريلية، وإدراكات ميكائيلية.

وعلى الجملة والتفصيل؛ كلها أسرار إلهية وأنوار رحمانية في تجلِّيات ربانية، وتمثُّلات روحانية رحموتية جبروتية ملكوتية مُلكية، وقد ضُرب لنا مثلاً عظيمًا ونبأ كريمًا بما ينزل روح التأمين وسكينة التسكين بإيضاح فصاحة التبيين؛ ولأن جبريل عليه السلام كان في ضمن قوَّته، وتصور علميته صورةُ دحيَّة في بساطةِ قُدس غيبة الإحياء، فلما تمثَّل أخرجَ للفعل ما في القوى، فإن قلت: ذلك المثال نفس جبريل؛ فهو الحق فإنه لا ينفصل عنه انفصال الاستقلال، ولا يباينه مباينة الأجسام من الأجسام والأجرام من الأجرام.

وإن قلت: هو غيره فبوجه ما ينطوي في القوى إذا رجع إلى إحاطته الأولى، وإن كان عن إحاطته ما نَزلْ، وعن مملكة كرسي قدسه ما انعزلَ؛ وإنما هو كتموج الموج في الماء.

قال تعالى: ﴿**وَلله الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [النحل:60]، فإن ظهر هذا فنقول على وجه البيان: إن جبريلَ الحقيقةُ وصورةَ دحيَّة في القوي؛ هي متعلِّق القوى كما تقدَّم فيما مضى، وهذه هي العلة والمعلول اللَّذان لا يفترقان أبدًا كما تقدَّم في معلوم العلم.

كذلك تقول في مقدور القدرة ومراد الإرادة ومسموع السمع ومبصور البصر وكلمات الكلام وأرواح الحياة: كل هذه غيوب لاهوتيتها، وقُدس بواطن إحاطيتها، فإذا تجلَّت كانت هذه المعلولات لها صور تمثُّلات وأشكال تنزُّلات، وتجلِّيات متَّصلة لا منفصلة؛ وهي الأقلام الكاتبة وكل قلمٍ منها هو أمرٌ.

قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾ [يس:82] وألواحها منخلعة عنها كانخلاع حواء عن آدم، كما تقدَّم وتقادم، وتكون الكائنات بعد هذا

(1) تقدم تخريجه.

مشتركة بين الألواح والأقلام كما يشترك السمع واللسان في الكلام، فافهم حقيقة هذا التنزيل، قال تعالى: ﴿وَالله يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: 4].

فهذه الشموس والبدور تجلِّيات ونور وحضرات حضور، وتمثُّلات أسرة أسرارِ سرور، وألواحها المنخلعة عنها منابرها وكراسيها وأسرتها في جبروتها وملكها وملكوتها، فإن فهمت هذه الحقيقة اللدنية فلنرجع إلى كمال القطبية بعد ما تفصَّلت أسرار العين المحمَّدية بالعرشية العَلويَّة، والعرشية الأبي بكريَّة، ولنتنزَّل من هذه الجبروتيَّة إلى الملكوتيَّة بحيث العرشيَّة العُمَريَّة العثمانيَّة؛ وهى الأنوار الوتديَّة وبما كان الاثنان اللذان بقيا من الصحابة العشرة ﷺ أحدهما بخاصيته الكبير الكفهي، والنور الأزهر المستخفي في كهف القطب الذي على قلب محمد ﷺ وشرِّف وكرِّم وعلى آله هؤلاء الطيبين الطاهرين وأصحابه المؤمنين الآمنين.

وكان هذا الكبير الكفهي؛ هو الوتد القائم بين يدي القطب، كما أن القطب محمد ﷺ وهذه القطبية الوتدية هي موضع تثبيت الفرقان وسكينة تقلُّب قلب مسكن الإيمان، وبما قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلله جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ الله عَلِيماً حَكِيماً﴾ [الفتح:4].

مع قوله ﷺ: «**القلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يقلبها كيف يشاء**»[1].

ثم قال ﷺ: «**اللهم مُثبت القلوب ثبِّت قلوبنا على دينك**»[2] فتحقق بهذه أن ثَمَّ تقلُّبات قلوب بمقلِّبات غيوب، وأن ثَمَّ سكينة إيمان وتأييد روح أمان.

كما قال الله تعالى: ﴿أُولَـئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ [المجادلة:22].

وهذه الروح السكينة القدسيَّة؛ هي حقيقة القطبية الوتديَّة الخاصية الصحابيَّة والكهفيَّة وهذا الوتد عن يمينه النقيب والنجيب والحافظ.

فالنقيب بخاصية حق اليقين؛ وهو حصول عين الخبر في المخبَر له.

والثاني: النجيب بعين اليقين؛ وهو تحقيق الخبر في عين المخبر.

الثالث: الحافظ بعلم اليقين؛ وهو حصول الخبر قطعًا بتصديق المخبِر، فهؤلاء عن

---

(1) رواه النسائي (414/4)، والحاكم في المستدرك (317/2).

(2) رواه الترمذي (538/5)، وابن ماجه (72/1).

يمين القطب الوتدي، وهو بخاصية عمر وإبراهيم وإلياس، وعن يساره البدل والخفير والصالح وهم بالإحسان والإيمان والإسلام، فالبدليَّة انتقال من غيب إلى شهادة ذوقًا، وهذا هو الإحسان.

حيث قال ﷺ: «**اعبد الله كأنك تراه**»[1]، وحقيقة بطون البشرية في الروحانية البدليَّة.

كما قال تعالى: ﴿**إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ*وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ**﴾ [إبراهيم: 19، 20].

وقال تعالى: ﴿**يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ**﴾ [إبراهيم:48]؛ فهذا تبديلٌ بالصفات لا بالذات، ولولا حقائق البدليَّة ما ترقَّت القلوب في الدرجات، ولا عرجت القلوب إلى الحضرات، وهذا هو الإحسان بتحقيق الإنسان.

وأمَّا الخفارة؛ فهي تحقيق الإيمانية بما فيها من صدِّيقية غيبية عارضة ربيَّة ودقيقة حالية وهذه حقيقة الخفارة؛ ولأنه بنور تصورات إيمانه يغفر شائبة الشرك الخفي، ويستر بستر إخلاصه النير الجلِّي.

ولذلك قال ﷺ: «**حياتي خير لكم ومماتي خير لكم، تحدثون ويحدث لكم تُعرض عليَّ صحائف أعمالكم، فما كان فيها حسنًا حمدت الله عليه، وما كان فيها غير ذلك استغفرت الله له**»[2]، والغفر والستر فبنور إيمان الخفير، يستر شرك القاصر الخفي اليسير.

وبما قال ﷺ لحارثة: «**كيف أصبحت؟ قال: أصبحت مؤمنًا حقًّا، فقال رسول الله ﷺ: لكل حقٍّ حقيقة، وسأله عن حقيقة إيمانه، فقال: أعرضت نفسي عن الدنيا فتساوى عندي ذهبها ومدرها**»[3].

وجعل الذهب بدلاً عن الدنيا؛ ولأنه يقول ﷺ: «**تَعس عبد الدينار والدرهم والخمصية إن أُعطي منها رضي وإن لم يُعطَ لم يرضَ**»[4].

وفي الحديث الآخر: «**تَعس وانتكس وإن شيك فلا انتقش**»[5].

ثم قال ﷺ لحارثة بعد أن قال: «**تساوى عندي ذهبًا ومدرها، فكأني أرى أهل الجنة**

---

(1) رواه البخاري (27/1)، ومسلم (39/1).
(2) رواه الديلمي في الفردوس (183/1)، بنحوه.
(3) رواه البيهقي في الشعب (363/7)، وعبد بن حميد في المسند (165/1)، بنحوه.
(4) رواه البخاري (2364/5)، وابن ماجه (1385/2).
(5) رواه البخاري (1057/3)، وابن ماجه (1389/2).

في الجنة ينعمون، وأهل النار في النار يُعذَّبون، وكأني أرى عرش ربي بارزًا»[1].

والفرق بين هذا الإيمان والإحسان أنه قال ﷺ: «**اعبد الله كأنك تراه**»[2]؛ فهذه رؤية الله مع نفي الأغيار.

وأمَّا الحافظ فبخاصية الإسلام وحقيقة الانقياد والتسليم والتفويض في الأحكام، وبما جعل الله التسليم للقضاء شرطًا في الإيمان.

فقال تعالى: ﴿**فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾ [النساء:65]، فأكَّد الإسلام بالتسليم وحقَّق التخصيص في التعميم، وهذا حقيقة الحفظ؛ ولأن الأبشار لا تصبر تحت تصرُّفات الأقدار، ولولا الأخيار لهلكت الأغيار.

وبما قال ﷺ: «**يقول الله: لولا أطفال رُضَّع، وبهائم رُتع، وشيوخ رُكع، لصببت البلاء عليكم صبًّا**»[3].

وهذا الحافظ المسلم موضع نظر الحق عند تنزيل الأرزاق للخلق، فالبدل بخاصية عثمان والخفير بخاصية موسى.

وبما قال ﷺ: «**ورجلٌ من أمتي على قلب موسى**»[4].

والحافظ بخصوصية الخضر، فالعُمريَّات أقطاب في العلم اللدني والعثمانيَّات أقطاب في الحال، وهؤلاء يتزايدون في العدد، ويتكاثرون في المدد حتى يكون مع كل واحدٍ من السبعين ألفًا المتقدِّم ذكرهم سبعون ألفًا من هؤلاء.

كما قال ﷺ في دخول الجنة بغير حساب: «**سبعون ألفًا ومع كل واحد منهم سبعون ألفًا**»[5].

كلهم شموسٌ عُلا وأقمارٌ بَها ونجوم هدى، وهذا هو المشهد الكبير في الجمِّ الخفير، وهو عالم الملكوت ظهارة بطانة غيب الجبروت، فهم سبعمائة ألف ألف.

قال تعالى: ﴿**وَالله يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَالله وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة:261]، وهذا تنزيل العروش الرحمانية والحقائق الربانيَّة.

---

(1) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (110/6).

(2) تقدم تخريجه.

(3) رواه الطبراني في الكبير (309/22)، والبيهقي في الشعب (155/7).

(4) لم أقف عليه هكذا، وهو كمشابهيه من الأحاديث الكشفية.

(5) تقدم تخريجه.

وأمَّا الكراسي الأربعة التي تقدَّم ذكرها في الصحابيات وهي ظواهر على الغيوب العرشيَّة وبطائن للظواهر الملكية في السماويَّة والأرضية؛ بَل هي أعيان عيونها وموازين أحكام ترجيح ظنونهم، وتبيين موجودات أوهام أفهامهم في فنونهم، وهم أئمة الاجتهاد ومؤصِّلوا أصول الفرق بين الصلاح والفساد، وحقائقهم عقول الترجيح والتجريح في التحسين والتقبيح؛ كمالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد أُولي المناصب المنيفة والمراتب الحفظة الشريفة؛ هم أئمة الدين وحفظة المسلمين وخزنة العقد الثمين والسرِّ المكين، جعلهم الله حُماة لحمى عدم أمانه، وحفظة لخزائن أسرار إيمانه وإحسانه، وحافظهم وجامعهم وقطب دائرتهم الواحد الباقي من الصحابة العشرة الكرام البررة، فجر ليالي المحمَّدية الطالع، وإبصار نور برق سرِّه اللامع ﷺ أجمعين وعن التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وهذا هو الجمُّ الأعم والأكثر الأكبر، والعِلم الأعلم المعَلِّم فمنهم المتكلِّم والأصولي الفقيه، والفقيه الفروعي هذا بالنمط الواحد.

ومنهم: المحدِّث والنحوي والمفسِّر؛ هذا بالنمط الثاني وهذه أيضًا سبعة بخاصية الوسط الصحابي، ولكل علم من هذه العلوم الستة قطب في الزمان، تكون فيه النهاية ويأخذ منهم الغاية.

والنمط الثالث من الكراسي منهم: العامل المجاهد، والصابر المكابد، والمقتصد القاصد وهؤلاء أيضًا أقطابٌ في الزمان وذخائر أسرار في الأوان.

والنمط الرابع: الصوفي المحقِّق، والصوفي المتخلِّق، والصوفي المصدِّق.

فالأول: بجمع الجمع نحو ما تقتضيه علوم الصوفية، والثاني: بالجمع، والثالث: بالسمع فرُبَّ حالٍ، وصاحب حالٍ، وعبد حالٍ وهؤلاء؛ هم أنوار الحضرات وأبواب أسماء سماء سماك النُّهى، كما أن الكرسيين الأولين مفاتيح أبواب جنة الجزاء، وديوان حساب العطاء وهذا في كل أيام سبعة في يوم جمعة من الجُمع السبعة، تتكرر تكرار الصلوات، وكما مضى يكون ما هو آتٍ حتى إلى يوم الميقات.

تعريف التصريف في التحليل والتلطيف

ولما جُمعت الصورة الطينيَّة والفخارة الجسمانية الأرضية، كان أول ما التأمَ منها ببطن نعمان، وتصور النقطة الأولى وهى عُجب الذنب وهي السلامي الأصغر، وجُمعت فيه بالحكمة الربانية والقدرة الإلهية التي لا تتصورها أوهام الخلق، ولا تنزل إلى وسع النطق مِن ذرات الصور بعدد بني آدم الذين أخذ الرب عليهم العهد عدد كعدد ومدد كمدد.

ولَمَّا أنزله الله سبحانه وتعالى بصورة آدميته العَليَّة أدخله من مسام عجب الذنب إلى هذه الصورة الطينية، فدخلت كل ذرة في ذرتها، واتَّحدت كل صورة في صورتها، فلمَّا صار إلى قلب الطيني ذو الشكل الصنوبري؛ انبثَّت أنوار حياته الروحانية على هذه الصورة الجسمانية، فاستفادت هذه الحياة الحيوانية بما فيها من حركات وصفات وأقوية وترتبيات من ماسكات ومؤدِّيات مما نعاينه من أنفسنا، مِن كل قوةٍ حِكميَّة في آلة حُكميَّة على اختلاف عجائب تصريفات في تكثيفها وتلطيف، فكان في القلب الطيني مصباح الزجاجة قد أشعلَ نوره فيها سراجه، وتحلل نوره بعين مشكاته الطينية، واستغرقتها من كل جهاتها تعينات خارجياته، فملأ الأعلى والأدنى من آفاق هذه الدنيا بانبثاث تلك الأنوار والحيوان وجميع أعيان الأكوان بأمثال مثل صورة الإنسان.

وبما قال تعالى: ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ**﴾[الأنعام:38].

ومن ثَمَّ يلوح لك معنى قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ يُؤَاخِذُ الله النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمّىً فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ الله كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً**﴾ [فاطر:45].

وتنسمُ نسيمَ السرِّ الأسنى من هذا المعنى وهو قوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ**﴾ [الملك:19].

فهذا القلب هو بيت الآدمية، ومُنزل صورته الملَكيَّة، ومنه تتنزَّل تفصيلات إرادته بأحكام تصرفاته.

قال الله ﷻ: ﴿**الله نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي الله لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ الله الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَالله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [النور:35].

واعلم أن هذا القلب هو بيتُ الربِّ، وأمَّا القلب الواسع الذي وسع نزول الجلالة بتجلِّي المقدَّس الأعظم جلَّ جلالة؛ هو قلب الآدمية، وسرُّ فطرته الروحانية، ومسكن حق حقيقة الإنسانية موضع استواء حيطة الرحمانية، فلمَّا تحللت هذه الصورة الصوريَّة بانقباض روح الحياة الحيوانية، وهو قبض بطون لكونٍ يكون، فانطوت روح حياتها في كل ذرةٍ من ذراتها وجوهر فرد من جواهر جسمانياتها، فلمَّا تحللت إلى غاية التحليل، وتنزَّلت بالتلطيف إلى غاية التنزيل، فصارت صورًا كالهباء في أعماق الهواء، ثم تنزَّلت

مع استقطار الماء إلى الأرض من السماء أعني: سماء الأثير ومستقطر ماء الزمهرير، وهو ما تصعده الحرارة من رطوبات الأجواء، وتنزِّله استقطارًا من الأنواء، فلمَّا تنزَّل هذا الجسم الملطِّف مع الماء من الهواء إلى الأرض الصمَّاء، أخذ كل فلكٍ ما له فيه بالقوى وجذبه جذبًا واستيلاءً فتفرَّق في أعيان الأكوان من معدنٍ ونباتٍ وحيوانٍ، وتخلَّقت الخِلَق بأخلاقها، واستولت الدقائق على دقائقها بانطباقها، وتطابقت بأحكام تطابقها في سوابقها، فالتبست من هذه الجسمانية كل ذرةٍ بصورة، ودرات في دورات الأفلاك إلى نهاية الدورة؛ وهو اليوم الرباني والتأجيل الفرقاني.

قال تعالى: ﴿**وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ**﴾ [الحج:47]؛ فحينئذ يجمعها بحكمة الجمع ليوم الجمع من له في كل كونٍ روح الطاعة والسمع.

﴿**أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ * وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ**﴾ [يس:77، 78، 79].

فلمَّا أراد الله جمعه واجتماعه، وردَّ أحكامه وطباعه وأوزانه وأوضاعه؛ ساقته ملائكة الأرزاق من الآفاق إلى الأب المقسوم بالأمر المحتوم؛ وهو حامل درَّة خزانة سريراته، تناوله في أكلاته بإرادات شهواته وأذواق تلذُّذاته في معادنه ونباته وحيواناته.

فلمَّا صار كيلوسًا ثم يصير دمًا لطيفًا؛ تحصل تحت كل شعرةٍ منه قطرة بأحكام سرِّ القدرة، ثم تحرَّكت الحركة الشهوانية الكائنة في الأبيَّة بتحقيق تلك الأوليَّة فوطئ الأنثى، واستُقطرت الحرارةُ الغريزية بالحكمة الربَّانية تلك الأبعاض الدمويَّة، فاجتمعت إلى الكبد وقد تَمَّ فيها حكم نظام العدد، ثم طافت مجتمعة بجميع الجسد، فاستعدت باستعداد الحيوانية البشرية؛ لقبول ذرة صورته الآدمية، ثم اجتمعت عند الصُّلب تلقاء عجب الذنب، فتنزل فالق الحب والنوى في لطائف رقائق الهواء، فأخرج منها سريرة الوديعة في الذرة المودوعة، فانبثَّت في الماء الدافق، والتحم الأمر وتطابق فالتزمتها التزام الحبيب بحبيبه، وائتلفتها ائتلاف الغريب بغريبه، ثم تنزَّلت إلى الرحم، وقد اجتمع الشمل الملتئم فقابله الماء المهيأ وقد اجتمع له كاجتماعه، وانطبع به كانطباعه، وهو من أجزائه التي تلطَّفت حين تفرَّقت، وائتلفت حين اجتمعت؛ ولكن هذه تنزَّلت وانحرفت، وتلك استقامت وانتَّصبت، ولما فيه من حكمة أرضيَّة وسماويَّة وسفليَّة وعلويَّة وفرقيَّة وتحتيَّة وأُميَّة وأبيَّة سنَّة لا تتبدَّل وحكمة لا تتحوَّل.

وهذه القوة الأُلفيَّة والمؤتلفة العليَّة هي التي تكون من الإبراهيمية في الإسماعيلية؛

وهي اللطيفة النورانية الكائنة منها صور المحمديَّة الصوريَّة، وتكون الأخرى من الأبيَّة الإبراهيمية في الإسرائيلية حتى تبيَّن ذلك في الصدِّيقية المرْيَميَّة، وتعيين الصورة العِيسويَّة من غير أبيَّة جسمانية، وعلى هذه الجسمانية تقوم الساعة الكليَّة عند انقضاء القضية، فلمَّا صارت إلى الرحم والتأم الجسم الملتئم تعفَّنت أربعين يومًا، ثم صارت علقة أربعين يومًا، ثم مُضغة أربعين يومًا؛ ليتحصَّل فيها قوة استعداد جميع الأكوان من معدنٍ ونباتٍ وحيوانٍ.

والكلام إنما هو عن هذه المضغة التي هي حقيقة جسمه، والحاصرة لصورته وحجمه لا عن الفضلات الزائدة والكوائن المتزائدة كالمعقول عنه في كثيرٍ من الأحوال والمتزايد بالتولُّد في السمن والمتحلِّل عند انهزال البدن.

وكل كمية تزيد على هذه الكمية، وتتكاثف على هذه الجسمية ليس لها هنا إشارة ولا يقع عليها في هذا المحل عبارة؛ وهي أمورٌ تعود إلى كثافة أجسام الطباع بحكم أحكام تكون في الأوضاع؛ إنما هو على هذا الاجسم الخاص بحكمة هذا الاختصاص.

وبما قال ﷺ: «**يجمع خلق أحدكم في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك**»(1)؛ فحينئذٍ تلتئم هذه الصورة كأول مرة، وأريد الصورة الأرضية والفخارة الطينية حكمة كحكمة، وسنَّة كسنَّة.

وقد ورد: «**يبعث الله الملك فينفخ فيه الروح ثم يُؤمر بأربع كلمات فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقيٌّ أم سعيدٌ**»(2).

واعلم أن هذا الملك المبعوث بالروح المنفوث هو من عالم الروح العلا والملأ الشديد القوى.

كما قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ [الإسراء:85].

قال ﷺ: «**الروح: خلقٌ خلقه الله تعالى على صورة بني آدم**»(3).

وفي طريق آخر: «**يأكلون ويشربون**»(4).

وهذا هو عالم الأمر، وبما تقدَّمت حقيقة المَسحة على الصُّلب وإخراج الذرية

---

(1) رواه البخاري (1174/3)، ومسلم (2036/4)، وأبو داود (228/4).

(2) رواه البخاري (2713/6)، ومسلم (2036/4).

(3) رواه أبو الشيخ في العظمة (872/3).

(4) رواه الطبري في التفسير (22/30).

للعهد كانت المسحة العليَّة حجابية أقدسية، وخلعة عليه ربَّانية من تنزُّلات تجلِّيات الرحمانيَّة يالتمثُّلات الروحانية، فكانت عليه خلعة وقار، ومنارة أنوار، ومطلع تجلِّي شموس وأقمار.

ولهذه المسحة الحجابيَّة أُخذ العهد، وأُوثق العقد على الذرِّ، وكان الإقرار بقدر معرفة القْدر، وبما تجلَّت في هذه المسحة الأقدسيَّة والحجابيَّة العليَّة من التجلِّيات الربَّانيَّة بعدد أعيان الصور الذرية، شهدت كل ذرة ما يخصَّها من التجلِّي الأعلى، ويواجهها من وجوه القدس الأبهى، وكان الذر في الصلب على حكمة الأخذ، فكانت كل حقيقةٍ علويَّة حافظة برقيقتها الملكيَّة، ودقيقتها الآدميَّة على ما لها من الذرية تشاهدها وتشهد لها؛ وهي التي تُميتها وتُحييها وتُعيدها وتُبديها وتُثيبها وتُجازيها.

وهذه المسحة الحجابيَّة والصورة القدسيَّة العلويَّة هي التي بطنت في آدم الأكلة قبل كائنة النزلة، وليست هي الروح المنفوخة التي كانت لها السجدة العظمى بالحكمة الأولى تلك سر الأسرار وذخيرة ذخائر الأنوار ولطيفة لطائف الدرَّة ومستودع عالم القدرة القدرة وهي التي بطنت في غيب باطن بطون بطانته قبل دخوله إلى دار كرامته.

واعلم أن هذه المسحة الحجابية والصورة الأقدسية التي بطنت في الآدمية؛ هي الساق العرشيَّة المتنزِّل في أعماق الآدمية، وهو الذي إذا كشف يوم القيام تبيَّن لكل أحد قدْره والسَّلام، فيكون الملك المبعوث بالروح المبثوث كما تقدَّم.

هو رقيقة من هذه الرقائق الأمريَّة المنخلع بالدقيقة الآدمية من الحقيقة الحجابية بالمسح على الذرة العهديَّة هي الحقيقة الروحانية هذه الصورة الصوريَّة الكائنة بعد التلطيف بالتأليف وهو صاحب رزقها وأجلها وخُلقها وعلمها وعملها، ومقدِّر أقدار آجالها في حالها ومالها، فيما كان من آدم وصورته الصورية، يكون أبدًا إذا تعيَّن بعينه العيينيَّة وصورته الكليَّة في المرتبة السياديَّة والمنصَّة العليَّة الرساليَّة العربيَّة.

فأول دورته كانت في النوحيَّة ثم الإبراهيميَّة ثم الداوديَّة ثم السُليمانيَّة ثم العِيسويَّة، وأمَّا اللطيفة المحمَّدية فمدخرة في غيب الإسماعيلية، تنتقل إلى أن تظهر في القرشيَّة وكذلك جميع الذرات البشرية تدور بحكمة هذه الدورات الذرية، تكون نشرًا بالتحليل وحشرًا بالتركيب بحكمة هذا السرِ العجيب، ولا يرتفع حكم هذه الحكمة وتجلِّيها حتي يرث الله الأرض ومَن عليها، وهذا بحكمة حشر ونشر لا بتحكم نسخ وفسخ ورسخ، وهذا يُنافي علل التعليل.

قال تعالى: ﴿**وَالله يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ**﴾ [الأحزاب:4].

الحقائق الشوامخ في تفصيل البرازخ

قد تقدَّم فيما مضى من التنزيل، وتبيَّن بالتفصيل من التجميل أنه لَمَّا نزل آدم من تلك المرتبة العليَّة بالصورة الملكيَّة البهيَّة الروحانيَّة الفاعليَّة بما بطن فيها من المسحة الحجابيَّة وهي الرحمانية الأقدسية والساق القائم بالحملة العرشية، وغاب تلك الغيبة الغريزيَّة بالسكرة النومية، انخلعت عنه خلع الصورة العالمية بتفصيلات جزئية من جمل كلية فكان منها أشباحًا صورية وأشكالاً حسيَّة، وأمثالاً نفسانية حيوانية، وتمثُّلات روحانية ناطقية إنسانية آدمية.

وقلنا: إن هذه الأشكال والأشباح في الأجسام والأرواح على اختلاف أنواعها وكثرة أعدادها وأحكام ضيقها واتِّساعها لكل شاكلة شكلٍ من حيث هي هي بانطباق خِلقة خلُق خَلقها حواسّ وإدراكات وتصورات في قوى وإمساكات وكيفيَّة، في فتوق من أرضٍ وسمواتٍ في جزئيات وكليَّات فيما يعطي حكم طباعها، وتحكم إحكام أوضاعها بما لا يعلمه إلا من يعلم السرَّ وأخفى في الأرض والسماء، أو مَن ارتضاه عَالِم السر والنجوى ومكَّنه بالروح الشديد القوى في كشف أطباق سدرة المنتهى، وكما عَلم كلٌّ صلاته وتسبيحه، كذلك يعلم تشكيله وتسبيحه.

واعلم أن الطينة اليمينية التي قبض منها القبضة الذرية، وقدَّرت ذلك القدر في الميثاق كانت من طين نهر الكوثر؛ وهي الكافور والمسك الأذفر والزعفران المحلل بالعنبر في ألوان ذهبية فضية ولطافة لؤلؤية زبرجدية، ومرجانية ياقوتية زمردية، وسبجية وملونة في كل معجبة ومدهشة ومسرَّة ومفرحة، ولها من الأشكال في كل ذرةٍ ما يناسبها في الحسن والجمال والبهاء والكمال والنزاهة والنضارة في معدنيتها ونباتيتها وحيوانيتها.

هذا لكل ذرةٍ منها في جامع صورة آدميتها وأحكام إرادة إنسانيتها، وثَمَّ «**ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر**»[1].

وهو بما يَنفهق إليها من سرير ملكوتيتها ومستوى عرش رحموتيتها من تجلِّيات رحمانيتها بأحكام إحاطيتها، فثَمَّ والله «**وما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر**» من حيث صور طينتها، وبشرة فخاريتها، وكثافة حساس جسمانيتها.

وكذلك القبضة الأخرى كانت من طينة الخبال قد شملتها مشأمة الشمال بنكالٍ

---

(1) تقدم تخريجه.

ووبالٍ وأرواحٍ نتنة قذرة، وألوان مسوَّدة مضخَّمة كدرة ولها ما يشاكلها من صور فظيعة وأطوار موحشة وضيعة، وأشكال مدهشة مريعة من جنس معدنيتها ونباتيتها وحيوانيتها فلمَّا جبلت هذه مع تلك؛ ما تداخلت ولا تلاحمت ولا تضايقت ولا تزاحمت ولا تماثلت وتشاكلت.

قال تعالى: ﴿**وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ**﴾ [لأعراف:46]، وإنما هو حين الأخذ بالمسحة العلية والقيام في الحضرة العهدية؛ ذهلت الذرَّات الإيمانية في المشاهد الرحمانية، فالتحمت معها الذرات الظلمانية التحام الزحام، واختلطت اختلاط الإلمام فكما دهشتني الإيمانيات في مشاهد الرحمانيات الربَّانية، دهشت هذه في الزبرجديات واللؤلؤيات والذهبيات والفضيات.

وبما قال ﷺ: «**تَعس عبد الدينار والدرهم والخميصة إن أُعطي منها رضي وإن لم يعط منها لم يرضَ**»[1].

فهؤلائك استغرقوا في مشاهدة الأنوار، وهؤلاء التهوا ببصيص ألوان الدرهم والدينار فما شهدوا للربوبية إلا شهادة الزور؛ ولأنهم كانوا غائبين في صور الحضور فلمَّا ازدحموا هذا الازدحام، والتحموا هذا الالتحام، والتأموا هذا الالتئام؛ فشاب النورانية من الظلمانية شوائب ظلمانية روائح يحمومِيَّة، وكذلك الأخرى اكتسبت من روائح طيبها كسبًا عرضيًّا ومن أنوار جمالها اقتبست قبسًا منطقيًّا، فما كان به في هذه الدار من المؤمن من أنواع غفلات وشكوك وترددات، وغير ذلك مما ينافي الأسرار الإيمانيات فبما عَرض له من تلك العارضية الزحامية، وشابه من تلك الشائبة الإلمامية.

وكذلك الكافر ما يكون به فيما يظهر في مبادئ الأمر، وشاهد الحس من إحسانٍ وحسنات، وقيام بصدقات وخيرات؛ فهو بما اكتسبه من ذلك الالتحاف، وأشراف عليه من مواقف الإشراف، وليس للأعراض حكم من الدوام والحقائق من حيث هي هي لها بالأنفس الإيمانية إلمام؛ ولأن المنهل العذب كثير الزحام.

واعلم أن الأشكال التي انخلعت عن آدم كانت بحكم القبضتين، وخِلع أشكال تشكلات الفريقين، فإذا تبيَّن هذا.

فنقول في تقسيم المراتب البرزخية بالسُّنَّة التربيعية التفصيلية: إن البرازخ تنقسم إلى: مَلَكيَّة وجانيَّة وإنسانيَّة وآدميَّة.

---

(1) تقدم تخريجه.

فالملكية: تنقسم إلى صور اتِّحادية ومحال حلولية فمن حيث هو برزخ مَلَكي؛ فلأنه كله مشبح مجنح ومريش مطوف، ومذهب مفضض ومدملج مبهج.

وبما قال الله تعالى: ﴿**جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ**﴾ [فاطر:1].

من قوله ﷺ: «**إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يبعثه الله**»[1].

وإنما للحصر هنا بقرينة المعنى لمن فهم المعنى ومن استولى عليه هواه فأعماه ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهذه الصورة له صورة اتحاد، وجُحد هذا المعنى إلحاد؛ ولأنه بلاغ من أوتي جوامع الكلم، واجتمعت له أبعاض العلم في سلك فرائد الحكِم.

وقال من يعلم السر وأخفى: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى**﴾ [النجم:3]، وحقيقة الاتحاد كالروح يمثل بشرًا سويًّا، وتلك الصورة البشرية ليست عنه بخارجية؛ إنما هي قوة روحانية قادرة على التشكُّل فيما تشاء من شاكلة شكلية، وإنما الفرق في الحقائق الروحانية بين من يتمثَّل بالقسرية، ومَن يتمثَّل بالاختيارية، ومَن يتمثَّل بالأحكام الطبيعية فهذا النوع اتحاد وهو إمَّا بالقسر، وإمَّا بالطبع، وإمَّا بالاختيار.

فأمَّا الاختيار؛ فهو الذي متى شاء تجرَّد وفى أي صورة شاء تجلَّي وتجدد، فإن أمكن التجديد دون التصورات الشكلية فهذه حقائق رحمانية وتمكينات قدسية حضروية، وإن كان لا يمكن أن يتمكن هذا التمكين فيكون من تجريد إلى تجديد، وهذا إذا انخلع عن صورة من صوره المثلية قام في أخرى بحسب تنوعاته القدسيَّة.

وهو معنى قوله ﷺ: «**أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر**»[2].

فنسمة المؤمن تشكَّلت من نفسها وحياة قدسها؛ تنزُّلاً في بساط أُنسها لجسمها طيرًا أخضر تشكلاً نورانيًا أزهى وأزهر، وهي بالأحكام الثلاث بالطبع والقسر والاختيار.

وأرواح هؤلاء الشهداء خَلعت أشكال تشكلاتها وأمثال تمثلاتها، ثم لبستها لباس متاع، وتقمَّصتها تقمُّص استمتاع مع أنها قادرة على التجريد بالانخلاع وعلى التجديد بالاختراع.

وهذا برزخ أهل اليمين وطرق الطيبين الطاهرين: ﴿**وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ**

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) تقدم تخريجه.

كُلِّ بَابٍ * سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد:23، 24].

وأمَّا **برزخ الجان**: فكلُّه براقيات ومراكب حيوانيات وحشيات وأهليات، وبما أخبر ﷺ بالخبر الصدق والنبأ الحق: «**إن الإبل مخلوقون من الجن**»(1).

وجاء في الأحاديث الواردة: «**أهل الجنة يركبون على نجب من نورٍ وخيلٍ**»(2).

كذلك من نورٍ وياقوتٍ ولؤلؤٍ وكافورٍ فكلَّها تشكُّلات خلع وانخلاع، وتمثُّلات تطلُّع واستطلاع على اختلاف أكوان وألوان، وفيها من كل شيء زوجان، وكلٌّ له بحكم ما يعطي انطباق خَلْقٍ وخُلُقٍ تخلُّق الأخلاق بالملكة المالكة والإرادة المحكمة، وفتقُ إدراكها في الآفاق كما تقدم في نظم ذلك السياق، وهو أيضًا بالطبع والقسر والاختيار كما تقدم في ذلك الإشعار.

وهذا البرزخ على قسمين: منه هذا التخلُّق وهو بوجه التبعية الإيمانية والاعتقادات التقليدية.

ومنه: الشيطانيَّة وهي كلها على صورة الحيَّات والعقارب والديدان وجميع الخشاشات وهي على النحو الذي تقدم.

وإنما تلك: **﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾** [المطففين:9] في عليين.

وهذا: **﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾** [المطففين:9] في سجين.

وأمَّا كونهم في صورة الأفاعي والحيَّات، فبما ثَمَّ من مستقرات، وبما قال ﷺ: «**إذا رأيت الحية فاستأذنها ثلاثًا فإن لم تذهب فاقتلها فإنها شيطانٌ**»(3)، أو كيف قال بما هذا معناه.

وأمَّا البرازخ الإنسانيات فهي في العوالم الناطقة والألسنة المخبرة الصادقة والأقلام الفاصلة الفارقة وهي حضرات البهاء وأفلاك نجوم العُلا وأساس الساق الأقوى على القدم الصدق الأرسى، وهي ما يكون بها من غيوب لاهوتية، وتجلِّيات رحمانية، وتنزلات نورانية، وتمثُّلات روحانية من حيث ما هو الأفق الأعلى والمستوى الأسنى جلَّ ربُّنا وعلا وله الأسماء الحسنى والصفات العُلا.

قال تعالى: **﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾** [طه:7]، فما من دائرة دار، وحضرة حضيرة منار وقرار؛ إلا ولهذه البرازخ الإنسانيات عليها إحاطات اطِّلاع ولها

(1) حديث يذكره أرباب المكاشفات.

(2) كسابقه.

(3) رواه ابن حبان (453/12) بنحوه.

فيها تنزلات باستمتاع، وهي على قسمين بالإنسانيات، وهي ما ثَمَّ من حقائق عقليات، وتمثلات معنويات، وتصورات علمات في آفاق علميات، وهي «**ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر**»[1].

قال تعالى: ﴿**فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [السجدة:17].

ومن حيث هي آدميات، فبما ثَمَّ من تنزلات إدراكيات في مدارك روحانيات في ألحان فرقانيات وتحبيرات سمعيات.

قال تعالى: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً**﴾ [الإنسان:20].

كيفية هذا التعريف

وبما كان عجب الذنب منه الخروج، وفيه الولوج ومنه بعد العود.

وبما قال ﷺ: «**كل جسد بن آدم يُبلى إلا عجب الذنب منه خُلق وفيه عود ومنه يخرج تارةً أخرى**»[2].

أو كيف قال ﷺ بما هذا معناه، فهو إذا خرج من غيب هذا العُجب بحكم الذرة وتصور في صورة الصنعة، ونزل الملك، ونفخ فيه الروح على نحو ما تقدَّم من الإيضاح والوضوح، وأخرجتْ كل جوهرة من جواهر جسمه الحاصر لصورته ما فيها من خلقة خَلق خُلق، وانفتقت فيما لها من سموات وأرض وأُفق، ودار كل فلك منه على مداراته وتطور كل أُفق في أنواع تطوراته، وارتفع التسبيح باختلاف اللغات، وكثر الزجل بالتقديس، وارتفعت الأصوات، وسرت حقائقهم فيه يحقيقة هويَّته السارية وإرادته المحمية في قيوميته القائمة سريان الماء في عروق النبات، واتَّحدت فيهم، وامتزجت، وتنزَّلت فيهم بما تنزَّلت، وتحكمت فيهم بما تحكَّمت، وتخلَّقت منهم بما تخلَّقت، وجهلت بحكم ما ذهلت ونسيت، وعلمت بحكم ما اطَّلعت وتحقَّقت وشاهدت وشَهدت، وبما كان لها في الحكمة الوضعية والنسبة الطبيعية أربع مَلكات ثابتات محكمات.

مَلكتان خلقيتان وهي ما قاله ﷺ: «**ما من أحدٍ إلا وقد وكَّل به قرينه من الجن**

---

(1) تقدم تخريجه.

(2) رواه مسلم (2271/4)، وأبو داود (236/4)، والنسائي (666/1)، وأحمد (322/2).

والملائكة»[1]؛ وهذان حقيقتا البرزخين، وحقيقتان وهما الإصبعان.

كما قال ﷺ: «**القلوب بني آدم كلهم بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلبٍ واحد يقلبها كيف يشاء**»[2].

وهاتان حقيقتا البرزخين، فتلك الملائكيَّة والجانية، وهذه الإنسانية والآدمية فإن مَلكته الملكة الجانية، واستولت وحكمت وتحكمت؛ كان بها إذا قُبض قبض الوفاة، وانطوى بذريته في عجب ذنبه، وكان بروح الحياة وانثَّبت جواهر جسمه الحاصرة لصورته بالتلطيف مع الهواء، وتنزَّلت مع الماء وتطوَّرت ذلك التطوير، وتقدَّرت ذلك التقدير وكان هو بحكم الملكة التي مَلكته، والخِلقة إلى خَلقته ولبسته، انفتق في أطورها بإدراكها، وانحصر في آفاقها بأخلاقها، فشهد جميع ذراته في أطوارها بحكم هذه الملكة التي هو بها فإمَّا ثواب نعيم، وإمَّا ثيابٌ قطِّعت من نارٍ حميم.

وكذلك إذا تخلَّق بالقوة الملكية وبالقوة الرحمانية الربَّانية الإصبعية فحكمهُ بحكم ما تخلَّق، وشهوده بوفاق ما تحقَّق؛ وهذا هو أحكام القِران والتقرين في أصحاب الشمال وأصحاب اليمين والطيبين الطاهرين السابقين، وهذه الأزواج الثلاثة الذين بيَّنهم الله تعالى في نص الكتاب لأولي الألباب، وهذا العُجب هو حقيقة القبر، فإن كان شيطانًا دخل عليه تنين له تسعة وتسعون رأسًا كما أخبر ﷺ، وإن كان جاثيًا إيمانيًا وجاءه الملكان اللذان هما حقيقة إنكاره وتنكيره في تقديره وتدبيره وتردده في ضعف إيمانه، ولكنه كان في مجاهدة ومكابدة واتَّبع وأطاع وأرغم شيطانه، فيتمثَّل له الإنكار والتنكير في صورتي منكرٍ ونكير.

وهذا موضع المحنة والفتنة فنسأل الله الثبت بأحكام الآيات: ﴿**يُثَبِّتُ الله الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ الله الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ الله مَا يَشَاءُ**﴾ [إبراهيم: 27].

فيسألانه عن اعتقاده في التوحيد والرسالة، فيتلجلج تلجلج الحائر، ويتوقَّف توقُّف الحاسر، فتتمثَّل له أعماله الصالحة في صورة طيبة صالحة، فتلقِّنه حجَّته، وتوضِّح له محجَّته فإذا انصرف عنه الملكان.

قال له: مَن أنت الذي مَنَّ الله عليَّ بك؟

---

(1) رواه مسلم (2167/4).

(2) رواه مسلم (2045/4).

فيقول: أنا عملك الصلح، أنا صلاتك فتُخلع عليه هذه الصورة ويتَّحد بها وهي الكوَّة التي تُفتح له إلى الجنة، فيطَّلع على جميع تطورات ذرات جسمه تطلُّع النِّعمة بأحكام هذه الحكمة، كما أن ذلك التنين الشيطان اللعين يتلبَّس بوليِّه ويستغرقه بكليه، وهو أيضًا الكوَّة التي يتطلَّع منها على ذرات جسده، وبئس الاطِّلاع في مَلكة فاسدة الأوضاع، فما يرى إلا حميمًا وسعيرًا وعذابًا ونكالاً كبيرًا، كما أن الآخر يرى نعيمًا وملكًا كبيرًا.

وعلى هذا التقدير؛ يكون كل ما أخبر به البشير النذير حقًّا واقعًا، ويقينًا قاطعًا، وأعيانًا قائمة، وأحكامًا ثابتة لازمة.

وكذلك إذا كان بحكم الإصبعين، فعظيمٌ ما يكون به من أنوار وأسرار، وتصريفٍ واقتدار، وكشفٍ واطِّلاع، وإبداعٍ واختراع، فتكون عوالمه كلها صور إنسانيات وحضرات رحمانيات، وملكوتيات ومُلكيات آدميات معروشات وغير معروشات، تكون له درجات وطباقًا وأفلاكًا وآفاقًا وجزاءً عطاءً وِفاقًا.

الحقائق الغائيَّة في المواقف الأُخرويَّة

الحمد لله العلي الرفيع العظيم البديع، والشديد السريع القادر المريد المحي المميت المبدئ المعيد، العالم الواسع، والحافظ الجامع الذي نصب لكل غَيب شاهدًا، ولكل معنى عينًا وعن كل أحدٍ واحد واحدًا، وحَدَّد، وعدَّد، وسوَّد، وعبَّد، وأبلى، وجدَّد، ووعد، وأوعد وجعل لكل بداية نهاية، ولكل سِعَايَة غاية، وضع الدنيا للزوال، وأحكم أساسها على الاضمحلال، والآخرة دار المقام وذات البقاء والدوام، صرم عنها أحكام الانصرام، جعل مقدمتها يوم القيام ومواقف الازدحام والالتحام والاصطلاح، جمع الأوَّلين في الآخرين، وحشر السابقين في اللاحقين، ووضع موازين القسط للقاسطين والمقسطين.

قال تعالى: ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ**﴾ [الأنبياء: 47].

أبرز العرش من غيبه إلى شاهده، فتجلَّى كل أحدٍ في واحده، وقد رتَّب الواحد بثانيه، والثاني بثالثه، والثالث برابعه، والرابع بخامسه، والخامس بسادسه، ووضع العروش والكراسي والأسرَّة والمنابر في السابع والثامن والتاسع والعاشر، وبما كانت العشرات غايات في العدديات، كانت الحواس الظاهريات والباطنيات بالقِران في الحسِّ المشترك كما تقدَّم في التمهيدات، وكذلك القلب في التربيعات العرشيَّات

بالتنزيلات والتجلّيات، ومنها الثمانية الحاملة.

قال تعالى: ﴿**تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ [البقرة: 196].

وكُشف الساق، فظهر الباطن وبطن الظاهر، فحينئذٍ تُبلى السرائر، ويلزم كل عنقٍ طائر، وينصب الصراط للوارد والصادر، فجائزٌ عابر، ومتعثرٌ حائر، وساقطٌ قاصر ما له من ناصر، ويبرز حوض الكوثر وقد نصب عليه المنبر، وقد استلم أركانه الأربع أبو بكر وعمر وعثمان وحيدر، وفيه قد انساب بحر القدس، وتفجَّر بنور سبحاته المربع والأزهر وهي: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر ومنه مِداد البحار الأربع والنَّهر.

قال تعالى: ﴿**فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ**﴾ [القمر:55]؛ وهي الماء واللبن والعسل والخمر.

وحين ذلك يستبشر مَن استبشر، ويتحسَّر مَن تحسَّر نحمده على ما قضاه وقدر واختر وأبدع وصوَّر ونصب لواء الحمد على حيطة دائرة المحشر، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الواحد من كل جهاته المنفرد بأسمائه وصفاته، المقدَّس في رفع غيبوبة غيب ذاته عن تحديد النظر وتصوير الفكر، المرئي بلا مِراء كما ترى الشمس والقمر، وأشهد أن محمد ﷺ عبده ورسوله حضرة تجلِّي الجلالة اللاهوتية، ومرآة تجلّي التنزُّلات الرحمانية صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأشياعه أعيان مناصب السؤدد والكرم والشهداء على مشاهد الأمم عند كل موقف شَرع وتحكَّم أحكام أيام وحِكم.

وبعد...

حققكم الله وألحقكم ومحَّقكم وأطلقكم وجمعكم، كما فرَّقكم وفتقكم مثل ما رتقكم وخلَّقكم بحق ما خَلقكم ولا ودَّعكم فيما أبدعكم، وتركتكم فيما كوَّنكم، وصيَّركم فيما صوَّركم، وأعادكم فيما عودكم: إنه لَمَّا تناهت حيطة الأزمان بكائنة الأكوان، وبسقت سدرة منتهى الأذهان بنبق دقائق حقائق العرفان، وتفنَّت أفنانها بلطائف فنون حقائق الملل والنِّحل والأديان، وخضعت أعناق معاقل معاقد العقول بقواطع الأدلَّة والبرهان، وشُهدت مشاهد محاسن الإحسان بغير مِراء في مرآة جامع الأعيان؛ حيث التأمَت خزائن ذخائر الفرقان، واجتمعت سور آيات القرآن في سورة الرحمن، وعلَّم الإنسان البيان، ورُفعت السماء ووُضع الميزان، وجَمع الحق حقائق

الأزمان وكان: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن:29].

وقد وضع الواحد كنف غيرته على عين غيب حيطة حظيرة حضرته، ومستودع وديعة سر سريرته، فحجب أبصار البصائر عن تحقيق بصيرته، ومنع صحيح نظر النواظر عن تحصيل علوم معالم شريعته، فوجب الجهل بالعارف ومعارفه، وتحقَّق الواقف على معالم مواقفه بنفي التحصيل من موافقه ومخالفه، فلا ينال من نَيْلِ نَيله قطرة كمثقال حبَّةٍ إلا مَن جذبته جواذب عناية المحبة، وشملته شمائل شمول هذه الغربة، ولا يَشْرُفُ مَن استشرف من شُرفات معالم عوالم هذا العلم شرفه، إلا مَن غاب في غيب غيبته، وقد أسبل عليه الغريب كنفه؛ ولأن المؤمن في الدنيا غريب وأغرب منه مَن عرفه فأبرز إذ ذاك لطيف لطائف اللطف لطيفةً من لطائف خزائن سوابق السابقين، وكريمةً من كرائم مكارم قِصر طول خلاصة خصوصية المخلصين، وأمةً أمية من أمهات المؤمنين، وصحيفةً خَبريَّة خُبريَّة من خدر خبر بصيرة بصائر المستبصرين، ويتيمةً ثمينة مكنونة في مكنون كِنّ كتمان حياة تروحن الروح الأمين، وساقَها في سوق أسواق المتشوِّقين مساق سياق تعريف لفظة لقطة المتحفِّظين على ردِّ ضالة الضلال المتردِّد في حوبة حيرة دهشة أحوال المتحيِّرين.

ونادى في نادي غربة الغرباء المستأهلين: يا معشر معاشر الأقوياء المستضعفين والمتنكِّرين في تعريف معارف العارفين مَن فيكم يتردَّد في كل حينٍ بعد حين مُنشدًا مُرشدًا يرشد إلى ضالةٍ ضنينةٍ ضُلَّت منذ تقلَّبت قلوب المتمكنين بتقلُّب تَقولب قوالب المتلونين، فليَسرُّ في سرِّ إمارة سيرة سريرتها وأنا أوفِّي وفاء الضنين الزعيم بردِّ ضنينته، والقائم بأداء ضمان الضمين، فمَن توسَّم بسماتها، وتنسَّمت عليه من نسماتها رُدَّت عليه أكرم ردة، وأُسديت إليه بعد دكِّ سُدد السدَّة ومَن نسبها لغير أنسابها، ومَرَطها بخلاف جلبابها، ولم يأتِ البيوت من أبوابها، فيردَّه غيرانُ الغَيرة في تردِّي الردَّة.

ويقول بلسان تمنُّع امتناع سر سريرة الوحدة: ﴿مَعَاذَ الله أَنْ نَأْخُذَ إِلاَّ مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذاً لَظَالِمُونَ﴾ [يوسف:79].

فما أمنع حماها، وأقلُّ مَن يتولاها، ويشهد في مَرآها جمال محياها، فإن السرَّ عزيز والحرز حريز، وحامي حمى حَرم حُرم حقائق الحق غيور، وأسبقُ سابق في ميدان سباق مسابقة أهل الاختصاص عَثور.

ولَمَّا كانت صدِّيقية التلقِّي والإلقاء سريانية الإشارة والإيماء، عربية العبارة والمعنى سنيَّة التحفُّظ والإناء، جماليَّة التعقُّل والأداء، محمَّدية الأخبار والأنباء، رحمانية التنزُّل

والإسراء، ختم نظم نظام سلك سلوكها بيتيمةٍ من يتائم الدرِّ الفاخرة في كشف معارف مواقف دور دائرة الدار الآخرة، بصور صورة الصور.

الصور: هو الجسم الحسَّاس، ومقرُّ قرار نفائس تنفُّس الأنفاس، وهذا الجسم والحسُّ المشترك والخيال صورةٌ مفصَّلة في اتصال، والجسم الحسَّاس هو المقول في جواب ما الحيوان؟ كما أن المقول في جواب الإنسان هو الحيوان الناطق؛ وهذان حدَّان تامان.

وبما قال تعالى: ﴿**وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ [العنكبوت: 64].

واعلم أن مَلكاته المحكمات:

السمع وما فيه من المسموعات، والبصر وما فيه من المبصرات، والشم وما فيه من المشمومات، والذوق وما فيه من المذاقات، واللمس وما فيه من الملموسات؛ كانوا في ضمن حسِّه المشترك حقائق روحانيات في نظام أقوية غائبة في حضرات، وكانت هذه الحضرات مَرائي للتجلِّيات والتمثُّلات والتشكُّلات ليس فيها أعيان ولا تعينات، ولا أجرام ولا تجسمات؛ وإنما هي شواهد المشهودات في بواطن غائبات، وهو ما قالوه لكل غيبٍ شهادة، كما أن لكل حقٍّ حقيقة، وكذلك لكل باطنٍ ظاهر، ولكل عينٍ معنى، ولكل فَلكٍ مَلك.

فالأوليَّات أحكامها كلها حق في حقيقة، وشاهد في غيب، وظاهر في باطن، وعين في معنى، وفَلك في ملك.

فالحق والحقيقة عبارة عن ذات وصفات، والغيب والشهادة عبارة عن فاعل ومنفعلات، والعين والمعنى عبارة عن أقوية ومفعولات، والظاهر والباطن عبارة عن حيطة وإحاطات، وبما هي الأولويات عكسها الدنيويَّات البرزخيَّات، وهي حقيقة في حقٍ وغيبٍ في شهادة، ومعنى في عين، ومَلك في فلك، وباطن في ظاهر مع أنها محجوبة بحجاب الطين المكمون من الماء المهين وغير الماء المهين، والأحكام الأخرويات كلها جامعة للطرد.

والعكس؛ فهي غيب في شهادة، وشهادة في غيب، وحقيقة في حق، وحق في حقيقة ومعنى في عين، وعين في معنى، وملك في فلك، وفلك في ملك، وباطن في ظاهر، وظاهر في باطن، وكانت الحكمة البديعة في النزلة الرفيعة إلى هذه الطينة الكثيفة الوضيعة بالجسم الحسَّاس لقدح الزند، وقبس القبس بالاقتباس؛ وهو لَمَّا أن

أخرجت الأقوية ما في فاعلها إلى فعلها، كذلك أخرجت الحقيقة حقَّها، والغيوب شهادتها، والبواطن ظواهرها والأملاك أفلاكها، والمعاني أعيانها، فتعيَّنت بواسطة الجسم الطين، وتمكَّنت غاية التمكين ونقلها الحس المشترك أجسامًا لطيفة وأشباحًا متروحنة خفيفة إلى عالم الخيال، فارتسمت فيه ما بين أشكال وأمثال، وتفاوتت بتفاوت أوضاع الطباع واختلاف الأحوال.

وتقريب هذا أن يقول في النواة والنخلة، فالنواة فَلك، ومَلكها القائم بها على صورة ما يبرز منها؛ وهي قوة مَلكة فعَّالة لا ينقطع انفعالها، ولا يتعطَّل استرسالها، فلو كشف للأبصار عن هذه النواة حجاب الأستار؛ لرأت عالمها من جنسها حقائق روحانية قائمة في باطن حسِّها لا ينقطع مدده ولا يُحصى عدده، فإذا زُرعت النواة وهي العين الجسمانية الحاجية للقوة الروحانية؛ توقَّف خروج الفعل على السبب بحكمة أحكام الأوضاع والنسب، فتكون هذه النخلة المفعولة قطرة من بحر محيط، أو لمعة من نورٍ بسيط قد حجبها الجسم بأكثف حجاب، وقيَّد إطلاقها قصور قشر الأسباب، وكذلك إذا نظرت لكل شيءٍ فيما تعطيه الأعيان العينيَّة، وجدته بهذه الحكمة الحكمية.

فانظر أيضًا في الأعيان المعنويَّة تجدها على نحو هذه المثليَّة سنَّة كسنَّة وحكمة كحكمة، فإن فهم هذا فيعلم أن رجوع الحواس بالجسم الحسَّاس في أفلاك الحسِّ المشترك إلى آفاق الخيال، يخرج عن حدِّ القياس فيكون الذوق بما فيه من المذاقات أعيانًا قائمات وإحساسات موجودات.

وكذلك كل حاسةٍ بمحسوساتها، فيكون الذوق أبدًا ذائقًا جميع المذاق في حالةٍ واحدة غير متعاقبة ولا متفاوتة، وكذلك جميع إدراكات الحواس مع أنها مشتركة في الحسِّ المشترك، فتشارك كل حاسة منهم الأخرى مع عدم الاشتغال عن إدراكها لمحسوساتها، هذا مع تعيين أعيانها في أفق عالم الخيال، فكل منهم قائم بحكم كل منهم طردًا وعكسًا، وهذا مع زوال أحكام هذه الدار، وكشف كثافة هذه الأستار، وبطون الجسم الحساس بالمحسوسات في الحواس في الحسِّ المشترك في الخيال، وبطون الجملة في العاقلة الناطقة ذات الساق المفصَّل في الإجمال، ومرآة تجلِّيات الوجوب بالجلال والجمال والكمال، فيكون كل ظاهرٍ في باطنه ظاهر بحيثية جسم الحيوان، ويكون كل باطنٍ في ظاهره باطن بحكم انكشاف الساق وهو العقل المحقِّق الإنسان.

فالأول: الأفق المبين وحيطة عالم الإمكان.

والثاني: الأفق الأعلى وحيطة الموجودات والكائنات من الكليَّات والجزئيَّات الغيبيَّات والعينيَّات في الحيطات الواجبيات بالأسماء الواجبيات، والمسمَّيات الإلهيات، والتجلِّيات الرحيميات الرحمانيات؛ هي في مشرق الساق باطنة في ظهورها من حيث تستُّرها بإشراقاتِ نورها وأسماءِ مسمَّيات وجوبها في مشاهد شواهد غيوبها.

فلا يقال على الإنسان إنسان، ولا على الحيوان حيوان، ولا على المعدن معدن، ولا على النبات نبات؛ وإنما هي أسماء قُدوسيَّات، وصفات سُبوحيَّات، وذوات علويات في حيطات وجوبيات إلهيات، فإذا تنزَّلت في حجاب سُبوحات الإبداع والاختراع وأطلعت شموس طلائعها في آفاق إمكان طلائع الاطِّلاع، وتعيَّنت في حجاب أعيان تعيُّنات منطبعات الطباع، وترقَّت باللمس والذوق والشمِّ والبصر والسماع مع تنوعٍ وتكوُّنٍ وتكثُّر وتوسُّع واتِّساع، بتلطُّف وتشرُّف وتكيُّف في تمتُّع ومتاع واستمتاع وجَمعَها الحسُّ المشترك في حيطة اشتراك الإجماع، وكَشفَ الخيال عن تصور صور لطائف كيفيات اختلاف مراتبها برفع القناع.

فمرتبةُ العبد والمعبود، والخالق والمخلوق، والرازق والمرزوق؛ محقِّقه عند كشف الساق بلا نزاع، فالإنسان هو البرزخ المحقق واللسان القائل الصادق المصدَّق، والوسط المختار بين الوجوب والإمكان.

فالوجوب حقيقته وهو حق هذه الحقيقة، والإمكان حقَّه وهو حقيقة الإمكان، ولكل حق حقيقة.

وتحققُ الحقيقة هو أول المبدأ وغاية المنتهى، وهو ما قالوه: إن أول الفكرة آخر العمل وهما الحقيقة، وآخر الفكرة أول العمل وهما الحق، فالأول والآخر بالحقيقة وهو الوجوب، والباطن والظاهر بالحق وهو الإمكان.

(فالوسط المختار الإنسان هو الحقيقة بالنظر إلى الأوليَّة، والحق بالنظر إلى الظاهرية من حيث الحقيقة، والباطن بالنظر إلى الإمكان من حيث الحق، وحقِّه هنا حقيقته وكذلك إمكان حقه، و«**لكل حق حقيقة**»؛ وهي الأخرويَّة بالنظر إلى الحق الإمكان فالذي هو بالأوليَّة أزل وحدة، هو في الأخروية أبد كثرة).

هذا فيما يعطيه التنزيل والتفصيل، والتجلِّي والتقريب، وأمَّا هو الله من حيث هو هو ليس في حقِّه أزل، ولا أبد، ولا حق، ولا حقيقة، ولا وجوب، ولا إمكان، ولا قَبل ولا بعد، ولا فوق، ولا تحت؛ كل ذلك في حقائق تصور المتصورين، وترتيب مراتب عوالم معالم العالمين والله يقول الحق وهو أصدق القائلين.

قال ﷻ: ﴿**الله لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**﴾ [البقرة:255].

وأمَّا الفرق بين البرازخ الدنيويَّة والمواقف الأخروية؛ فالبرزخ انطواء الملكة المحكمة أبدًا في عجب الذنب، فيكون الإدراك هناك يتصور ما يتصوَّره من وراء حجاب.

وهذا الاندراج بالملكة؛ هو بطون الجسم الحسَّاس وهو الحيوان في عجب الذنب وجواهره المتحللة عنه في هذا العالم الذي هو ظاهر الصور، وعالم الطباع والقشر والتصور فليس له من ذلك الاطِّلاع والاستشراف والتمتُّع إلا بقدر ما له من الكشف والإشراف.

وأمَّا في الدار الآخرة فهو انشقاق عجب الذنب كانفلاق النوى والحب، وخروج الجسم الحساس منه كما يخرج ساق النبات بالأب.

وبما قال ﷺ: «**فتنبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل**»[1]، فيقوم وجودًا كاملاً بجميع أعضائه ومفاصله وسلامياته وأبشاره وأشعاره حتى الغُرلة.

قال ﷻ: ﴿**بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾ [الأنبياء:104].

وقد بطنت فيه بسرِّ الجمع جواهر جسمه الحاصرة لصورة جسمانيته الكثيف؛ وهي في ألطف تلطيف، وقد نزع عنها كثافة جسمها الكثيف، وقد ضرب الله لنا الأمثال وقرب لنا الحقائق بكل حال، وإنَّا لنرى حبة النبات وهي لا شطء فيها ولا ساق ولا غصن ولا شوك ولا أوراق، إذا زُرعت أخرجت شجرة قائمة بصورةٍ تامة من غير نقصٍ ولا عجزٍ؛ بل تبرز منها مثل الذي برزت منه أول مرة، وفيها من الحب بعدد ما فيها من ذر عجب الذنب نواة الزارع أو حبة الباذر، يخرج منها صورة الإنسان على أحسن ما كان وأتم بنية وبنيان، وقد جُمعت فيه جواهر الجسمان وحقائق تلك الأعيان، وتبيان هذه الحِكَم أوضح من نارٍ على عَلم، ولولا غلاف هذا الجسم الطين ومهانة طباع الماء المهين لكنَّا نرى هذا الآنِ في هذا الحين بالعين والتعيين.

---

(1) رواه البخاري (278/1)، ومسلم (165/1).

وبما أخبر الصادق ﷺ بأن: «**الجنَّة أقرب إلى أحدنا من شراك نعله**»[1]، والنار كذلك.

وبما قال ﷺ: «**رأيت الجنة والنار في عرض هذا الحائط**»[2]، وبما خرج بكتابين في كلتا يديه.

فقال عن الكتاب الذي في يمينه: «**هذا كتابٌ من ربِّ العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء أبنائهم**».

ثم أجمل على آخرهم، وقال عن الذي في الشمال:

«**هذا كتابٌ من رب العالمين أسماء أهل النار وأسماء أبنائهم**»[3].

ثم أجمل على آخرهم فلا يُنقص منهم ولا يزداد فيهم، فكُتب هذه الأسماء تضيق عنه صحف الدواوين، ويقف دونه مدد مداد أقلام الكاتبين، فما هو إلا كتْب محقِّق روحاني في كتاب شبحي أخروي حيواني، فما أكثف طينة الفخار وما أحجبهما لبصائر الأبصار.

وقد جاء في الأحاديث الصحاح والآثار كثيرٌ دالٌّ على كشف الاطِّلاع لحقائق تلك الدار، فإذا تبيَّن هذا؛ فاعلم أن هذا الجسم المحيط الحسَّاس الشامل لجميع أجزائه من كل جسمٍ حسَّاس؛ هو كرسي إسرافيل وفلكه وصورته وهو حياته وقوامه، أعني: إسرافيل وهو أول طباق سدرة المنتهى.

والحسُّ المشترك: كرسي ميكائيل وفلكه المحيط وصورته، وميكائيل قوامه وحياته وهو أوسط طباق سدرة المنتهى.

وعالم الخيال: هو كرسي جبرائيل وفلكه وصورته، وجبرائيل حياته وقوامه وهو غاية سدرة المنتهى، وأعلى مقاماتها النُّهى.

ويقال عن المجموع بحكم التعيين: الأفق المبين وهو سدرة المنتهى بوجه الجبريليَّة وهي من حيث هي هي سدرةُ المنتهى والأفق المبين على الجملة والتفصيل، وهذه حيطة الإمكان في المعاني والأعيان كما أن العقل المدرك المحقق هو ظاهر السَّاق، وهو ما به تصوُّر الوجوب تقديسًا وتنزيهًا؛ وهو عرش الرحيم، وحجابه، ومظهر تجلِّيه وحقِّه، والرحيم حقيقته وحياته، والقلب الواسع الرفيع وهو ما به شهود الواجب

---

(1) رواه البخاري (2380/5)، وأحمد (387/1).

(2) رواه البخاري (200/1)، ومسلم (1832/4)، بنحوه.

(3) رواه الترمذي (449/4)، وأحمد (167/2).

عيانًا كفاحًا من غير حجاب توحيدًا وتعظيمًا هو عرش الرحمن ومرآة تجلِّيه، وكشف إحاطته وهو باطن الساق والفؤاد المستغرق المستهلك في البقاء المطلق، وهو ما به وجود الحقيقة الأحدية توحيدًا وتمكينًا، هو سرُّ الجلاله وسريرها، وخزانة سريرتها وخزانة سريرتها، وعرش إحاطتها وحيطتها، وهي ذاته وسرُّه ومشعور شعوره وشعيرته، وهو حقيقة الساق.

وهذا من حيث هو الأفق الأعلى بظاهره وباطنه وحقيقته، وهي حقيقة الوجوب وسر كل سرٍّ مطلوب، وحيطة الوجوب والإمكان في عين جمع أعيان المعاني والأعيان وهي النسخة الشاملة، وبهذا العين البديع الرفيع يكون حكم التربيع؛ ولأنه وجه وجوب الإمكان من حيث هو الوسط المختار بآدم والإنسان، وكل ما نحن فيه من تقديسٍ وتنزيهٍ وإشاراتٍ وتنويهٍ وعباراتٍ وتنبيهٍ؛ إنما هو تحصيل أسماء حسنى وكلمات تامات، وهي حقائق الآلاء والتجلِّيات والتنزُّلات، وأنه لا مَطمح في حصول حقيقة الذات، ولا مطمع فيما لا يُتحصَّل في قوة من أقوية الموجودات.

ولذلك قال في مبدأ كلامه العظيم: ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:1] ولم يأتِ إلا بالاسم، وإن كان هو نفس المسمَّى فمن الوجه الذي لا يُدرَك، وهذه حيطة الوجوب.

ثم قال: ﴿الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة:2]؛ وهذه حيطة الإمكان، ثم جمعها في عين الأعيان والعرش المحيط القائم بما يكون وبما كان.

فقال: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ*مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة:3، 4]؛ ولأنه يوم لِمَا فيه من البيان وتحقيق الآراء والأديان ومشرق تجلِّي الرحيم الرحمن الديَّان.

قال ﷻ: ﴿الرَّحْمَنُ*عَلَّمَ الْقُرْآنَ*خَلَقَ الْأِنْسَانَ*عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن:1: 4]، فإذا تبيَّن هذا فاعلم أن الصور المفصول، والكونَ الخارج المنقول وهو عالم الطباع الأربعة بصور قوالبها الموضوعة المنطبعة؛ وهي الأرض والماء والهواء والأثير المنفتق في السبع السماوية، ذات الأفعال الحركيَّة والتكوينات الجزئيَّة كما تقدَّم في التفصيلات الأوليَّة؛ هو قرن النفخة وصور الصرخة وحقيقتها، حركة مزعجة تُفسد قانون المزاج، وتخلط أخلاط الأمشاج، فتنقبض الأرواح من صورها الطينية، وتنحشر بذرَّتها في عجب الذنب وهي الحقيقة الصلبية في النقطة الأرضية، والبضعة الطينية التي نزل إليها آدم تلك النزلة العزيزيَّة، فيدخل فيها كل عجب ذنب، ويندرج اندراجًا.

كما منها أول مرة أخرج إخراجًا، وهذه الوقعة هي الرَّاجفة التي هي قبل الرَّادفة

وبينهما تُمد هذه الذرَّة الصلبية مد الأديم بقدرة العليم الحكيم، فتكون أرضًا بيضاء وبساطًا مهادًا لا عوج فيها ولا أمتًا، وبرز فيها من عجب الذنب وحقيقة الصُلب؛ وهو إخراج الأرض أثقالها وكل عجب ذنب على انفراده كما تقدَّم قبر وضريح لما بطن فيه تجسيم وتشبيح على النحو الذي تقدَّم، والحكم الذي أُحكم.

وهذه الأرض التي أوحى إليها الرب وهي المشرقة بنوره؛ هي التي يطوف فيها كما جاء في الحديث، وفيها يقول: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لله الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: 16] وعليها يكون الهَضْب من قبل العرش الذي كمني الرجال، لا أنها الأرض التي نحن اليوم بها، فإذا أُردفت الرادفة؛ خرج الخلق خروج النبات كما تقدم في التفصيلات المحكمات، واندكَّت هذه الأرض التي نحن اليوم بها، وانشقَّت السموات، وتنزَّلت بحكم الانطباق والانحلال حتى تَدنو الشمس من رؤس الناس إلا شيئًا قليلاً بمقدار الميل، وتحشر الخلق على هذه الأرض المدودة وهي الصعيد.

قال ﷻ: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق:21]، فإذا التزم كل طائرٍ عنقه، وفتق كل خلقٍ خلق أفقه، اختلفت هنالك الأحوال باختلاف الصوَر والأشكال على نحو ما نوَّعه الشرع من الأنواع، وملأ الأذهان والأسماع، ووُضع الميزان بالموازين والكتاب بالكتب، وينعقد اللواء بالألوية، وينصب الصراط بالأصراطة، ويقوم الروح والملائكة، ويتجلَّى الربُّ في مسدِّ عظمة الروح؛ وهي بروز العرش بالعروش، والمنابر والكراسي، وتتجلَّى الإحاطات بالأسماء والصفات في الواجبات، وتتعيَّن الكليات بأعيانها الجزئيات الممكنات، وتكون الموازنات والمقابلات، والمجازاة والمعاوضات خارجة عن حدِّ التصورات هذا، والسموات الأثيرية، والأرضون القعريات البحرية في انشقاقٍ وانفطارٍ وانتشارٍ، فتسجر البحار وتعود نارًا؛ وهي دار البوار.

قال ﷻ: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالأَقْدَامِ﴾ [الرحمن:41]؛ وهي أحكام القِران بالتعكيس والتنكيس في التغليل والتصفيد كما تقدَّم في التبيين والتمهيد، ويُؤذن في الشفاعات وتحقق الولايات، ويكون كل ما أخبر به الشارع ﷺ أحكامًا موجودات ومشاهد مشهودات؛ ولأن كلامه في الروحانيات ﷺ بمنزلة كن في الكائنات.

وهو بالله يقول ويُخبر وعنه يُورد ويصدر: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾[الأنعام:73].

واعلم أن الكلمة وحدانية في ذاتها، فردانية من حيث صفاتها، منقسمة من حيث قوابلها؛ وهي المادة المنفعلة في تصور مفعولاتها كالماء والنبات يعين ما فيه من صفات غائبات، ويثبتها أعيانًا قائمات ووجودات منفصلات في جوامع متَّصلات، وبما كانت القبضة اليمينية والشمالية هذه قبضة في استقامة وجمال وصدِّيقية لقبول وإقبال.

وهذه قابلة في انعكاس وتشويه واستقلال وتكذيب وردٍّ وفساد واختلال، وكان ﷺ حضرة الحق ومرآة تجلِّي الجمال والجلال والكمال.

وبما قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾ [الفتح:10].

وهذه حقائق استغراق مثله عن مماثلة الأمثال، وانفصاله عن مشاكلة الأشكال، واتصال بحضرة الجلال والجمال في القول والحال، فإذا أخبر خبرًا أو فعل فعلاً كان القابل له اليمين أو الشمال، فهذا يوجد فيه منه حميمًا وغساقًا وسعيرًا، وهذا يوجد فيه منه عطاء ونعيمًا وملكًا كبيرًا.

كما قال تعالى: ﴿**يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً**﴾ [البقرة: 26].

وقوله: ﴿**كُلاًّ نُمِدُّ هَؤُلاءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً**﴾ [الإسراء:20].

وهذه حقائق الطائر والكتاب الذي يأتي يوم القيامة منشورًا؛ وهي السائق الشهيد والرقيب العتيد، القائم على كل نفسٍ بما كسبت فيما علمت وعملت؛ فهو شاهدٌ على المؤمن وبشير، وشاهد على الكافر ونذير، وسراج لأهل الحضرة منير.

قال ﷻ: ﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً**﴾ [الأحزاب:45، 46]، ومن هنا يتبين لك أصحاب اليمين وأصحاب الشمال.

قال تعالى: ﴿**وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ*أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ**﴾ [الواقعة:10،11].

وقوله: ﴿**وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلاًّ بِسِيمَاهُمْ**﴾ [الأعراف: 46].

وبما قال تعالى: ﴿**إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ**﴾ [الحجر:75]، والطائر كلمة حق تصدقُ في صدِّيقيه وصدق، أو في جحودٍ وكفرٍ وفسقٍ.

ويكون الأول شق القبر؛ وهو عجب الذنب، وإخراج ما فيه من مُدرج مغيب وتعيينه كما ثبت روايةً وسماعًا على طول أبيه آدم ستين ذراعًا، فإذا تطايرت الصحف، وتطوَّق كل طائر بعنقه، وتخلَّق كل إنسانٍ بخلقه، خَلَقَ خلقه حسبما أثبتته الكلمات

الصادقة الصدّيقية، والتنزُّلات الثابتة الحقيَّة فلا فاعل إلا إيَّاه؛ لأنه: ﴿**لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ**﴾ [الروم: 30]، وبما ذكر رسول الله ﷺ في الأخلاق، وحقَّقها، وميَّزها في الأزواج الثلاثة، وفرَّقها.

حيث قال رسول الله ﷺ: «**ما من شيءٍ أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خُلق حسن**»[1]؛ وهذا خلق أصحاب اليمين.

وقال ﷺ: «**وإن الله يبغض الفاحش البذيء**»[2]؛ وهذا خُلق أصحاب الشمال.

وقال ﷺ: «**تخلقوا بأخلاق الله**»[3]؛ وهذا خُلق السابقين.

وقد حقَّق ﷺ الحقائق بكلمة الفاعل الصادق، وكلمة المخبر المبين الناطق، فأمَّا الكلمة الصادقة في القابلة المنعكسة والفاسدة الخاسئة الرجسة، فترجع إلى أصغر الأحوال، وأحقر الصور، وأقذر مقدار مُمتهن مُحتقر.

وبما قال رسول الله ﷺ: «**يُحشر المتكبرون يوم القيامة كأمثال الذر في صور الرجال تطؤهم الأقدام**»[4]؛ وهذا هو المسخ الواقع بالعذاب الذي ليس له دافع.

وقوله: ﴿**وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ*وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيّاً وَلا يَرْجِعُونَ**﴾ [يس: 66، 67].

وهذا النمط من مدابرات ومناكرات ولعنٍ وخزيٍ ومنافراتٍ، وبما قال تعالى: ﴿**قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لا تَعْلَمُونَ * وَقَالَتْ أُولاهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ**﴾ [الأعراف: 38، 39]، فهم في دبارة ومدابرة ومقاللة، لا في مواجهة ولا وجاهة ولا مقابلة.

كما قال تعالى: ﴿**مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهاً فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً**﴾ [النساء:47].

فكل شمالي صورة طائره المقسور المقصور وهو مفيض رقوم أشكال كتابه المنشور.

---

(1) رواه أبو داود (253/4)، والترمذي (362/4)، وأحمد (448/6).

(2) رواه البيهقي في الشعب (238/6)، والطبراني في الكبير (166/1).

(3) ذكره المناوي في التعاريف (564/1).

(4) رواه الترمذي (655/4)، وأحمد (179/2)، بنحوه.

وبما قال تعالى: ﴿**وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً**﴾ [الكهف:49].

وأمَّا أصحاب اليمين وأهل الأمان والإيمان والتأمين، فطائر الولي منهم صورة رحمة، وخلعة نعمة، وتاج كمال وجمال، وعز ومنعة، وجلال وقبول، ومقابلة ووجه ومواجهة في أعدل مثال، وأكمل حال؛ وهي صورة خُلقه الذي به تخلَّق، وكلمة حقّه التي بها تحقَّق فكتابه مرقُوم تصورات مدادِ النور بين يديه، وعن يمينه الثاني منشور ليس له وراء ولا شمال ولا مدابرة ولا أغلال.

قال ﷻ: ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ**﴾ [الحجر: 47].

وبما قال تعالى: ﴿**نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ**﴾ [التحريم: 8]، وبما هي سرُّ هذه المواجهة من جميع جهاته، وهي صورة البيت الذي كان يستقبله في صلاته قِبَل وجهه، ويطوف في اعتماره وحجِّه، وبما وُضع البيتُ مُستقبلاً من كل جهةٍ ومقصودًا من كل وجهةٍ، وهو مَثلٌ ضُرب بدلاً من بيت الرب.

قال ﷺ: «**القلب بيت الرب**»[1]؛ وهو البيت المعمور في العالم الروحاني الملكي السماوي، وبما فيه من تجلٍّ رباني، وسرٌّ وحداني وبما عنه من تمثُّلٍ روحاني في تنزل فرقاني.

كان مُشرقًا من جميع جهاته، مُحيطًا بجميع صفاته كالزجاجة المشرقة مثلاً بالمصباح وقد استغرق نوره جميع جهاتها، وهذا بيان واتِّضاح.

وبما قاله تعالى: ﴿**مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ**﴾ [النور:35] فالأول كتابٌ مرقوم في سجِّين، وهذا كتابٌ مرقوم في عليين.

وأمَّا الأعراف؛ فهي أسرة السور، ومنابر النور؛ ولأنها مشارق تجلِّي التنزلات الرحمانية في التمثُّلات الروحانية للتشكُّلات الألفية الإنسانية؛ فهم السبعة الأسماء العظامَ والوجوه ذوي الجلال والإكرام، ومعهم السبعون ألفًا عليهم أفضل الصلاة والسلام والتحية والإكرام، وإليهم تنتهي أقدام الخلائق، وعندهم تحقُّق الحقائق، وهم أهل الفصل والقضاء والحكم والتحكُّم والإمضاء، وهم حملة العرش المحمَّدي ومستوى الرحموت الأحمدي؛ الذي هو مستوى الرحمن، وربُّ الأرباب، ومالك

(1) ذكره العجلوني في كشف الخفا (129/2)، والقاري في المصنوع (131/1).

الملوك، وصاحب الحيطة الكليّة والجزاء والحساب.

قال ﷻ: **﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفّاً لا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً* ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآباً﴾** [النبأ: 38، 39].

قال: حقيقة اللواء المعقود

هو الرفرف الأخضر، والنور المشرق الأزهر، وهو الذي كان ينزل عليه جبريل الأمين بالوحي العزيز، وهذا الرفوف له ظاهر وباطن.

فظاهره ما يكون من زينة إسلامية كالوضوء والطهارة، وهي الوضاءة والنضارة، وبما ثَمَّ من طيبٍ وسواكٍ وبهجة ثيابٍ وغير ذاك.

وبما قال تعالى: **﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾** [الأعراف:31].

وبما سنَّ ﷺ من سنن الجمال والرَّشاد عند الذهاب إلى المساجد في الجُمع والأعياد؛ ولأن: «**الله جميل يحب الجمال**»[1].

وأمَّا باطنه فزينة الصدق واليقين والإيمان والتحقيق والعرفان، وبما قال تعالى:

﴿وَلَكِنَّ الله حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ* فَضْلاً مِنَ الله وَنِعْمَةً وَالله عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحجرات:7، 8] وهذه النعمة المسبوغة في الظاهر والباطن.

فهذا حقيقة الرفوف الأخضر واللواء المعقود الذي يوم القيامة يُنشر ويُمدُّ ظلَّه في المحشر، فيدخل تحته كل إمامٍ نبويّ، وصدِّيقٍ تبعيّ، وتتعيَّن فيه الألوية تعيين الجزئية في الكلية، وبحكم الفرضية كالشكل الذي خُطَّت فيه أشكال، والمثل الذي تُعيَّن فيه أمثال كصورة الإنسان مثلاً، وما فيه من شكل عينٍ وفمٍ وأنفٍ وحاجبٍ ورأسٍ وعنقٍ ويدين ورجلين، إلى غير ذلك من المفاصل حتى إلى السلاميات، فيكون هذا اللواء فيه ألوية بعدد المؤمنين التابعين والأنبياء المُتبعين بقدر ما تعطي المقامات وأحكام التفصيل بالتخصيصات.

فكما أن التجلِّيات الرحمانية طائر المحمَّدية، كذلك اللواء كتابه المنشور، وديوانه المسطور، كما أن في حيطة التجلِّيات تجلِّيات كذلك في حيطة المحمَّدية محمَّديَّات، وكذلك في حيطة اللواء ألوية نبوية وولايات، وكذلك في الجنَّات جنَّات، وفي

(1) تقدم تخريجه.

الحضرات حضرات إلى ما لا يُدرك له غاية ولا نهايات، فمن حقيقة اللواء تكون الزينة التي يكون بها أهل الجنة حسبما ذكر ﷺ، وهي الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة، واللواء المعقود، والذكر المرفوع، والقول المسموع الذي أُعطيه ﷺ.

وبما قال ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر**»[1].

قال: حقيقة الصراط

الصراط التزام الحق في غير محله، وكونه غير محله؛ لأن هذه الدار دار الباطل، وموضوع المقول والقائل، وهو السبب الذي يتوصَّل به من قعرة مهاد الطباع والأكدار إلى محدب أفق الأنوار، وهو الحقيقة الإيمانية الكائنة في القوة البشريَّة الطبيعيَّة، فهو يقين في شكل الشك، وتسليم في محل النزاع، وتصديق بشرط الستر، وهذا هو الإيمان الأول وتخليص الصدِّيقية من الشرطية لا يكون إلا بعناية ربانية وتبيينات قولية رحمانية، وبما نُصب يوم القيامة على متن جهنم.

وأخبرنا ذلك؛ ليفهم مَن تفهَّم، ويعلم مَن تعلَّم لما ثَمَّ من مشابكات يقينية وشَكِّية ومشاركات توحيدية وشِرْكية، ومقابلات صِدِّيقية وإفكية، وبما نصب هيئة صورته على شاكلة حقيقته أحدُّ من السيف، وأدقُّ من الشعر مشابكًا لصورة شاكلة سقر، وبما هو الإنسان بين القرينين الملك والشيطان، هذا يجذبه بالبطع إلى مخالفة الحق، وهذا يجذبه بالقرع إلى مقعد صدق، فإن ثبت قدمه على صراط الصدق جاز إلى مقعد صدق، وإن زلَّت القدم هوى إلى مهاوي جهنم، وبما هي الكلاليب المعلَّقة بجانبي الصراط كشوك السعدان للجذب، والأخذ فمخدوشٌ ومصابٌ ومكبكب في الارتياب إمَّا بالكفر أو بالعصيان، وبحسب الضعف أو القوة في الإيمان؛ تكون السلامة من شوك السعدان، وبما هي سبع عقبات بما ثَمَّ من أبواب سبعة على حكم الحقائق السبعة بالفتق في الرِّتق على تنوُّع أخلاق الخلق، ثم تنتهي إلى السبع مائة ألف كما تقدَّم، وانتظم، وأحكم، وتحكَّم وبما تأتي النار يوم القيامة تزمُّ بسبعين ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك؛ وهي مفاضات من حقائق الكواكب السبعة السيَّارة المنيرة اللهيبة والشاهدة الغضبانة الغضبية وهي في مقابلة السبعين ألفًا الذين يدخلوا الجنة بغير حساب مع كل واحدٍ منهم سبعون آلفًا، وهم حضرات السبع المثاني، وجوامع الرحمة والأعيان والمعاني، وكل ما كان هنا غيبًا مسموعًا، وغيبًا مفقودًا يكون هناك

---

(1) رواه مسلم (1782/4)، والترمذي (308/5).

عينًا مشهودًا ووجودًا موجودًا.

وبروزُ هذا الصراط المنصوب بكيفية وقيام الخلق عليه عند تعين عَينيه؛ هو بعد انقضاء قضية الحساب وانفصالها، وإلقاء الأرض الممدودة ما فيها، وتخليها وزوالها وهي الأرض الممدودة العجيبة والحقيقة الذرية الصلبية.

وبما قاله تعالى: ﴿**وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ*وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ*وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ**﴾ [الانشقاق:2، 3، 4] فلم يبقَ إذ ذاك دار ولا مقر ولا قرار، وما هي إلا الجنة والنار.

قال: حقيقة الميزان

الميزان نور قُدسي من نور الكرسي، وهو قسطاس التخفيف والترجيح في التعديل والتجريح، ومشكلةُ التحسين والتقبيح وعلة التعليم والتعريف، وسببُ التعبد والتكليف ومناط الترجي والتخويف، وهو قاعدة الصراط وأساسه ومهاده وملاكه واستئناسه، وفيه يتبين الربح والخسران، والعدل والمساواة في الأوزان، ومَدده في الإصبعين والقدمين والوسطُ العدل مشرق الإحسان، وموضع مستوى الرحمن.

واعلم أنه إليه تنتهي تفاصيل الأقلام في الأشكال والأجرام، وبما هي مثاقيله الذر ومضاعفته التقدير إلى هذا القدر، وهي حقائق القِران والصحف الموضوعة في الميزان، كما جاء: «**فتخرج له بطاقة كالأنملة**»[1].

وجاء أيضًا: «**ويحشر المتكبرون كأمثال الذر**»[2] ؛ وهو الأفق الذي إليه ينتهي الحفظة الكاتبون، والشهود العادلون الذين لا يُخفون ولا يستخفون، وفيه الجوارح والأعضاء شهود، والأشعار والأبشار والجلود.

قال تعالى: ﴿**يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ* يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ الله دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ الله هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ**﴾ [النور: 24، 25].

قال: حقيقة الحوض

الحوض نهاية الصراط، وانتهاؤه، وحقيقة حقِّه ومعناه؛ وهو خلاصة الإيمان وموضوع على باب الريان، وهو ما إذا تخلصت حريرة الإيمان من شوك السعدان، واستُخلص برد الرضا واليقين من حرارة نار الصبر في محل الشرك والسخط

(1) ذكره القرطبي في التفسير (167/7).

(2) تقدم.

والعدوان، واعتدل مزاج الذوق بالبرء من داء التلذُّذ والتردد في طيب طعم حلاوة الإيمان، وصفاء شِرب مشارب الإحسان مع شِرب حضرة حضيرة الحكم والعرفان، وامتلأ بانسياب تفجير عين تسنيم الحكم، أخاذات القلوب والأسماع والأذهان، وجرت أنهار النعيم على كل لسان وفم وأمسكت عنه سوابق الطباع البشرية أيدي عزمات العقول اللدنية، وقسرتها في طوالة الطول بقيود التقصير وألجمتها بلُجم **﴿وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** [البقرة: 284].

وانهلت سحب الكشف بغيث غياث العلم القديم، فأحيت من أرض الرضا كل مَوات ورميم بعد ما تروَّضت بترويض التصديق والتسليم، فاهتزت إذ ذاك وربت بعد ما أقفرت وأنبتت من كل زوج بهيج، وفاضت حياض الرحمة في رياض نبت العلم الأنيق، وشجر ثمر التحقيق العريق.

وبما قال ﷺ: «**ذاق حلاوة الإيمان وطعم مَن رضي بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد نبيًّا ورسولاً**»[1]، فهناك يندفق نهر الكوثر من باطن شرفات المنبر.

وبما قال ﷺ: «**منبري على حوضي**»[2]، فمنبره الناطق الصادق والفاتق الراتق والموجد الخالق على حوضه العالم الواعي، والحافظ الحكيم المراعي، والنفيض أحكام المدعو والداعي، فلا أعلم من الحوض وأوسع ولا أفصح من المنبر، وأبدع وهو ينساب من أربعة بحار أنوار قد التزمت بلطائف حياة كافور الإلهام، ومِسك ختام سريرة الأسرار؛ وهي:

سبحان الله: بحر التقديس والطهارة والوضاءة والنظافة والنضارة للتنزيه، والنفي لكل ما لا يليق بالنور النزيه.

وبما قال تعالى: **﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً﴾** [الفرقان: 48]، فهذا هو الماء الطهور المنصوص عليه في الذكر الموقَّر الحصور.

قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾** [يونس:57].

والحمد لله: مفتاح العطاء ومنجاة الخطَّاء؛ وإثبات كل أمرٍ محمود ومشكور، وإعزاء كل حُكم محكم في سرٍّ مسرور، أو نور مشهود في المعنى والتعيين للذي: **﴿أَحْسَنَ**

---

(1) رواه مسلم (62/1)، والترمذي (14/5)، والنسائي (14/3).

(2) رواه أحمد (397/2)، وابن حبان في صحيحه (66/9).

﴿كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ [السجدة:7].

وهو مدار النون بالحيوان في التنزلات الإفاضيات بالروحانيات الرحيميات من الحضرات الوجوديات للتجلّيات الرحمانيات؛ فهو حياة الأنعام ومداد الأقلام في الأرواح والأجسام، وإليه تنتهي إشارة أمين الحضرة بقوله ﷺ: «**قد أصبت الفطرة**»(1).

وبما قال تعالى: **﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خَالِصاً سَائِغاً لِلشَّارِبِينَ﴾** [النحل:66].

ولا إله إلا الله: نفي تجريد عن حضرة توحيد، ورفع ستر ما لم يكن عن حضرة كشف مَن لم يزل؛ حيث تجتمع أبعاض شمل الملل، ويمحق فرق الآخر جمعُ الأول لا النحو المؤوَّل، وتستغرق مرارة صبر الفرق حلاوة جمع فيض بحر العسل بتعليل العلل، وإجراء عسلِ النِّعم على كل لسانٍ وفم، وبما ضرب لنا في شاهد العين المثل.

وأخبر لسان الصدق القائل الذي لا يتقوَّل حيث يتنزَّل الكتاب المكنون والسر الصيّن المصون: **﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾** [النحل:68].

وقد أخبرنا رسول الله ﷺ: «**إن الأرواح تكون في الصور كالنَّحل**»(2).

ولَمَّا انفتقت كِمامة الكِمام عن زهرة ثمرة وإحاطة المهيمن السلام وأزال قدس: **﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ﴾** [ق:35] كدُرة أكدار اللؤم واللئام، وأزلفت جنة التكريم والإكرام، نوديت الأرواح من حمى وحي الإلهام، وقد سرح جناحها من وثاق جناح تحكم اللمم والإلمام بإطلاق: افعل ما شئت مغفورٌ لك من فعلٍ وعزمٍ واهتمامٍ.

قال تعالى: **﴿أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً﴾** [النحل:68] من المعدن والنبات والحيوان، والتقطي من ثمرات جنات معارف العرفان؛ تمكينًا في تلوين الأكوان، وتوحيدًا من حيث فرق الزوجين.

قال تعالى: **﴿صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾** [الرعد:4] تفضيل التبيان بالبيان، لا تفضيل الفضول بمجرد ظن الظنان، فاتَّضحت لهم إذ ذاك سبل الربوبية التي تطلع منها عند نهاية أسفار سفر العبودية على أودية مشارق الوحدانية، وبما أذن لها وحيًا بالسريرة

---

(1) رواه البخاري (1269/3)، ومسلم (154/1).

(2) لم أقف عليه.

الإلهامية في الإتخاذ والأكل والسلوك في السبل الربانية، خرج من بطانة بطونها بطهورية طهارة الإطلاقات الإذنية في العقدية والقولية الفعلية شرابٌ يُمزج به مزاج مشارب شِرب الأديان في إسلامٍ وإيمانٍ وإحسانٍ؛ فهو دواءُ الداء السقيم، وغذاءٌ لأرواح النعيم، ونور تستضيء به بصيرة القلب السليم.

وبما قال ﷺ: «**المؤمن حلويٌّ والله أكبر**»[1]، إثباتٌ في محق باستيلاء حقيقة على حق، واستحضار حضرة سكر في صحو واستيلاء رتق في فتق، وتمكن مكانة أمر في خلق وتجلِ جلالة جمع مجمل جملة فرقان في فرق، ومحاضرة خمار خمر، وكشفٌ في ستر.

وبما قال تعالى: ﴿**يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْساً لا لَغْوٌ فِيهَا وَلا تَأْثِيمٌ**﴾ [الطور:23]، فلا صحو ولا سكر، ولا نسيان، ولا ذكر فليس إلا الواحد بالذات في وحدات بالصفات وتكثيرات في الأفعال بالأسماء والمسمَّيات.

وهذه بحار الكوثر، وأسرار أنوار بصيص إشراقه الأزهر، ومزاج كافوره الأطيب الأعطر، وختام مسكه الأتم الأذفر، وأسرار حصبائه من اللؤلؤ والياقوت والجوهر، وبما توحَّد، وتكثَّر، وشهد في حجابه حضرة حضوره من تنزُّل تمثُّل تروحن أرواح الرفوف الأخضر، الذي فيه تكشف، وبه استتر عند تجليه في شرف شرفات المنبر؛ وهو المعلِّم المحيط، والعالم الأكبر والمستوى في مربع عرشه المحيط بالواسع الأطلس، والمتسع المكوكب والمبيِّن الشمسي، والمتبيِّن الأقمر، والمحكم قواعده على كل أساسٍ أمكن، وجدار أجدر أبي بكر، وعمر، وعثمان، وحيدر وبما اتسعت التنزُّلات بالتمثُّلات الروحانيات ومشاهد التجليات الصفاتيات، وإحاطة وحدة الذات فيما تعطيه القِسم المقسومات من محققين وعارفين وعلماء ومتفقِّهين وعاملين وحكماء، كانت أوانيه بعدد نجوم السماء من كل عرفانٍ أسنى، وتحقيق أعز وأسمى.

وهذه أسرار الباقيات الصالحات والمشاهد الطيِّبات التحيَّات الزكيَّات السلام الأسنى في الحافظات والتاليات، فلا يظمأ والله ناهلها، ولا يصدر واردها ولا يخبث شاربها؛ وبسرِّ شراب هذا الكأس يُلهمون الذكر كما يُلهمون الأنفاس، ودوام أكلها بدوام ذكر الذاكرين، وإسباغ إتمام نعمة هذه المنة.

---

(1) لم أقف عليه.

وقد ورد: «**مَن قال: سبحان الله وبحمده غُرست له نخلة في الجنة**»[1].

وبما قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ**﴾ [الأنبياء:30] فيكون هذا التفاضل في الجنات والتفاوت في الدرجات بحسب القسم المقسومات، وإزالة الموانع في التجلّيات بالأفعال والأسماء والصفات، لا من حيث ما هي وحدة الذات.

قال تعالى: ﴿**وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ [الرعد:4].

قال: حقيقة الشفاعة

الشفاعة ستر سوأة سيئة إساءة المسيء تبديلاً بهيئة ماهية حسن حسنة إحسان، صفاء صفوة الصفي، بشرط علاقة اختصاص خصوصية ولاية الولي؛ وهي انخلاع خلع أنوار تنورات صلاة صلوات الرسول على كل مفعولٍ ومقولٍ ومعقولٍ، وبما هي صلاة إجلال الجلالة الإلهية، وصلوات ملكات أملاك ملكوت التنزُّلات الربانية متصلةٌ متواصلةٌ كشفًا في سترٍ على الأحمدية والمحمدية؛ تعيينًا في حضرة غيب البشرية بالتجليات الرحمانية والتنزلات الروحانية؛ فهي صلاة القريب على القريب، وصلاة الحبيب على الحبيب في تعيينٍ وتبيينٍ بوجوبٍ في إمكان بمكانة وتمكين؛ فهو درجة الجلالة الإلهية، ومالك ملك ملكوت التنزلات الربانيَّة، وعنه يتنزَّل فيض إفاضات فضل صلاة اتصال صلوات سرّ سريانية الهوية في غيب بطانة بطون القلوب الإيمانية بالتأييدات اللدنية الروحانية في حفظ لوح تنوير تسطير أرواح كتب الأقلام العليَّة.

قال تعالى: ﴿**أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ**﴾ [المجادلة: 22] في التخصيص والتعميم بالأحمدية والمحمَّدية، وفي الباطن والظاهر بالجلالية والملكية.

فما من قلبٍ محمَّدي إلا وفيه خلعة انخلاع هيئة ماهية محمدية.

قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ**﴾ [الجمعة:2]، وواعظ الله على قلب كل عبدٍ مسلم، وكما أنه لا تفترق لا إله إلا الله محمد رسول الله علمًا وعقدًا كذلك لا تفترق شهودًا وكشفًا في الغيب والشاهد والعين والمعنى.

---

(1) تقدم.

وبما قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾ [الأحزاب:56]؛ فهذه صلاته عليه بالتخصيص في التنصيص.

وبما قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً**﴾ [الأحزاب:43]؛ فهذه صلاته في البواطن الإيمانية التبعية فالصلاة الرحمانية في المحمدية رحمانية ربَّانية إلهية، والصلاة المحمدية وهي هذه الصلاة في التبعية الإيمانية مَلكية أحمدية إسلامية إيمانية إحسانية.

وبما قال تعالى: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [التوبة:103]؛ فهو متَّحد بالقلوب الصدِّيقية مُتوحد في الأرواح العرفانية، مشهودُ شاهد العقول التبعية في انفهاقات تنزُّلات فرقان تفرقة المعيَّة فكلٌّ يشهد في مَرآه، ويتجلَّى له في مجالي هيئة تخلقاته في أخراه، فإن عرض عارض، مُنع بمانع تمنُّع امتناع.

ورد: «**إن الملائكة لا يدخلون بيتًا فيه كلب ولا صورة**»[1] ، أبطنَ في بطانة غيابة غيب سرِّه، وأسبل على وجه تجلِّي جلالة جماله، ستره وضرب بينه وبين الأرض مَن ارتضى بأغيار المغايرة غيرَه، ومد سرادقات العزَّة تعزُّز الغيرة، فإذا بلغ الكتاب أجله، وأزال ذو الطب من دواء العلل علله، حتى إذا لم يبقَ مما يشين شيء نشرَ ذلك الطي، وكما قيل: آخر الطب الكي.

وبما قال ﷺ: «**أنا لا أكتوي**»[2]، فما يزيل أغيار الغير، ويبشِّر أبشار بشرة البشرة البشر إلا تلظَّى لظى في تسعير سعير سقر.

قال ﷻ: ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ * لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ* لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ**﴾ [المدثر: 27: 29].

فإذا امتُحِقَ شكل شاكلة المانع، واضمحل، وأشرقت أنوار أسرار تجلِّيات جلال وجه المحمَّدية الأجل، فكان المؤمن بالنار ولم تكن، وبالجنة ولم تزل، ولا يزال يتردد بالسجود في المقام المحمود عند كشف الساق، ويلهمه المحامد التي تليق في ذلك المقام بالحامد والمحمود؛ وهو في تقرب واقتراب، وولاء والرحمن جلَّ جلاله في دنوٍ وتدلِّ واستيلاء حتى يتجلَّى الحبيب في الحبيب، ويستولى القريب على القريب، وتتبدَّل الأسماء بالأسماء والصفات بالصفات، ويرسخ القدم الصدق في المقام

---

(1) رواه البخاري (1179/3)، ومسلم (1665/3)، وأبو داود (74/4)، والترمذي .

(2) لم أقف عليه.

المكين، فلم يبق إلا شفاعة أرحم الراحمين.

فتَّتحد الأسماء والمسميات، وتتروحن المنازل والدرجات، وتنفهق إحاطات التجليات بالذات والصفات؛ فهذه حقيقة تنزل الملائكة والروح بإذن الرب من كل أمرٍ في غيب بطانة ليلة القدر؛ وهي شفاعة الشافعين من الأنبياء والمرسلين والأبرار والمقرَّبين والشهداء والصدِّيقين وعموم الصالحين، وكل واحدٍ بما اتَّحد فيه من روح الأمر بإذن الرب وبما كان التنزيل في ليلة القدر لكتمان السر وستر الأمر، لِمَا تَمَّ من حكمة تحكم الرب في تخليص استخلاص نفي ارتياب الريب، بإتيان أمانة الإيمان بالغيب، فإذا أسفر فجر اليوم الأكبر، وتجلَّت أعيان أعلام النور الأزهر، وكمل إسباغ النعمة بإتمام المنَّة؛ عرجت الملائكة والروح إلى الله ذي المعارج بتمثلات ملكيات نهي أمريات ربانيات في بطانيات ليليات قدريات، وحقيقة المعارج يوم: **﴿كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾** [المعارج:4].

فحقيقة المعارج في التنزلات تفصيليات روحانيات في العروج، واتساع سعة الخروج من ضيق حصر القدر إلى فضاء القدرة، حضرات تجليات رحمانيات بأسرار إلهيات وحدانيات أحديات في انكشافات نوميات مبينات بينات، ومطالعات في طلائع أعيان عينات سُبوحيات قودسيات.

ومن هنا يُعلم ويُفهم إنه مَن صلَّى على محمد ﷺ ؛ إنما لنفسه يدعوا إذا صلى وسلَّم، وعليه تعود بالرحمة والبركات إذا بارك عليه وترحم.

ولذلك قال تبيينًا وتفهيمًا وتعليمًا: **﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾** [الأحزاب:56].

الحاقّ والحاق

واعلم أن التمثل المتمثل، والشكل المتشكل الذي قال فيه ﷺ : «**وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلاً**»[1] ؛ وهو انخلاع ناموس استئناس نفسية نفس العقل المحمدي العبداني المستعد لقبول إقبال مقابلة تلقِّي إلقاء القول الرحماني، سماعًا ورؤيةً وتخلقًا واستغراقًا واستهلاكًا في الواجب المجرَّد الأحدي الوحداني.

وهذا الشكل المتمثل، والمثل المتشكل بالوحي الفرقاني، يكون أبدًا المقول عليه – محمد- في المقام العبداني بين يدي الساق الرحماني؛ هو سرير سريرة الأسرار الإلهية،

(1) تقدم تخريجه.

ومنارة إنارة الأنوار الربانية، ومستوى استواء رحموتية، رحيمية مجالي انجلاء تجليات الإحاطات الرحمانية؛ فهو أبدًا منخلع بمحمديَّته بين يدي سرير رحمانيته؛ كانخلاع حواء عن آدم من حيث ما هي آدميته وصورة شبحيته لا من حيث فخَّارة طينته؛ فهو مشور يوم القيامة بشهرة هذه العلامة، وهي المطابقة والموافقة؛ ولأنها بخاصيته وخصوصيته واختصاصه.

وأمَّا تنوع أكياف تكييف كيفياته، فبتنوع استعدادات قبول قوابل صدِّيقياته، فيقال: عليهم أغواث وأبدال صدِّيقون وعارفون، وأوتاد ونجباء، ونقباء، وشهداء، وأبرار وسابقون، ومقربون، وصالحون إلى غير ذلك مما يصدق عليه رقائق تجلِّياته من قبول قوابل تبعياته أن يقال؛ وهم المستشفعون الشفعاء عند السبع المثاني في الأعم والأخص في الأول والثاني.

تحقيق حقيقة الحقائق

وختْمُ نظام نظم نشر نثار خبرة خبير إخبارها المحقِّق الصادق

واعلم أن الوجود الأول الذي قدمنا ذكره، وطوينا في بساط بسط القول نشره؛ وهو ذات وجود القدرة الكائن في العماء، والقائم في الهواء بسرِّ سرير سريرة الذرة والهويةُ الساريةُ، وحقائقُ الكلمة التامة الذاتية.

كما تقرر أول مرة؛ هو المخترع المبدع الخالق الواضع الفاتق الراتق مكون الأكوان ومخلق الخلائق، وموجد الموجودات، ومحقق الحقائق فما من جنة ربانية محمَّدية، وحضرة أحمدية رحمانية إلا وهي خِلعة فيض تجلِّيه بالخلع لا بالانخلاع، والتفصيل في الاتصال لا بالانفصال والانقطاع، كما تنخلع كلمات كلام المتكلِّم على استماع سماع الأسماع؛ وهو إمَّا خلعٌ على نفس سمع سماع المتكلِّم؛ فهذه حضرة أحمدية رحمانية.

أو على سمع مستمع اشتراكًا بغرض مغايرة عينية لا معنوية؛ فهي فردوسيات محمَّديات ربانية.

وإمَّا خلع في توصلات خبرية، وتلقيات صدِّيقية إيمانية تسليمية غيبية، فجنات روحانيات جبريلية وميكائيليات ملكية.

الأول: بالكلام.

والثاني: بالقول.

والثالث: بالحديث.

فعلى هذا يكون الوجود الأول عين القدرة في المجمل والمفصَّل والمحكَم والمؤوَّل، فما من جنة روحانية وإن عظم مقام قرار دارها، وفردوسٍ وإن جل جلال مقدارها، وحضرةٍ وإن اتسع وسع مقدور قدرة تجليات أنوارها؛ إلا وهي فيض تجلِّي جلال تجلياته، وفيض خِلع خلعة جمال تنزُّلات كلماته وتمثُّل روح أرواح تروحناته، وتفصيلاتٌ مُفصلاتٌ في وسع اتساع كمال حيطة، شمول إحاطاته فهو ربُّ الأرباب، ومَلِك الملوك، ومالك كل مَلِك ومملوك.

ومن ذلك إنه لما انقضت القضية الدنيوية، وانختمت الدولة الإسرائيلية في الآدمية بالعيسوية، وتجلت جلالة المحمدية بالأحكام الأخروية، وشُقَّ الصدر، وطهر القلب الذي هو بيت الرب؛ وهي طهارة طاهرٍ بطَهُور.

وبما قال تعالى: ﴿**نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي الله لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ الله الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَالله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [النور:35].

وكان الإسراء إلى قاب قوسين أو أدنى، واتصل بحضرة هذا الوجود الأبهى، والمقر العليِّ الأعلى، والنور الأزهر الأضوى، مالكِ الآخرة والأولى، وأوحى إليه ما أوحى؛ وهو سريرة سر الذرة والهويةُ السارية في كلمة كلمات عالم القدرة؛ وهي التي استردَّت من آدم بعد السجود أول مرة؛ ليحكم الحاكم أمره، ويقدِّر القدير قدره بالقدرة، فلمَّا استسرَّ فيه هذه السريرة، وادخر فيه هذه الذخيرة خُلعت عليه الخلع الربانية، وتجلت فيه التجليات الرحمانية تعزيزًا وتعظيمًا ووقارًا وجلالا وتكريمًا وتمجيدًا وتوحيدًا وإجلالاً، وتواصلت عليه الصلوات بتجليات الأسماء والصفات وهو يسير بسريرة الهوية السارية في السبع المثاني، وأنوار أسرار الأعيان والمعاني، وفي كل مقاماتٍ تتجدَّد خلع التهاني، حتى استقرَّ إلى ثامن المثاني، وتَمَّ نظم النظام، وانحل من عَقد عُقد الطباع ذلك الإحكام، ونفخ إسرافيل نفخ القيام، وانتهى الأمر إلى ما تقدَّم من الإعلام، واستقر القرار في كل دار ومقام، وتأكد التأكيد في الأبدية، واستمر الدوام في الديموميَّة، برزت الذرة بكلمة عالم القدرة، وتكرَّرت الدورة كأول مرة، ثم كذلك وكذلك ولا نهاية لذلك، ويكون البروز بخلاصة الثامن الكامل، وتخلُّص إخلاص خصوصية اختصاصه الشامل، وهذا سير سيرة كل كلمة من الكلمات التَّامات، تُختم، وتفتح ختمًا بعد فتح، وفتحًا بعد ختم، تؤبد الآباد، وتجدد الآحاد بعد الآحاد، ومحال استحال التسلسل إذا انفكَّ إفك عقال تعقل عقل المتعقل، وليس هو على الحقيقة

بتسلسل، إذا انفكَّ إفك عقال تعقل المتعقل، وليس هو على الحقيقة بتسلسل، إذا صح نظر كشف اطِّلاع المتأمل، ومَن ردَّ بترددِ مماراةِ الرأي الباذ.

قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يُضْلِلِ الله فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**﴾ [الرعد:33]، وأمَّا الكلمات في نفسها وحضرات حضائر قدسها لا تتعدد ولا تتحدد ولا تتكثر ولا تتجدد؛ لأنها كلمات كلام الذات التي لا تُحصِّلها العبارات، ولا تُستشعَر بإشعار الإشارات، ولا هي بمعلوم العلم وإن أحاط بالكليات والجزئيات، أَوجَد الوجودَ، فلا يقال عليه، وأعدم العدم فلا يتطرق إليه، وأفاض الدهر، فلا يحلَّ فيه، وجعل الخلاء فلا هو بهويته يحويه؛ وإنما هي أسماؤه ومسمياته وكلامه وكلماته وماهياته وهوياته وإحاطاته وحيطاته وصفاته وموصوفاته وذاتياته وذواته، وهو هو هو من حيث هو هو هو، ولا يعلم ما هو هو إلا هو على ما هو به، هو من حيث هو هو، وكلماتُ كلامه المبارك لا أول ولا آخر لفتحها وختمها، كذلك وكيف يدرَك أو يستشعَر كيفُ ما هنالك، وما خطر بخاطرٍ فالله بخلاف ذلك.

أم كيف يصدق تصديق النظر، وإن صحَّ على ما لا يُتصور، وقد صح بصحيح الخير سلبُ القدرة عن تفكرِ الفِكر، وأيّ شيء يخرج عن الفكرْ والخاطر سواءٌ كان بحصول الكشف أو بتحصل النظر، فاقدروا رحمكم الله الأمر قدره، واعلموا بأن الغير لا يمكن أن يُسِر سرَّه، فرحم الله امرأً عرف قدره، وكفى الناسَ شرَّه، فنسأل الله تعالى العالم النافع والكشف الواسع، والفتح القامعَ للعقل المانع، والوهم القاطع للسرِّ الجامع فإنه المنعم الكريم الواسع العَليم، والمخترع المبدع الواضع الحكيم المفيض من فيض فضله على السلام تسليم القلب السليم من أسرارِ أنوار أرواح أشباح إحاطات تجليات تنزُّلات تمثُّلات ﴿**بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾ [الفاتحة:1].

وقد خلَّص خلاصه استخلاص إخلاصهِ من عُقد تعقدات اعتقادات، اختباط خبط المخابطة، بإثبات تصورات مخيلات توهمات مقدمات المغالطة، ونفى عنه إثبات ثبات تثبيتات سفسطة سوفسطائية السفاسطة، فتبرأ ببرء براءته من علة العلل، وتنزَّه بطهارة نضارة طهوريته من ترجيس تنجيس المنجم، والطبيعي والمعطل المعلن، والزنديق المتأوَّل في المجمل والمفصَّل، فما أحكم وأعدل وما أجلَّ وأجمل وأكمل، إحكام كشف في اتِّباع لا بتحكم أحكام، أو بادي رأي بإبداع.

وإلى هنا انتهى القول بحول ذي القوة والحول، والحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين، وكلاً يمد فضله أو عدله مددًا.

قال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ الله فَهُوَ المُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِياً مُّرْشِداً﴾ [الكهف: 17]، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وقوله: ﴿وَعَلَى الله فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:23].

خاتمة النسخ

انتهى الإلقاء الرحماني، والتنزل الرباني بحمد الله وعونه وحسن تُوفيقه وله الحمد دائمًا وأبدًا كما يحب ويرضى، لا ربَّ غيره ولا خير إلا خيره.

وفي نسخة أصله: إن الفراغ منه كان يوم السبت سلخ رمضان المعظم قدره سنة سبع وأربعين وسبعمائة.

وقُوبلت هذه النسخة على نسخة قوبلت وصححت بحضرة مؤلفها نفعنا الله ببركته، وذلك في يوم الأحد الثاني والعشرين من شهر صفر سنة ثمان وأربعين وسبعمائة .

وفي نسخة تم الكتاب الموسوم بـ «العروش الإنسانية في معرفة التجلِّيات الرحمانية، وكشف أسرار المشارق اللاهوتية» لسيدنا ومولانا العارف المحقِّق القطب سيدي محمد وفا قَدَّس الله تعالى سرَّه، ونفعنا به آمين.

ضحوة يوم السبت آخر محرم الحرام، ابتداء سنة ثمانية وتسعين ومائتين وألف، غفر الله تعالى لكاتبه ولوالديه ولمشايخه، ولمن أحسن إليه ولكافة المسلمين، ولطف الله بهم أجمعين.

والحمد لله وحده وصلى الله على مَن لا نبي بعده وعلى آله وأصحابه وأتباعه وحزبه

آمين آمين.

* * *

فهرس المحتويات

مقدمة 3
ترجمة مختصرة للمصنف 4

النفحة الرحمانية في تراجم السادات الوفائية

نماذج من صور المخطوط 5
مقدمة المصنف 9
المقدمة في الكُنية، وصِغَرِ القُرْص، ولُبْس الخِرقة 11
المقصد الأول في سرْدِ مشايخهم وبعضِ مناقبهم سيّدي محمّدُ بنُ محمد وَفا السّكَنْدَريُّ الأصل ويُقال: المغربيّ، ثم المِصريّ، الشاذِليُّ الصُّوفيّ ﷺ 21
ولدُهُ العارِفُ الكبيرُ سيّدي عليُّ بنُ محمّدِ وَفا بنِ محمّدِ بنِ النّجمِ محمدٍ ﷺ 26
كراماتُ سيدي علي وفا 34
سيدي أحمدُ شِهابُ الدينِ أبو العباسِ بنُ محمد وفا ﷺ 38
سيدي أبو الفتح محمدُ بنُ أحمدَ بْنِ وَفا ﷺ 39
الرابع أخوه سيدي الأستاذ أبو السيادات يحيى بن أحمد بن محمد وفا ﷺ 45
الخامسُ أخوه الأستاذ عبدُ الرحمنِ أبو الفضل الشهيدُ ابنُ أحمدَ محمد وَفا ﷺ 45
ولده الأستاذ سيّدي أبو المراحِمِ محمّدُ بنُ عبدِ الرحمنِ الشهيدِ ابنِ أحمدَ بنِ محمّدِ وَفا ﷺ 47
ولده الأستاذ سيّدي أبو الفضلِ محمدٌ محبُّ الدينِ المجذُوبُ بنُ وفا ﷺ 47
وخلفَه ولدُه الأستاذ سيّدي أبو المكارمِ إبراهيمُ بنُ وَفا ﷺ 48
ولده الأستاذ سيّدي أبو الفضلَ محمّدُ بنُ وَفا ﷺ صاحبُ الحال الأسعد، والجهاد في طاعة مولاه السرْمَد 51
أخوهُ الأستاذُ الأعظم سيّدي يوسُفُ أبو الإسعادِ بنُ وَفا ﷺ 53
سيّدي الشيخُ أبو اللُّطف يحيى ابنُ الشيخِ أمينِ الدِّين ابنِ 56
الشيخ أبي العَطا عبدِ الرزّاقِ بنِ وَفا ﷺ 56
شيخ الوقت الأستاذ الأعظم سيدي أبو التخصيص عبد الوهاب بن وفا ﷺ 57
أخوهُ الأستاذُ الأعظَم سيّدي أبو الحسنِ عليُّ بنُ وَفا ﷺ 58
ولد عمه الأستاذُ سيدي محمّدُ أبو الفضلِ محمّدُ بنُ وَفا ابنِ الشيخِ أبي الإكرامِ ﷺ 59
أخوه الأستاذ سيّدي أبو العَطا عبدُ الرزّاقِ بنُ وَفا ﷺ 60
الخاتمة 62

العروش الإنسانية

نماذج من صور المخطوط 69
مقدمة سيدي محمد وفا 73
خطبة ثانية 75
خطبة ثالثة 75

خطبة رابعة 76
فصل في الزمان 80
انعطاف واستشراف 82
تنزيلٌ وتفصيلٌ 85
إيضاح وانشراح 88
نظر واستبصار 91
فصل 92
تفريعٌ وتنويعٌ 93
تنبيه وتنويه 94
رجوعٌ واستدراك 95
تورية 98
تتمة وتكميل 99
رفع قناع في حضرة سماع 104
فرقانٌ وتبيانٌ 104
تجميل وتأويل 105
تبصرة وتذكرة 106
توضيحٌ وتلويحٌ 107
تنوير وتحذير 109
تماثل وتقابل 110
سوابق ولواحق 112
تفاخرٌ وتصاغرٌ 114
تعالى وتدانى 115
انفصالٌ واتصالٌ 117
إحكامٌ وإبرامٌ 118
تصريحٌ وتلوحٌ 118
رقيقةٌ من حقيقةٍ 119
تفويض وتعويض 119
تعبيرٌ وتقريرٌ 120
إخراجٌ من إيلاجٍ 122
تلطيف وتشريفٍ 123
تبيين وتعيين 124
أنواع في إجماع 125
رموز ولغز 126
تحقيق وتنميق 127

مقابلة ومماثلة 128
شقُّ أسماع آذان عن إسماع الأذان 129
أصل أصول التأصيل والتحصيل وجملة جمل الإجمال في التوصيل بالتفصيل ورفع علة
علل التعليل في التفسير والتأويل 131
عطفٌ وبيانٌ 137
تلخيصٌ وتخليصٌ 139
توصيلٌ وتحصيلٌ 140
جمع فرق الخلق في تعيين عين نسخة الحق 142
كيفيَّة النزول إلى ظاهر هذا الكون المفصول 150
هيئة وماهيَّة وتصوُّر وكيفيَّة 154
تنكيتٌ وتتميمٌ 164
تصور وتصديق 165
نظم النظام القديم في سلك مسلك: 169
تحقيق السبع المثاني وأرواح الأواني والمعاني 176
تعريف التصريف في التحليل والتلطيف 185
الحقائق الشوامخ في تفصيل البرازخ 190
كيفية هذا التعريف 194
الحقائق الغائيَّة في المواقف الأُخرويَّة 196
قال: حقيقة اللواء المعقود 209
قال: حقيقة الصراط 210
قال: حقيقة الميزان 211
قال: حقيقة الحوض 211
قال: حقيقة الشفاعة 215
إلحاقٌ ولحاق 217
تحقيق حقيقة الحقائق وختْمُ نظام نظم نثر نثار خبرة خبير إخبارها المحقِّق الصادق 218
خاتمة النسخ 221
فهرس المحتويات 222